شرح مقصورة ابن دريد

للخطيب التبريزي

الطبعة الأولى

منشورات
المكتب الاسلامي
للطباعة والنشر
بدمشق

al-Tibrīzī, Yaḥyā ibn ʿAlī.

/Sharḥ Maqsurat ibn Durayd/

شرح مقصورة ابن دريد

للخطيب التبريزي

الطبعة الأولى

١٣٨٠ — ١٩٦١

المكتب الإسلامي

للطباعة والنشر

بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

ابن دريد

هو أبو بكر ، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، إمام عصره في اللغة والأدب

مولده وحياته

ولد بالبصرة في خلافة المعتصم سنة (٢٢٣هـ) وبها نشأ وتعلم اللغة وأشعار العرب ثم انتقل عنها إلى عُمان — عند ظهور الزنج — فسكنها اثنتي عشرة سنة ، ثم عاد إلى البصرة ، ثم خرج منها إلى فارس ،فصحب فيها ابني ميكال وكانا على عمالتها ، وألف لهما « الجمهرة » وتولى لهما الديوان ، وكانت تصدر كتب فارس — كما يقول ابن خلكان — عن رأيه ، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه ، فأفاد معهما اموالاً عظيمة ، ثم آب بعد عزلهما إلى بغداد فأنزله ابن الخواري في جواره ، وأجرى عليه المقتدر خمسين ديناراً كل شهر إلى أن مات .

شيوخه

وقد تلقى العلم واللغة والأدب عن عدد من أعلام عصره منهم : أبو حاتم

السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وأبو عثمان الاشنانداني ، وعبد الرحمن بن عبدالله المعروف بابن أخي الأصمعي ، وغيرهم

تلاميذه

وتلقى عنه أعلام الأدب وأئمة اللغة ، من أمثال أبي الفرج الأصبهاني صاحب « الأغاني » ، وأبي علي القالي صاحب « الأمالي » وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي صاحب « الموازنة » ، والرماني والمرزباني وابن خالويه وغيرهم . .

حبه للعلم والمطالعة

وكان شغوفاً بالعلم محباً لمطالعة الكتب ، يرى فيها متنزَّهاً لقلبه ، كما تكون مجالي الطبيعة متنزها لطرفه ، روى أبو نصر الميكالي قال :

« تذاكرنا المتنزهات يوماً وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزهُ الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الأُبُلَّة ، وقال آخرون : بل سُغد سمرقند ، وقال بعضهم : نَهْرَوَانُ بغدادَ ، وقال بعضهم : شِعب بوّان بأرض فارس ، وقال بعضهم : نُوبَهارُ بلْخ .

فقال : هذه متنزَّهاتُ العيون ، فأين أنتم عن متنزَّهات القلوب ؟

قلنا : وما هي يا أبا بكر ؟ قال : «عيون الأخبار» للقتبي ، و «الزَّهْرَة» لابن داود ، و « قلق المشتاق » لابن أبي طاهر ، ثم أنشأ يقول :

ومن تكُ نزهتَه قينةٌ ... وكأسٌ تُحثُّ وكأسٌ تُصَبْ

فنزهتُنا واستراحتُنا ... تلاقي العيونِ ودرسُ الكتبْ

وكان من شدة اشتغال نفسه بمسائل العلم والأدب ، إذا أغمض عينيه عرضت له هذه المسائل في منامه ، كما يعرض لها في يقظته ، وقد تحدث عن ذلك فقال :

« سقطتُ من منزلي بفارس فانكسرت ترقوتي ، فسهرت ليلي ، فلما كان في آخر الليل حملتني عيناي ، فرأيت في نومي رجلاً طويلا أصفر الوجه كوسجاً دخل عليَّ وأخذ بعضادتي الباب وقال : أنشدني أحسن ما قلت في الخمر فقلت : ما ترك أبو نواس شيئاً .

فقال : أنا أشعر منه .

فقلت : من أنت ؟

قال : أبو ناجية من أهل الشام ، ثم أنشدني :

وحمراء قبلَ المزجِ صفراء بعده بَدَت بينَ ثوبَي نرجس وشقائق
حكتْ وجنةَ المعشوقِ صِرْفاً فسلّطوا عليها مزاجاً فاكتستْ لونَ عاشقِ

فقلت له : أسأت .

قال : ولم ؟

قلت : لانك قلت : « وحمراء » فقدمت الحمرة ، ثم قلت : « بدت بين ثوبي نرجس وشقائق » فقدمت الصفرة ، فألاَّ قدمتها على الأخرى كما قدَّمتها على الأولى؟

فقال : ماهذا الاستقصاء في هذا الوقت يابغيضُ ؟

سرعة حفظه وسعته

وكان إلى شغفه بالعلم واهتمامه به ، وإقباله عليه ، سريع الحفظ ، واسع الرواية، قويَّ الذاكرة ؛ حدث أبو علي التنوخي قال : حدثني جماعة ، أن ابن دريدقال :

« كان أبو عثمان الأشنانْداني معلمي ، وكان عمي الحسين ابن دريد يتولى تربيتي ، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان ليأكل معه ، فدخل يوماً عمي وأبو عثمان يرويني قصيدة الحارث بن حلِّزةَ التي أوّلها :

آذنتنا ببينها أسماء

فقال لي عمي : إذا حفظت هذه القصيدةَ وهبت لك كذا وكذا ، ثم دعا المعلِّمَ ليأكُلَ معه فدخل إليه فأكلا ، وتحدثا بعد الأكل ساعة ، فإلى أن رجع المعلِّم حفظتُ « ديوان الحارث بن حِلِّزَة » بأسره ، فخرج المعلم ، فعرَّفته ذلك ، فاستعظمه ، وأخذ يعتبره عليَّ فوجدني قد حفظته ، فدخل إلى عمي فأخبره فأعطاني ما كان وعدني به »

ووصفه بعض من رآه فقال :

« كان ابن دريد واسع الحفظ جداً ، مارأيت أحفظ منه ، وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها ، فيسابق إلى إتمامها وتحفُّظها ، وما رأيته قطّ قُرِىء عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له »

وقال أبو العباس الميكاليّ :

« أملى عليَّ أبو بكر الدُّريدي كتاب « الجمهرة » من أوله إلى آخره حفظاً في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف ، فإنه طالع له بعض الكتب »

مكانه في العلم

وقد بلغ ابن دريد في العلم درجته العليا ، وشهد له بذلك أعلامه المبرزون ، قال عنه المرزباني في معجم الشعراء — : وكان رأس أهل العلم ، والمتقدم في الحفظ للغة والأنساب وأشعار العرب »

وقال عنه أبو الطيب اللغوي — في كتاب « مراتب النحويين » — : « هو الذي انتهت إليه لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً »

وقال عنه المسعودي — في « مروج الذهب » — : . . وانتهى في اللغة ،

وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين »

وقال عنه ابن خلكان — في « وفيات الأعيان » — : « إمامُ عصره في اللغة والأدب » .

غير أن بعض العلماء قد طعنوا عليه ، واتهموه بالتسامح في الرواية ، وافتعال العربية ؛ قال حمزة : سمعت أبا بكر الابهريّ المالكي يقول :

جلست إلى جنب ابن دريد وهو يحدث ومعه جزء فيه ماقال الأصمعي ، فكان يقول في واحد : حدثنا الرّياشي ، وفي آخر : حدثنا أبو حاتم ، وفي آخر حدثنا ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي ، كما يجيء على قلبه »

وقال أبو منصور الأزهري في مقدمة كتاب « التهذيب » :

« وممن ألف في زماننا الكتب فرمي بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها : أبو بكر محمّد بن دريد ، صاحب كتاب « الجمهرة » ، وكتاب « اشتقاق الأسماء » ، وكتاب « الملاحن » ، وقد حضرته في داره ببغداد غير مرة ، فرأيته يروي عن حاتم والرّياشيّ وعبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ . وسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ، ولم يوثّقه في روايته . وألفيته أنا على كبر سنّه سكران لا يكاد يستمرّ على الكلام من سكره ، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم « الجمهرة » فلم أرِدْ ، لا على معرفة ثاقبة ، ولا قريحة جيدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها ، فاثبتها في كتابي في مواقعها منه ، لأبحث أنا وغيري عنها . »

وسئل عنه الدارقطني : أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه »

وقد انتصف له بعضهم ودافع عنه ، قال السيوطي — في « المزهر » — معقباً على كلام الأزهري :

« معاذ الله ! هو بريء مما رمي به ، ومن طالع « الجمهرة » رأى تحريه في روايته ؛ وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يعرف منه ذلك . ولا يقبل فيه طعن نفطويه ؛ لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، بحيث أن ابن دريد هجاه بقوله :

لو أُنزِلَ الوحيُ عَلَى نِفْطَوَيْه ... لكان ذاك الوحيُ سُخطاً عليه
وشاعرٌ يدعى بنصف اسمه ... مستأهلٌ للصفع في أَخْدَعَيْه
أحرقهُ اللهُ بنصف اسمه ... وصيَّرَ الباقي صُراخاً عليْه

وهجا هو ابن دريد بقوله :

ابنُ دريدٍ بقرهْ ... وفيه عِيٌّ وشَرَهْ
ويدَّعي من حُمْقِهِ ... وضعَ كتابِ الجَمْهَرَهْ
وهوَ كتابُ العَيْنِ إلاَّ ... م أنَّهُ قد غيَّرَهْ

وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح »

أخلاقه

أخبرنا تلميذه المرزباني أنه « سمح الأخلاق » وأنه « كانت له نجدة في شبابه وشجاعة ، وسخاء وسماحة »

وروى ابن خلكان أنه « كان مفيداً مبيداً ، لا يمسك درهماً سخاء وكرماً » ولا غرو فقد نشأ في ظل النعمة والرياسة ، و« كان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار » وقد كان على ما يبدو أبياً للهوان حريصاً على الكرامة ، كتب إلى أحمد بن محمد بن رستم وقد حُجب — على ما يظن — عنه :

حجابك صعب يحْجُبُهُ الحرُّ دونه وقلبي إذا سيمَ المذلةَ أصعبُ
وما أزعجتني نحو َبابك حاجة فأجشَمَ نفسي رجعة حين أُحجب

غير أن ثمة مطعناً كبيراً عليه ، وعلة خطيرة فيه تتولد عنها آفات كثيرة .

قال أبو ذر الهروي : سمعت ابن شاهين يقول : كنا ندخل على ابن دريد ونستحي منه لما نرى من العيدان المعلقة ، والشراب المصفَّى . وقد كان جاوز التسعين سنة »

وقال أبو ذر أيضاً : سمعت أبا المنصور الأزهري يقول :

« دخلت على ابن دريد فرأيته سكران فلم أعد إليه »

وذكر ابن كثير — في «البداية والنهاية» — : أنه « كان متهتكاً في الشراب منهمكاً فيه » واستدل على ذلك بالقولين المتقدمين ، ثم ختم كلامه عنه بقوله : « سامحه الله » .

وقد تشكك بعضهم في هذا الأمر وقالوا : مبلغ الظن أنه كان يشرب النبيذ على مذهب أهل العراق » وقالوا : إن كان قد شرب فهو قد تاب » وقالوا : لعلّ هذا كله من التهمة . . وأوردوا من قوله مايستبعد منه مقارفة مثل هذا المنكر .

شعره

قال فيه ابو الطيب اللغوي :

« . . كان أحفظ الناس ، وأوسعهم علماً ، وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد .

وقال عنه المسعودي :

« وكان يذهب بالشعر كل مذهب ، فطوراً يجزل ، وطوراً يرق ، وشعره أكثر من أن نحصيه ، أو نأتي على أكثره ، أو يأتي عليه كتابنا هذا »

وقال المرزباني عنه « غزير الشعر »

وكان يقال : « ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء »

وقد اجتهد السيد محمد بدر الدين العلوي أستاذ اللغة العربية في الجامعة الاسلامية — على كره — في جمع ما تفرق من شعره في ديوان طبع في لجنه التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٥ ﻫ ...

وقد تنوعت أغراضه في شعره ، فكان له فيه المدح والهجاء والنسيب والحكمة، وكان له القصائد التي ترمي إلى تقييد اللغة أو إبراز براعته فيها .. واختلف أسلوبه باختلاف أغراضه ، ومن شعره وقد نزل بقرية تحت نخل فإذا بفاختتين تتزاقّان :

أقولُ لورقاوينِ في فرعِ نخلةٍ	وقد طفلَ الإمساءُ أو جنحَ العصرُ
وقد بسطت هاتا لتلكَ جناحَها	ومالَ عَلَى هاتيكَ من هذه النحرُ
لِيَهْنِكما أَنْ لم تُراعا بفرقةٍ	وما دبَّ في تشتيتِ شملكما الدهرُ
فلم أر مثلي قطع الشوقُ قلبَهُ	عَلَى أنَّهُ يحكي قساوتَهُ الصخرُ

ومنه أيضاً قوله :

وقد أَلِفتْ زهرُ النجومِ رِعايتي	فإنْ غِبتُ عنها فهي عنّي تسألُ
يقابلُ بالتسليمِ منهنَّ طالعٌ	ويومىء بالتوديعِ منهنَّ آفلُ

وقوله في رثاء عبد الله بن عمارة :

ولو أنَّ عمري كانَ طوعَ إرادتي	وساعدَني المقدارُ قاسمتُكَ العمرا

وما خلتُ قبراً وهو أربعُ أذرعٍ   يَضُمُّ ثِقالَ المزْنِ والطود والبحرا

المقصورة

أما قصيدته المعروفة بالمقصورة فهي أشهر شعره ، وهي من أجوده وأحسنه ، وبها سار ذكره في عالم النظم ... وقد أنشأها في مدح الأميرين ابني ميكال ؛ عبد الله ابن محمد ، وابنه أبي العباس اسماعيل ، ويقال: إنه أحاط فيها بأكثر المقصور ، وهي طويلة تبلغ ٢٥٣ بيتاً ، وفيها من البراعة اللغوية ، والمقدرة الشعرية ، والاشارات التاريخية والأدبية ، والحكم المنثورة ، والنفثات الشخصية ، ما يرفعها إلى درجة عالية .

وقد عُني بهذه القصيدة خلق من المتقدمين والمتأخرين ، فعارضوها وشرحوا معانيها ، وتكلموا على ألفاظها .. وخمسوها .. كما ترجمت إلى بعض اللغات الاجنبية .

وقد بلغت شروحها نحواً من (٣٥) شرحاً ، في جملتها : شرح الخطيب التبريزي .

وفاته

وكانت وفاته في بغداد سنة (٣٢١ هـ) في نفس اليوم الذي توفي فيه أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجُبَّائي المتكلم المعتزلي ، فقال الناس : اليوم مات علم اللغة والكلام ، وممن رثاه جحظة البرمكي فقال :

فقدتُ با بنِ دريدٍ كلَّ منفعةٍ   لمَّا غدا ثالثَ الأحجارِ والتُّرَبِ
وكنتُ أبكي لفقدِ الجودِ مجتهداً   فصرتُ أبكي لفقدِ الجودِ والأدبِ

آثاره

وقد صنف مصنفات كثيرة منها :

جمهرة اللغة ، والاشتقاق ، وأدب الكاتب ، والأمالي ، والأنواء ، وروّاد العرب ، والخيل الصغير ، والخيل الكبير ، والتوسط ، وتقويم اللسان ، والمجتنى ، واللغات في القرآن ، وغريب القرآن ، والملاحن ، والوشاح ، وغير ذلك .

الخطيب التبريزي

هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ،أحد الأئمة في اللغة والنحو والأدب

مولده وشيوخه

ولد سنة ٤٢١ هـ ، ونشأ في بغداد ورحل إلى بلاد الشام . وأخذ العلم عن أبي العلاء المعري ، وأبي القاسم الرقي ، وأبي محمد الدهان اللغوي ، وابن برهان، والمفضّل القصبانيّ ، وعبد القاهر الجرجاني ، وغيرهم من أئمة الأدب .

وسمع الحديث وكتبه على كثير ، منهم : أبو الطيب الطبري ، وأبو القاسم التنوخي ، وسمع بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح الرازي ، ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الدلاّل السّاويّ البغدادي ، وأبي القاسم بن عليّ .

تلاميذه

وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن علي صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر ، وأبو منصور الجواليقي ، وأبو الحسن محمد بن سهل الأندلسي وغيرهم

جده في الطلب

وكان له همة في طلب العلم لا يبالي ما يحتمل فيه من المشقة « ويحكى أن سبب رحلته إلى أبي العلاء المعري ؛ أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة ، تأليف أبي منصور الأزهري المعري ، فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ، ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً ، فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر

فيها البلل . وهذه النسخة في بعض المكاتب الموقوفة ببغداد إذا رآها من لا يعرف خبرها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب »

منزلته

وقد بلغ فيما طلبه من العلم منزلة رفيعه ، قال عنه ابن خلكان :

« كان له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما »

وقال ياقوت :

« انتهت إليه الرياسة في اللغة والأدب ، وسار ذكره في الآفاق ، ورحل الناس إليه »

وقد ولّي تدريس الأدب بالنظامية ، وخزانة الكتب بها إلى أن أدركته الوفاة .

أقوالهم فيه

قال ابن خلكان :

« وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل ، وكتاب الأنساب ، وعدد فضائله ثم قال :

سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرىء يقول : أبو زكريا يحيى بن عليّ التبريزي ما كان بمرضي الطريقة ، وذكر عنه أشياء ، ثم قال وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون ، فسكت عنه ، وكأنه ما أنكر ماقال ، ثم قال :

ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله »

وقد فصل لنا ياقوت في معجم الأدباء الأشياء التي ذكرها عنه ابن خيرون وهي أنه «كان يدمن شرب الخمر، ويلبس الحرير والعمامة المذهبة، وكان الناس يقرؤون عليه تصانيفه وهو سكران» والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر

وفاته

وقد توفي في بغداد فجأة سنة (٥٠٢ هـ) ودفن فيها.

آثاره

وله آثار كثيرة منها: شرح المقصورة الدريدية، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام، وتهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت، وشرح سقط الزند للمعري، وشرح القصائد العشر، والملخص في إعراب القرآن، وشرح اختيارات المفضل الضبي، والوافي في العروض والقوافي، وشرح المشكل من ديوان أبي تمام، وشرح شعر المتنبي، وشرح اللمع لابن جني، ومقاتل الفرسان

شرح مقصورة ابن دريد

ونحن نقدم الآن إلى قراء العربية مقصورة ابن دريد بشرح الخطيب التبريزي..

مخطوطة الكتاب

وقد اعتمدنا في طباعة شرح المقصورة على نسخة خطيه دفعها إلينا سمو الأمير الجليل، العالم، المصلح، الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني — حفظه الله تعالى — وكلفنا بطبعها ليتحقق بذلك النفع للعربية وأبنائها..

وتقع هذه المخطوطة في ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط، في كلّ صفحة ١٩

سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٢ كلمة .. كما حصلنا على صورة فوتوغرافية لمخطوطة أخرى لشرح الخطيب التبريزي على المقصورة ، وإن كنا لم نستفد منها إلا فائدة يسيرة ، لأنها تختلف عن نسختنا اختلافاً بيناً ، فالشرح فيها موجز جداً ، ولعله شرح آخر مختصر غير شرحنا .

أما الفائدة التي استفدناها ، فهي أنها أعانتنا على استدراك بعض أبيات من المقصورة سقطت من نسختنا ، وقد نقلنا شرح هذه الأبيات أيضاً منها ، وأشرنا إلى ذلك في موضعه .

عملنا في الكتاب

وقد دفعنا الكتاب إلى الأستاذ الفاضل عبد القادر زكار فعمل فيه — مشكوراً — وخرّج كثيراً من شواهده ثم اعدنا النظر فيه فأكملنا تصحيحه ، وضبطه ما تيسر لنا ، وقد كان في الأصل كثير الخطأ والتصحيف ، وزدنا في تخريج احاديثه وشواهده ، وكنا نحب أن يتسع الوقت ليبلغ العملُ ما نحب من الاتقان ، ولكننا كنا معجلين فلم نقدر على كل ما أحببناه ، ولعلنا نتم ـ والاساتذه الفضلاء الذين تعاونوا معنا ـ في طبعة ثانية ما بدأناه ، لنقدم هذا الشرح على خير الوجوه .

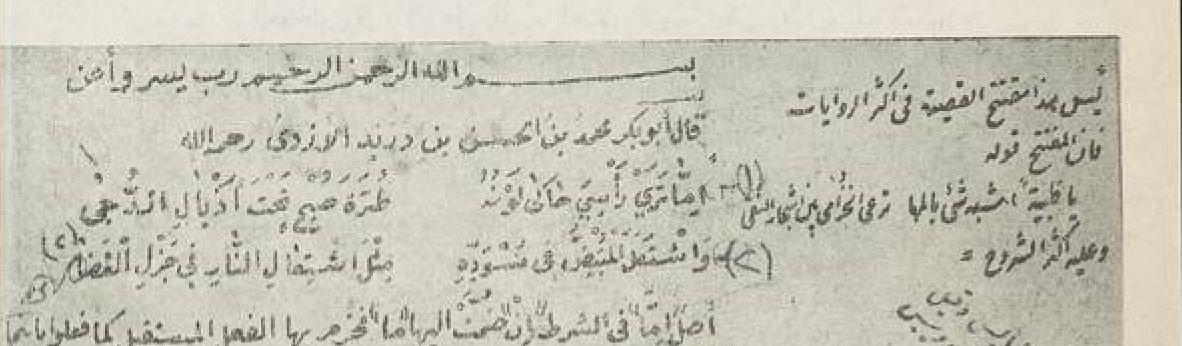
وإننا لنشكر لسمو الأمير الجليل الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ، أن أتاح لهذا الكتاب فرصة الظهور ، كما نذكر له أياديه البيضاء في إشاعة العلم ونشر كتبه ، راجين الله عز وجل أن يحفظه وأن يديم به النفع ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين — ابو بكر

دمشق ١ شعبان ١٣٨٠ — زهير شاويش



صورة عنوان مخطوطة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني



صورة الصفحة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر وأعن

قال أبو بكر محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيْد الأزدي رحمه الله :

١ إمَّا تَرَيْ رَأْسِي حاكَىٰ لَوْنُهُ   طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيالِ الدُّجَى (١)

٢ وَٱشْتَعَلَ ٱلْمُبْيَضُّ فِي مُسْوَدِّهِ   مِثْلَ ٱشْتِعالِ النَّارِ فِي جَزْلِ ٱلْغَضَى (٢)

---

(١) في حاشية الأصل ما نصه : « ليس هذا مفتتح القصيدة في أكثر الروايات ، فان المفتتح قوله :

يا ظبية أشبه شيء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وعليه أكثر الشروح » . اهـ

والصحيح أن البيت المذكور من مقصورة أخرى لابن الأنباري مطلعها :

شرّد عن عيني الكرى طيف سرى   من أم عمرو في غياهب الدجى

وفيها :

لما رأت شيبيَ عمّ مفرقي   قالت : غبار يا خليلي ما أرى

ولم تزل تمسحه بمرطها   والقلب ما بين إياس ورجا

قلت لها موعظة لعلها   تعي صروف ما رأت لعلها

ياظبية أشبه شيء .. البيت

(٢) – استشهد به في المغني على تعليق «في» فقال : ٢/٧٤ : «وقد تقدر «في» الأولى متعلقة بـ«المبيض» فيكون تعلق الجارين بالاسم ، ولكن تعلق الثاني بالاشتعال يرجح تعلق الأول بفعله لأنه أتم لمعنى التشبيه ، وقد يجوز تعلق « في » الثانية بكون محذوف حالاً من النار ، ويبعده أن الأصل عدم الحذف » اهـ .

أصل « إمَّا » في الشرط « إنْ » ضُمَّتْ إليها « ما » فجُزم بها الفعل المستقبل كما فعلوا بـ « أينما » و « مهما » . وزعم الخليل : أن أصل « مهما : ماما » فكرهوا تكرير حرفين من جنس واحد ، فأبدلوا من الألف هاءً ، فقالوا : « مهما » وزعم سيبويه : أن أصلها « مه » التي معناها الزَّجرُ ضُمت إليها « ما » فقرنت معها .

وقوله « تَرَيْ » يخاطب مؤنثاً ، وهذا الفعل مجزوم بـ « إما » وعلامة جزمه سقوط النون من آخره ، وثباتها علامة الرفع إذا قلت للمؤنث مخاطباً : « أنْتِ تَرَيْنَ وتقُومين » فإذا جزمت قلت « لم تَرَيْ » و « لم تقُومي » .

و « حاكى » أي شابَهَ وهو « فاعَلَ » من « حكى يحكي » يقال : « حكاه يحكيه حكاية » إذا شابهه ؛ ومنه قول الشاعر[1] :

وَجْهٌ هو الشمسُ يَحكِيها وتَحكِيهِ ... لا بَلْ تَزيدُ ضِياءً مِن تَلالِيه

و « المُحاكاة » : المفاعلة ، لا تكون إلا من اثنين ؛ يقال : « ضارب زيدٌ عمراً وقاتله » أي فعل كلٌّ واحد منهما بصاحبه مثلَ ما فعل به الآخر . وربما كانت « المفاعلة » من واحد مثل قولك : « عاقبت اللِّص » و « وطارقت النعل » ، وما أشبهه .

و « طُرَّة الصبح » : القطعة منه ، يعني الفجر . شَبَّه الشَّيْبَ في بَياضه تحت اُسْوداد الشَّعْر بتفشي الصبح في الظلام . وأصل « الطُّرَّة » ، القطعة من الشيء ؛ يقال : « طرَّة من شَعْرٍ » أي ؛ قطعة منه مقطوعة من جملته ، ومنه

(١) — لم نعرف قائله . ولا وجدنا البيت في مكان آخر .

قولهم : « رجلٌ طَرّار » أي قطّاع لِمَا وجد ، وكذلك قولهم : « طرَّ شاربه » ، إذا خرج ، كأنه قَطَع الموضِعَ الذي خرج منه ؛ قال الشاعر [1] :

مِنّا الَّذي هو ما إنْ طَرَّ شارِبُهُ وَالْعانِسونَ وَمِنّا الْمُرْدُ وَالشِّيَّبُ

و « الصبح » تأويله : الإشراق وانجلاء الظلمة ، و « المِصباحُ » : مفعالٌ منه ، و « رَجل صبيح » معناه : مُشرق الوجه ، و « رجل أصْبحُ اللحية » ؛ وهو الذي تكون لحيته صهبائية ، فتشتد صُهوبتها حتى تداني البياض . والعرب تقول : « أصْبحْ لي عن الخبر » أي ؛ أضِئْ عنه وأوضحهُ حتى أفهمه . وقولهم : للسوط « أصْبَحِيٌّ » منسوب إلى ذي أصبح الحِيري ؛ وهو جدٌّ مالك بن أنس ، مأخوذ من هذا أيضاً . و « الدجى » ما ستر من الليل ؛ ومنه قيل : « فلان يُداجي فُلاناً » أي يستُر عنه ما علمه ، ومنه قول الشاعر :

يا ذا الذي لستُ أدري مِنْ تَلَوُّنِهِ أناصِحٌ أمْ عَلَىَّ وَعدٍ يُداجيني [2]

---

(١) هو أبو قيس بن رفاعة ، كذا في إصلاح المنطق ص : ٣٧٦ ، وفي اللسان « عنس » وفي طبقات ابن سلام ص : ٢٤٢ ، وعده من شعراء يهود في الجاهلية ، وفي اللآلي ص : ١٧٢ في ترجمته : « هو دثار بن رفاعة من شعراء يهود ، شاعر مقل ، أحسبه جاهلياً » ، ونقل السيوطي في شرح شواهد المغني ص : ٢٤٤ عن ثعلب أن اسمه « نفير » .

(٢) الاصلاح ص : ٣٧٦ ، اللسان (عنس) ، أمالي ابن الشجري ٢ / ٢٣٨ ، وفي اللآلي ص : ١٧٢ قال : ونسبه ابن الجراح لعمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي وأنشد قبله

إما ترينا وقد خفت مجالسنا والموت أمر لهذا الناس مكتوب

فقد غنينا وفينا سامر غنج وساكن كأتيّ السيل مرهوب

والعانس من الرجال والنساء : الذي بقي زماناً بعد أن يدرك لا يتزوج ، وأكثر ما يستعمل في النساء ، ورجل عانس والجمع عانسون .

(٢) لم نعرف قائله ، ولا وقفنا عليه في مكان آخر .

يقالُ : « دَجا الليل يدجو » إذا أَلبس بظلمته كل شيء . وأنشدوا :

قالت : إذا الليل دجا فأتنـنـا فجئتهُـا حين دجا الليلُ[1]

خَفِيَّ وَطْءِ الرِّجْلِ من حارسٍ وَلو دَرىٰ كانَ لِيَ الوَيْلُ

وقوله : « اشتعل » أي ، فشا وانتشر ، مأخوذ من « أَشعَلْتُ النارَ أُشعِلُها » ؛ إذا أَوْقَدتُّها . شَبَّه انتشارَ البياضِ في السواد بانتشار النار في الغضى . و « الغضى » ضربٌ من الشجر ناره بطيئة الخمود ، وقد كثرتِ الشعراء من ذلك بذكرها له . « وجزل الغضا » ما غلظ منه ؛ ويقالُ : « أجزلت له العطاء » أي أكثرت له ، و « عطاء جزل » و « جزيل » أي كثير ؛ ومنه قول الأعشى :

وصبرٌ على الدهر في رُزْئِهِ وَإِعْطاء كَفٍّ وَإِجْزالِها[2]

ويقـال في غير هـذا : « جزلت الصيدَ » إذا قطعته بين اثنين[3] ، و « امرأةٌ جزلة بَيِّنةُ الجزالة » ؛ إذا كانت ذات رأي وحَزْم .

---

(١) لم نعرف قائله ، ولا وجدناه في مكان آخر .

(٢) ديوانه ، ص ١١٩ ، من قصيدة يمدح بها إياسا ، وقبل البيت ممـا لا يفهم المعنى إلاّ به - :

وإنَّ إياسـاً متى تدعه إذا ليلة طال بلبالها

أخٌ للحفيظةِ حمّالُهـا حشودٌ عليها وفعّالُها

وفي الحربِ منهُ بلاءٌ إذا عوانٌ توقّدَ أجذالُها

وصبرٌ ... البيت .

(٣) في الأصل : « أجزلت الصيد » وما أثبتناه عن اللسان (جزل) ، وفيه : « جزلت الصيد جزلا : قطعته باثنتين » . اهـ

٣ فَكَانَ كَاللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ حَلَّ فِي   أَرْجَائِهِ ضَوْءُ صَبَاحٍ فَٱنْجَلَىٰ
٤ وَغَاضَ مَاءُ شِرَّتِي دَهْرٌ رَمَىٰ   خَوَاطِرَ ٱلْقَلْبِ بِتَبْرِيحِ ٱلْجَوَىٰ

يعني الشَّعْر من شدة سواده ، فكان كالليل البهيم ؛ وهو الشديد السواد . ويقال : « أسود بهيم ، وأسودُ حالك ، وداجٍ ، ودَجوجيّ ، وغِرْبِيبٌ ، وغُرابي » كل ذلك إذا اشتدّ سواده : فإذا كان مع ذلك مجتمعاً كثيفاً قيل : « شعر مُعْلَنْكِكٌ ، ومعلنكش » فإذا بدأ فيه الشيب قيل : « بلَّغ فيه الشيب تبليغاً ، وثقَّبه تثقيباً ، ووخَزَه وخْزاً ، ولَهَزَهُ لَهْزاً » فإذا زاد على ذلك قيل « أخلس رأسُه » ، فهو « مُخلِسٌ وخليس » ، فإن غلب بياضُه سوادَه فهو « أغثم » ، وأنشدوا لذلك[1] :

إمّا تَرَيْ شَيْباً عَلاَنِي أَغْثَمُهْ   لَهْزَمَ خَدَّيَّ بِهِ مُلَهْزِمُهْ
وعَمَّ الرَّأْسَ به مُعَمِّمُهْ[2]

وقوله : « حلَّ » أي نَزَل بالمكان ، حَلَّ حلولاً ، وأنشدوا لزهير :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ   فِي دِينِ عَمْرٍو وحالت بيننا فَدَكُ[3]

---

(١) الرجز لبعض بني فزارة .

(٢) نوادر أبي زيد ، ص ٥٢ ، والأولان منه في اللسان : (غثم ، لهزم) وهما مع ثلاثة أخر في شروح السقط ١ / ٢٩٣ – ٢٩٤ . وفي الأصل « له ملهزمه » والصواب من المصادر السالفة .

(٣) ديوانه ، ص ١٨٣ ، والكامل ، ص ٢٨٣ وهو من كافيته المشهورة التي قال فيها الأصمعي : « ليس للعرب قصيدة كافية أجود من هذه » ومطلعها :

بان الخليط ولم يأووا لمن تَركوا   وزودوك اشتياقاً أيَّةً سلكوا

وكان من خبرها أن الحارث بن ورقاء الصيداوي – من بني أسد أغار على بني عبد الله بن –

و « أرجاؤه » : نواحيه ، والواحد « رجاً » مقصور . وأما « الرجاء » من الأمل ، فهو ممدود ؛ ومنه قول الشاعر [1] :

كَمْ مِنْ حَفِيرٍ في رَجا بئرٍ لِمُنْقَطِعِ الرَّجاءِ [2]

وقوله « فانجلى » أي ذهب يقال : « انجلى ينجلي انجلاء » ، فهو « منجل » ؛ قال امرُؤُ القيس بن حُجر :

أَلاَ أَيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ وَما الإِصْباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ [3]

وقوله « غاض » أي نقص ؛ ومنه قوله عز وجل (وغيض الماء) [4] أي نقص . والعرب تقول : « هو بماء شبابه » ، و « في شِرَّةِ شبابهِ » ، و « شَرْخِ شبابه » ؛ إذا كان في أولِ شبابه ، فإذا أرادوا الكِبَرَ قالوا : « غِيض ماء شبابه » أي نقص وذهب . ويقال أيضاً : « تَغَضْغَضَ الماء » إذا انتقص وأنشدوا [5] .

- غطفان ، فغنم واستاق إبل زهير وراعيه يساراً ، فقال زهير هذه القصيدة يقرع الحارث ويتوعده بالهجاء ، وبعد البيت :

لَيَأْتِيَنَّكَ مني منطقٌ قَذَعٌ باقٍ كما دنَّس القبطية الودكُ

وجو : واد . دين عمرو : طاعته ، يريد عمرو بن هند . وفدك : قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان . والقذع : القبيح . والقبطية : كل ثوب أبيض . والودك : الدسم .
يقول : لئن حللت بحيث لا أدركك ليردنّ عليك من هجوي ما يدنس عرضك كما يدنس الودك القبطية .

(١) هو ابن دريد صاحب هذه المقصورة .

(٢) ديوانه ، ص ٢٩ من قصيدته في المقصور والممدود ، وبعده — :

غطّى عليه بالصفا أهل المودّة والصفاء

(٣) ديوانه ، ص ١٨ ، وهو من معلقته المشهورة .

(٤) سورة هود ، الآية : ٤٤

(٥) البيت للأحوص .

سأَطْلُبُ بالشامِ الوليد فإنهُ هو البحرُ ذوالتيّارِ لا يتغضغضُ[1]

و « الشِرّةُ » : الحِدَّةُ والنشاط ، وليس للشِرَّةِ ماء وإنما هذا مثلٌ. و « الخواطر » جمع خاطرة ، و « خواطر القلب » : ما يخطر فيه من المُنى. و « التَّبريحُ » الشدة ، والعرب تقول : « بَرَّح بي هذا الأمر » ، و « برّح بي حبُّ فلان » أي حملني على المكروه الشَّنِـع . و « الجوى » تأثير الحُزن في القلب . وقيل : « الجوى » سقم البطن من طول المرض ، يقال : « جَوِيَ الرجُلِ يجوَى جوى شديداً » إذا أصابه ذلك ؛ فمعنى البيت : أذهَبَ ماء شِرَّتي ولَهْوي دهرٌ رمى قلبي بهذا الداء .

* * *

٥ وَآضَ رَوْضُ اللَّهْوِ يبساً ذاوِياً مِنْ بَعْدِ ما قَدْ كانَ مَجّاجَ الثَّرى

٦ وَضَرَّمَ النَّأيُ الْمُشِتُّ جَذْوَةً ما تأْتَلي تَسْفَعُ أَثْناءَ الْحَشا

« آض » أي عاد . يقال : « آض يئيض أيضاً » ؛ ومنه قولهم : « قال أيضاً » أي عاد إلى مثل الذي تقدم من كلامه . و « اليَبْسُ » : الخِلقَةُ . يقال : «حطب يَبْسٌ» إذا كان شجرُه يابساً قبل أن يُحْطِبَ فيكون يَبْسُه كأنه خِلقَةٌ ، و « يابِسٌ » : إذا قطعته وهو رطب ثم جفَّ . و « روضُ اللهو » مَثَلٌ . و « الذاوي » هو الجافي يقال : «ذَوَى العودُ يذوي ذُوِيّاً » إذا جفَّ . وفي الحديث « أن عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه كان يستاكُ وهو صائمٌ ، ولكنه يستاك بعود قد ذوى » ؛ قال ذو الرمة :

---

(١) اللسان (غضض) .

كأنما نفضَ الأحمالَ ذاويةً   عَلَى جوانبه الفِرصادُ والعنب[1]

و « مجّاج » . فعّال من قولهم : « مجّ الغُصْنُ الماء » ؛ إذا ألقاه عَلَى قشره الأعلى ؛ و « مجّ الرجل الماء » ، إذا ألقاه من فيه ؛ ومن كلام الزُّهري[2] : « الأذن مجّاجة وللنفس حَمْضة » . يعني أن الأذن تمُج كل ما وُعظت به ، أي تُلقيه فلا تَقبلُه . و « الثرى » : التراب النديّ ؛ وهذا مثل . يقول : عاد ما كان من ليونتي في حين غضارتي ونعمتي إلى أن ذوى ويَبس ، وقد كان ثراه يمج الماء أي يلقيه .

« والثرى » يكتب بالياء لأن تثنيته ثريان . و « الثراء » بالمدّ كثرةُ المالِ قال حاتم :

أماويَّ ما يُغني الثراء عن الفتى   إذا حَشْرجتْ يوماً ، وضاقَ بها الصَّدْرُ[3]

وقال آخر[4] :

---

(١) ديوانه ، ص : ١٩ ؛ اللسان : (فرصد) وهو من قصيدته البائية المشهورة التي مطلعها - :

ما بال عينك منها الماء ينسكب   كأنه من كلى مفريةٍ سرب

والفرصاد : التوت ، أو شجره ، وقال في اللسان بعد إنشاد البيت : « اراد بالفرصاد والعنب الشجرتين لاحملها . أراد كأنما نفض الفرصاد أحماله ذاوية ، نصب على الحال ، والعنب كذلك . شبه أبعار البقر بحبّ الفرصاد والعنب » . ا هـ

وفي الأصل : « كأنها نقض .. » والصواب من المصدرين السالفين .

(٢) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، الامام العلم ، وأول من دون الحديث ، وأحد كبار الحفاظ والفقهاء من التابعين ، من أهل المدينة مات بشغب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤ هـ .

(٣) من قصيدة في ديوانه ، ص : ٢٩ ، والخزانة ٢ / ١٦٣ ، والأغاني ١٦ / ١٠١ ، والعقد ١ / ١٤٦ .

(٤) هو علقمة بن عبدة المشهور بـ « الفحل » .

يُرِدْنَ ثَراء المالِ حيثُ عَلِمْنَهُ   وشَرْخُ الشَّبابِ عِنْدَهُنَّ عَجيبُ(1)

قاعدة :

« وكل ممدود كانت فيه الألف واللام فكتابته بالألف في آخره ، نحو : الدعاء والغِناء من الصوت ، والعلاَء من الشرف وما أشبه ذلك ، فإذا حذفت منه الألف واللام كان مصدراً وكتب بألفين كقولك : ناديت نداءا وجازيت جزاءا ، وكان الأصل فيه أن يكتب ثلاث ألفات ، فكرهوا الجمع بين ثلاث صور ، فاقتصروا على ألفين . وقوله « ضَرَّم » أيْ أَوْقَدَ ، ويقال : « ضَرَّمتُ النار » و « أضْرَمْتُها » و « الضِرام » الحطب الدقيق الذي يُشعَلُ به الغليظُ . و « النَّأْي » البُعد . يقال : « نأى ينأى نأياً » أي بَعُدَ ؛ قال الأعشى :

هي الهمُّ لو ساعفتْ دارُها   ولكنْ نأىٰ عنكَ تَحلالُها(2)

---

(٦) هو البيت العاشر من مفضليته المشهورة ، أنظر المفضليات ، ص ٣٩٠ – ٤٠٣ ومطلعها :

طحا بكَ قلبٌ في الحسان طروبُ   بُعيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ

وقد قالها يمدح الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني ، وكان قد أسر أخاه شأساً فرحل اليه يطلب فيه . وهذه القصيدة إحدى قصائد ثلاث لعلقمة قال فيهن ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ، ص ١١٦ : « لابن عبدة ثلاث روائع جياد لايفوقهن شعر » . وهذا البيت آخر ثلاثة أبيات حكيمة وصف بها طباع النساء ، وقبله :

فإنْ تَسْألوني بالنِّساء فإنَّني   بصيرٌ بِأدواء النساء طبيبُ

إذا شابَ رأسُ المرء أو قلَّ مالُهُ   فليسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصيبُ

يردْن ثراء . . . البيت .

وفي رسالة الغفران ص : ٢٤٢ يقول على لسان ابن القارح يخاطب علقمة : « لو شفعت لأحد أبيات صادقة ليس فيها ذكر الله – سبحانه – لشفعت لك أبياتك في وصف النساء » وذكر الأبيات الثلاثة

(١) أما القاعدة التي نجري عليها اليوم فأن تكتب بألف بعدها همزة في جميع أحوالها .

(٢) ديوانه ، ص : ١١٧ ، من قصيدته التي سلف منها بيت ، ص : ٦

وقال زهير بن أبي سُلمى :

وكلُّ محبٍّ أحدثَ النأيُ عنده سُلوَّ فؤادٍ غيرَ حبِّك ما يَسلُو [1]

و « المشتُّ » : المفرّق . من قولهم : « شَتَّ شملُ فلان » إذا تفرق جمعه . وأنشدوا لذلك [2] :

شَتَّ شَعْبُ الحيِّ بعد التئام وشجاكَ الرَّبعُ ربعُ المقام [2]

و « الجذوة » : الجمرة المتصلة بالحطب كأنها قطعة خشب بعضُها محترقٌ وبعضُها باقٍ مشتعلٌ . وقوله « ماتأيلي » أي ما تقصّر و « تأتلي » تفتعل من « ألَوتُ » يقال : « ما ألَوتُ في كذا » أي ؛ ما قصّرت : واسم الفاعل « آلٍ » قال : امرُؤ القيس بن حجرُ :

وما المرءُ ما دامتْ حُشاشةُ نَفْسِهِ بمدركِ أطرافِ الخُطوبِ ولا آلي [3]

وقال آخر [4]

إذا أعجبتْكَ الدَّهْرَ حالٌ مِن امرئٍ فدعْهُ ، وواكِلْ حالَهُ واللَّياليا

يجئْنِ علَى ما كانَ من صالحٍ به وإن كان فيما لا يَرى الناسُ آليا

---

(١) ديوانه ، ص : ٩٧ ، ويروى :

وكل محب أعقب النأي لبه سلوَّ فؤاد غير لبك ما يسلو

(٢) البيت للطرّماح بن حكيم .

(٣) ديوانه ، ص : ٩٥ ، وهو مطلع القصيدة .

(٤) ديوانه ص : ٣٩ ، وهو ختام لاميته المشهورة التي مطلعها :

ألا عِمْ صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمنْ من كان في العصر الخالي

(٥) لم نعرف من هو ولم نجد إلا الأول منها ، استشهد به في حاشية شرح ابن عقيل على الألفية ١ / ٥٠٣ على كون « الواو » من « واللياليا » للمعية ، وفي ١ / ٥٢٨ على تذكير لفظ الحال ، ولم ينسبه .

ويقالُ : «ألوتَ الشيء » بمعنى « استطعته » والعربُ تقول : « ما ألوت الصيامَ » أي ما استطعته . وقيل : هذا كلـه من قول العرب في الدعاء على الإنسان : « لادريتَ ولا ائتليتَ » . وقال يحيى بن زياد الفراء : يكون « ائتليت افتعلت » من « ألوتُ في الشيء » إذا قصّرت فيه . والمعنى : لادريت ولاقصّرت في طلب الدراية ثم لايدري . وقيل : « ائتليت : افتعلت » من « ألوتَ الشيء » إذا استطعتَه والمعنى : لادريتَ ولا استطعتَ أن تدري ، وقيل في هذا المثل غير هذا . قيل الرواية : « لادريت ولا أتليتَ » وتكونُ من « الإتلاء » ؛ أي ولا أتلتْ إبلك ، أي ولا ولدت إبلك أولاداً تتلوها . وقيل : « دريتَ ولا تلوتَ » أي لا دريت ولا أحسنتَ أنْ تتبعَ من يدري . وحكي : « ولاتليت» بمعنى « تلوت » . وقلبوا الواو ياء [1] ليـكون على مثال دريت . وقوله « تسفع» أي تحرِق . من قولهم : « سفَعَته النارُ » إذا خطفته ، وغيرّت لونَ البشرةِ منه . وأنشدوا :

وأسْفعْ . . ذنوبَ وجوهِهم فكأنهم وأبوهُمُ سامٌ أبوهُمْ حامُ [2]

وأما قوله عز وجل (لنسفعاً بالناصية [3]) فقيل هو من هذا المعنى ، أي لنسفعنْ وجهَه بالسوادِ واُحتج قائل هذا بقول الشاعر : [4]

---

(١) في الأصل : « قلبوا الواو لاما وليكون » ولعل الصواب ما أثبت . يريد أنهم قلبوا واو « تلوت » ياء دونما موجب لهذا الاعلال إلا مراعاة « دريت » ليجري اللفظان على نسق واحد ، على نحو ما جاء في الحديث «ارجعن مأزورات غير مأجورات» والأصل «موزورات» لأنه من « الوزر » فقلبت الواو همزة مراعاة للفظ « مأجورات » .

(٢) لم نجده فيا بين أيدينا من مصادر .

(٣) سورة العلق ، الآية : ١٥

(٤) هو الأعشى

وَكُنْتُ إذا نفسُ الغويّ نَزَتْ بِهِ ... سَفَعْتُ عَلَى العِرْنِينِ منه بِمِيسَمِ (1)

وقال آخر معنى (لنسفعاً بالناصية) لنأخذنَّ بها ؛ وأنشدوا : (2)

قَوْمٌ إذا سمعوا الصريخَ رأيتَهمْ ... مِنْ بين مُلْجِمِ مُهْرِهِ أوْ سافِعِ (3)

والمعنى أو آخذٌ بناصية فرسه . والأصل « لنسفعَنَّ » بنون مشددة وخففت النون فصار « لنسفعنْ » ، فكتبت بألف للوقوف عليها . و « السُفعة » في دمنةِ الدار : رماد وقتام متلبِّد فتراه مخالفاً للون الأرض. ولا تكون سفعة في اللون إلاَّ سواداً مُشْرَبا بحمرة .

« واثناء الحشا » ما انثنى ودخل بعضهُ في بعض . و « الحشا » مارَقَّ من البطن . و كتابته بالألف لأنه مما يثنَّى بالواو فيقال : حشوان . وحكى أبو العباس ابن ولاّد (4) أن من العرب من يثنِّيه بالياء ، فيقال : حشيان . فعلى هذا يكتب بالياء والألف .

* * *

٧ واتَّخذَ التَّسْهيدُ عَيْني مَألَفَاً ... لَمَّا جفا أجْفانَها طَيفُ الكَرى

٨ فَكُلُّ ما لاقيتُهُ مُغْتفَرٌ ... في جَنْبِ مَا أسَارَهُ شَحْطُ النَّوى

---

(١) ديوانه ، ص ٩٤ ؛ اللسان (سفع) الأساس (طمو) . وفي الديوان : «نوت به» ولعله تصحيف صوابه ما هنا ، وروايته أيضا : « صفعت على العرنين » بالصاد . وفي الأساس « طمت به »

(٢) لم نعرف قائله .

(٣) اللسان ، والأساس : (صرخ ، سفع) غير معزو .

(٤) هو أحمد بن محمد بن ولاد ، أبو العباس التميمي . نحوي مصري أصله من البصرة ، له كتب منها « المقصور والممدود » و « انتصار سيبويه على المبرد » توفي سنة ٣٣٢ هـ .

« اتخذ » افتعل من « أخذ » . والأصل « ائتخذ » وأبدل من الهمزة الساكنة « ياء » لانكسار ما قبلها ، فصارت « ايتخذ » وأبدل من الياء تاء وأُدغمت في التاء كما يفعل في « افتعل » من « اتبع » « واتَّأَس » وما أشبهه ؛ و « التسهيد والسُّهاد » : الامتناع من النوم وهو الأرقُ ؛ وأنشدوا[1] :

أمّا النهارَ فإنّني متلدّد   وَاللّيْلَ بِالأرَقِ الطّويلِ أبيتُ

و « طيف الكرى » ما تراه في منامك في صورة مَن تُحب أو تكره . « والكرى » : النوم . يقال « رجلٌ كرٍ » ، مثل « عمٍ » ، و « شجٍ » وهو « فَعِلٌ[2] » وأصله « كَرِيٌ وعَمِيٌ وشَجِيٌ » فاستثقلت الضمة على الياء المكسور ما قبلها ، فحذفت ، فبقي التنوين ساكناً ، وصار التنوينُ خلَفاً من المحذوف ، وجاز ذلك حين كان فيما بقي دليلٌ على ما أُلقِيَ . فإن قيل : فهلا حذفُ التنوين ، وتُركت الياء ؟ قيل : الياء حرفٌ وحذف الحرُوف لا يُخلّ بالاسم والتنوينُ علامة الصرف والعلامة لا تحذف . وكذلك الجواب في « قاض » و « رام » و « غازٍ » وما أشبه ذلك . « والكرى » في غير هذا دِقة الساقين و « الكرى » جبلٌ بالطائف ، و « الكرى » : الكروان ؛ ومنه قول العرب :

أطرق كرا أطرِق كرا   إنّ النعامَ في القُرى[3]

---

(١) لم نجده في شيء مما بين أيدينا من المصادر . والمتلدد : الذي يتلفت يميناً وشمالاً من الحيرة

(٢) في الأصل : « مفتعل » وهو خطأ من الناسخ لاشك فيه ، صوابه ما أثبت .

(٣) المقاييس ٥ / ١٧٠ ، وأورده في الخزانة ٢ / ١٥٤ شاهداً على الترخيم ، وهو مثل ، قال الميداني في مجمع الأمثال ١/ ٤٣١ : يقال : الكرا : الكروان نفسه ، ويقال : إنه مرخم —

قيل : إنما يُضربُ لمن يُتَـكلمُ عنده ، فيظن أنه المُرادُ بالـكلام ، فيقال له: ذلك ، أي أسكت فإني أُريدُ من هو أرفَعُ مِنك ، وقيل إنما يقالُ ذلك للرجلِ الحقير إذا تـكَلَّمَ في المَوضِع الذي لا يَنْبَغِي لهُ أنْ يَتَـكلمَ فيه ، فيَقالُ له : اسكُتْ ياحقيرُ فإنَّ الأجلاّء والأعزّاء أولى بهذا الكلامِ . وإنمـا يُخاطبُ الـكَرَوانُ والمعنى لغيره فجعلوا الـكَرَوان كأنه الذليلُ ، والنعامَ كأنه العزيز

وقوله : « فـكلُّ ما لاقيتَه مغتفر » الفاء جوابُ الشَرطِ في قولهِ « إما تَرَىْ رأسيَ » ثُمَّ ذكَرَ مالقيه ، وجَعلَه داخلاً في القصة ، وجعل الجوابَ في الفاء من قوله : « فـكلُ مالاقيتهُ مغتفرٌ » . ولا يـكون جواب الشرط إلا بفعل أو فاء . وخُصت الفاء بذلك لأن الفاء فيه بعد الأولِ ولا مهلة بينهما . إذا قلت أتاني زيد فعمرو ، كان أحدهما بعدصاحبه يتلوه، فلذلك جُعلت جوابَ الشرط ليكون الجوابُ يتلو الشرطَ . وقوله « مغتفر » من قولهم : « اغتفرت ذنبه » ؛ اذا سترته وغطّيته وفي الدعاء : « اللّهم اغفر لنا ذنوبنا » أي غطّها ويقال : « كذا أغْفَر من كذا » أي أستر ، و « غفَرُ الخزِ والصوفِ » : ما علا فوق الثوب منهما ، كالزِّئبرِ

- الكروان ، وجمع الكروان الكروان بكسر الكاف ومثله فرس صنتان بالتحريك... ، قال الخليل : الكرا : الذكر من الكروان ، ويقال له : أطرق كرا ، إنك لن ترى : قال : يصيدونه بهذه الكلمة ، فاذا سمعها يلبد في الأرض ، فيلقى عليه ثوب فيصاد ، وقال أبو الهيثم : هو طائر شبيه البطة لاينام بالليل ، فسمي بضده من الكَرَى . قال : ويقال للواحدة كروانة ، والجمع الكِرْوان والكرى .

وهو يضرب للذي ليس عنده غناء ويتكلم فيقال له : اسكت ، وتوَقّ انتشار ما تلفظ به كراهة مايتعقبه .

وقولهم « إن النعامة في القرى » أي تأتيك فتدوسك بأخفافها . أ هـ

سُمي غَفَراً لاستتار الثوب به ، ويقال : لُجنةِ الرأس « مِغفر » ؛ لأنها تستر الرأس و « الغفور » صفة من صفات الله عز وجل ، فكأن معناه الساتر لعبده برحمته ، والمغطي لذنوبه . وقوله « في جنب » أي من أجل ما أسأره ، ومعنى « أسأره » أبقى له ، و « السؤر » مهموز ، البقية من الشيء . ومنه قول الفقهاء : « لا بأس بسؤر الحائض والجنب » أي ؛ بما يبقى بعد غسلهما من الماء في الإناء . ومنه قول بعضهم يوصيهم : « إذا شربتم فأسئروا » أي اتركوا في الإناء بقيةً . « والسُور » غير مهموز ؛ سوَر المدينة ، وأصله من الارتفاع ، مأخوذ من قولهم : سار يسور سَوْراً ؛ اذا علا ؛ ومنه قول الشاعر (١)

لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضعت ... سُورُ المدينةِ وَالجِبالُ الخُشَّعُ (٢)

يقال : « لفلان سورة في المجد » أي علو وارتفاع . وسميت «سُورة القرآن» ؛ لعلوها وارتفاعها ؛ ومنه قول النابغة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعطاكَ سُورةً ... تَرى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يتَذَبْذَبُ (٣)

---

(١) هو جرير بن عطية .

(٢) ديوانه ، ص ٣٤٥ ، من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ، ويذكر فيها مصرع الزبير بن العوام رضي الله عنه ويهجو عمرو بن جرموز قاتله ، لأن قوم جرير كانوا زبيريي الهوى ؛ والبيت من الشواهد الكثيرة الدوران في الكتب ، وقبله :

إن الرزية من تضمن قبره ... وادي السباع ؛ لكل جنب مصرع

لما أتى ... البيت .

(٣) ديوانه ، ص : ٢٢ ، من قصيدة يمدح بها النعمان ويعتذر اليه ، وثاني البيتين من الأبيات المضروب بها المثل في حسن التشبيه . انظر الكامل للمبرد ، ص ٧٤١ ، وقد ذكر الشريف المرتضى في أماليه ١ / ٤٨٦ - ٤٨٧ خبرا عن إبراهيم بن العباس الصولي أنه ذاكر في -

بأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ   إذا طلعتْ لم يَبْدُ مِنهُنَّ كَوْكَبُ

و « الشحط »: البعدُ. و« النوى » : التفرق. وقال الأصمعي: « النوى » : المكان الذي تنويه وتقصده . والأول قول أبي عبيدة معمر بن المثنى وهو أشبه بالصواب .

٩ لَوْ لابَسَ الصَّخْرَ الأَصَمَّ بعضُ ما   يلقاه قلبي فَضَّ أَصلادَ الصَّفا

١٠ إذا ذَوى الغصنُ الرطيبُ فاعلمنْ   أَنَّ قُصاراهُ نَفاذٌ وَتَوى

قوله « لو لابس » أي لو خالط وقارب ؛ ومنه قولهم : « مالكَ وملابسة زيد » ؛ أي ؛ مخالطته ومقاربته . « والصخر الأصم » الذي لا صدع فيه . ومنه « رجل أصم » وهو الذي تستدّ مسامعه كأنه لا خرق فيهما . ومنه الذي جاء في الحديث (أن النبي صلوات الله وسلامه عليه نهى عن اشتمال الصماء) قال الأصمعي : هو عند العرب أن يشتملَ الرجلُ بثوبه فيجلل به جسده كلَه لا يرفع منه جانباً ، فيخرج منه يده ، وربما اضطجع فيه على هذه الحال ، كأنه يذهب إلى أنه لا يدري لعله يصيبه بشيء يريد الاحتراس منه ، وأن يقيه بيديه فلا يقدر على ذلك لإدخاله إياهما في ثيابه فهذا كلامُ العربِ . وهو مأخوذ مما ذكرنا . وأما الفقهاء فإنهم يقولون : هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيرُه، ثم يرفعَه من أحد جانبيه ، فيضعَه على منكبه ، فيبدوَ ، منه فرجه . فالفقهاء أعلم بالتأويل في هذا .

- معنى هذا البيت القاسم بن اسماعيل أبا ذكوان الراوية فقال له : ما عندك في قول النابغة :
ألم تر . . . البيتين

فقال : أراد تفضيله على الملوك ، فقال ابراهيم : صدقت ولكن في الشعر خبء ، وهو أنه اعتذر إلى النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم ، وقال : إنما فعلت هذا لجفائك لي ، فاذا صلحت لي لم أرد غيرك ، كما أن من أضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب . فأتى بمعنيين : بهذا وبتفضيله . قال أبو ذكوان : فاستحسنت ذلك منه . » اه

وذلك أصح معنى في الكلام والله أعلم. وقوله « فضَّ أصلاد الصفا » أي ؛ فرّق وكَسَّرَ « والفض » الكسر في كل شيء، والعرب تقول : « فضَّ الله فاه » أي كسر أسنانه . ورُوي أن النبي صلوات الله وسلامه أنشده النابغة الجعدي :

ولا خيرَ في حِلمٍ إذا لم تَكنْ له بوادرُ تحمي صَفوَه أن يُكدَّرا[1]

ولا خَيرَ في جهل إذا لم يكن له أديبٌ إذا ما أورد الأمرَ أصدرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يفضض الله فاك » فمكث مئة وعشرين سنة ، وكان من أحسن الناس ثغراً ، وكان إذا سقطت له سن نبتت له أخرى. ومنه فضضت طينة الكتاب ؛ قال الشاعر في صفة الخمر :[2]

إنَّ لهَا في الدِّنَانِ دَهْراً مَا فُضَّ مِنْ طِينها خِتَامُ

قد أكلت جسْمَهَا اللَّيالِي فحَلَّ من شربها الحرامُ

ويقال : فضَّ فلان العَطاء في الناس » ، إذا فرقه فيهم . ومنه « انْفَضَّ القوم » أي ؛ تفرقوا ، ومنه قول الله تبارك اسمه مخاطباً لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :(ولو كنت فظاً غليظَ القلب لاَنفضُّوا من حولك[3]) أي ؛ لتفرقوا . وقوله عزّ اسمه : (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها[4]) أي ؛ تفرقوا إليها . ومنه

---

(١) البيتان من جمهرته المشهورة وهذا الخبر ، لا تكاد تخلو منه ترجمة للنابغة ، انظر سمط اللآلىء ، ص ٢٤٧ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ص : ٣٢١ ، وأمالي المرتضى ١ / ٢٦٦ ، والأغاني ٤ / ١٣٠ (طبعة الساسي) . وسواها كثير .

(٢) لم نعرف من هو ولا وقفنا على البيتين في مكان آخر

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩

(٤) سورة الجمعة ، الآية: ١١

قول العرب : « أصاب بلادَ بني فلان غيثٌ فضيض » أي ، متفرق . و« الأصلاد » جمع صَلْدٍ ، « والصَّلد » الصلب من الحجارة الأملس ؛ قال الله عز وجل :(فتركه صلداً)[1] أي صلبا أملسَ و « الصفا » جمع صفاة ؛ وهي الصخرة الملساء وكتابته بالألف لأن تثنيته « صفوان »

والصفاء من المودّة ومن المـاء ومن كل شيء خالص ، ممدود ومنه قول الشاعر[2] :

غطّى عليه بالصفـا   أهلُ المودة والصفاء[3]

وقوله « إذا ذَوَى الغصن الرطيب » أي ؛ إذا جفَّ ، وقد مرَّ تفسيره مشبعا و : « اعلماً » نون خفيفة . وكتابتها بالألف للوقوف عليها . وقال الأعشى ، وقد وقف على النون الخفيفة :

وسبِّحْ عَلَى حين العشياتِ والضُّحى   ولا تعبدِ الأوثانَ واللهَ فاعبدا[4]

أراد فاعبدن ، فوقف عليها بالألف . و « وقصاراه » : غايتهُ التي يبلغُ اليها ؛ ومنه قول الشاعر[5] :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٤

(٢) هو ابن دريد

(٣) البيت من قصيدته في المقصور والممدود ، ديوانه ، ص ٢٩ ، وقد سلف من هـذه القصيدة بيت ، ص ٤

(٤) ديوانه ، ص: ١٠٣ من قصيدته في مدح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إلا أن التبريزي لفق هذا البيت من بيتين ، فركب صدر أحدهما على عجز الآخر ، ورواية الديوان - :

وذا النُصُبَ المنصوبَ لا تنسُكَنَّهُ   ولا تَعْبُدِ الأوثانَ واللهَ فاُعبُدا

وصَلِّ عَلَى حينِ العشياتِ والضّحى   ولا تحمَدِ الشيطانَ واللهَ فاُحمَدا

(٥) لم أعرف قائلها ، ولا وجدتها في شيء مما بين يديَّ من الكتب .

إن التواني أنكح العجزَ بِنتَه   فساق إليها حين أنكحها مَهرا
فِراشاً وَطِيّاً ثم قل لها : اتكي   قُصاراهما لا شك أن يلِدا الفقرا

و « النفاد » الذهاب والفراغ . يقال : « نفِدَ الشيء ينفَد نفَاداً » ؛ إذا ذهب وفَرَغ ؛ ومنه قول الله جل اسمه: (ما عندكم ينفدُ وما عند الله باق[1]) و « التوى »: الهلاك ، يقال « تَوِي يتوَى توىً » ، إذا هَلَكَ . وأما « الثواء » بالثاء والمدّ ؛ فهو الإقامة . يقال : « ثويت بالمكان أثوي ثَواء » ؛ إذا أقمتَ به . قال الله عز اسمه :(وما كنت ثاوياً في أهل مدين[2]) أي ؛ مقيما . ومن الناس من يقول : « أثوَى » بالألف وهي أضعف اللغات ؛ ومنه قول الشاعر[3] :

أثوىٰ وقَصَّر ليلَهُ ليُزَوّدا   وَمَضىٰ وأَخْلَفَ مِنْ قُتَيلةَ مَوْعِدا[4]

ومعنى بيتِ أبي بكر أنه يقول : إذا رأيت الغصن بعد اخضراره ذاوياً ، فاعلمْ أنّ غايتهَ إلى الفناء والذهاب . وهذا مثل ضرب به لنفسه يقول : فكذلك أنا غيرّ الدهرُ شبابي وأذهبَه ، فغاية أمري إلى هلاكي وذهابي .

١١ شَجيتُ لا بل أجْرَضَتني غُصةٌ   عَنودُها أَقتلُ لي من الشَّجى
١٢ إنْ يَحْمِ عَنْ عَيْني البُكا تجلُّدي   فَالقَلْبُ مَوْقوفٌ على سُبْلِ البُكا

قوله « شجيت » أي غصصت، والشجى: الغصص مقصور يكتب بالياء ؛ يقال:شَجِي يشجى شجى ؛ إذا غصّ . و « الشجى » منزل من منازل مكة . وزعم

(١) سورة النمل ، الآية : ٩٦ ، وفي الأصل : « ماعندهم » وهو سهو من الناسخ .
(٢) سورة القصص ، الآية : ٤٥
(٣) هو الأعشى .
(٤) ديوانه ، ص ١٥٠ ، وهو مطلع قصيدة

عبد الملك بن قُريب أنما سُمِيَ بذلك لأنه شجيَ بما حوله من الماء . ويقال في المثل: « ياويح الشجي من الخليِّ » مخفف الياء من الشجي وهو من « شجى يشجي شجى فهو شجٍ » مثل « طوى يطوي طوىً فهو طوٍ » والياء في « الخليِّ » مشددة و « الشجى » ، العظم أو العود يعترض في الحلق . قال الحجاج بن يوسف الثقفي [1] :

وَيَرَانِي كَالشَّجَىٰ في حَلْقِهِ   عَسِرٌ مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعْ

وأما « الشجو » فإنه الحزن. وقال بعض النظّار: « الحزن » اسم لما فضل عن الغَمِّ ، « والعشقُ » اسم لما فضل عن الحب ، و « السرف » اسم لما جاوز الجودَ ، و « البخل » اسم لما نقص عن الاقتصاد « والجبن » اسم لما فضل عن الاحتراس و « الهوَج » اسم لما فضل عن الشجاعة . وقيل لأبي العباس بن ولاّد [2] : « أبينَ المودة والعشق فرق أم لا ؟ » قال : نعم ، العشق مادخلته الريبة ، والمحبة والمودة ما سلمتا من الريبة ، وكان خالصاً . قال الله عز اسمه .

(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه [3]) ولا يجوز في هـذا يعشقهم

---

(١) كذا في الأصل ، عزاه للحجاج بن يوسف ، وهو وهم عجيب لم نجد من تابعه عليه ، والبيت أشهر من أن تخفى نسبته ، فهو لسويد بن أبي كاهل اليشكري من مفضليته المشهورة التي كانت تدعى « اليتيمة » أنظر المفضليات (ص ١٩٠ – ٢٠٢) وهـو البيت (٦٧) منها ، وقبله :

رُبَّ من أنضجت غيظاً قلبه   قد تمنّى ليَ موتاً لم يُطَعْ

ويراني . . . البيت   ويروى « عسراً » بالنصب

(٢) سلفت ترجمته ، ص : ٨

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

ويعشقونه لانه كُفر . وقوله « لابل أجرْضَتْني غُصة » من « الجريض » وهو ما يغص به عند الموت . ومنه المثل « حال الجريض دون القريض » وذكر أن أعرابياً منع ولده أنْ يقرِض من الشعر شيئاً ، قال : فشجي بها الغلام ، ثم أشرف على الهلاك فقال له أبوه لِما رأى من حاله : يا بُنَي اقرض شيئاً ، فقال : « يا ابتاه حال الجريض دون القريض »[1] و « الحَرَض » بالحاء المرض الذي يشفي على الموت منه صاحبهُ على الهلاك . ومنه قوله عز وجل اسمه (حتى تكون حَرَضا أو تكون من الهالكين[2])

و « عنودها » ما عاند منها أي ؛ عارضَ منها . و « العَنود » و « العنيد » ؛ المانع ، و « العاند » ؛ الناقة التي تمشي على غير قصد كأنها تُجانب الطريق وجمع العاند : « عُنَّدٌ » . قال الشاعر[3] :

إذا ركبتُ فاجعلوني وَسطاً   إني كبيرٌ لا أُطيقُ العُنَّدَا[4]

وقوله « يحم » أي ؛ يمنع ، وهو مجزوم ، وجزمه بحذف الياء من يحمي يقال : حَمَيْتِ المكان أحميه حمىً ؛ إذا منعته ، وحَمَيْت المريض ، إذا منعته من الغِذاء الضار و « البكاء » يُمد ويقصر ؛ ومنه قول حسان بن ثابت :

---

(١) مجمع الأمثال ص : ١ / ١٩١ ، ٦ وقد استشهد بن عبيد بن الأبرص حينما قتله المنذر ابن امرىء القيس ابن ماء السماء اللخمي ، وهو جد النعمان بن المنذر ، وقد قتله في يوم بؤسه . انظر الأغاني ١١ / ٨٦ ، الخزانة ٢ / ٥٥ .

(٢) سورة يوسف الآية: ٨٥

(٣) لم نعرف قائله

(٤) هو من الشواهد المشهورة الكثيرة الدوران في الكتب ؛ الاقتضاب ص : ٤١٥ ، القلب والإبدال ص : ٤٧ ، ألف باء ٢ / ٦٧ والخزانة واللآلي ص : ٧٢ وقال الأستاذ الميمني في تعليقاته على اللآلي ص: ٧٢ حاشية (٣) : « وهذا النحو من تغيير القوافي-

بكتْ عيني وحُقَّ لها بُـكاها وَما يُغْـنِي البكـاءُ ولا العويلُ[1]

فأتى باللغتين ، والعلة في هذا أن من قصَرَ ذهب به مذهب الصوتِ كأنه من الإعوال . و « التجلد » و « والجَلَدُ » واحد ؛ وهو التصبرُ قال الشاعر : [2]

وَتَجَلُّدِي للشـامتين أُرِيهِمِ أَنِّي لريبِ الدَّهرِ لا أتضعضعُ[3]

وسُمي القلبُ قلباً لتقلبه . وكان (رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : « يا مقلب القلوب ثبّتْ قلوبَنا على دينك[4]) فإن سَأل سائل عن قوله عز وجل: (ان في ذلك لذكرى لِمن كان له قلب)[5] هل يخلو أحـد من أن يـكون له قلب ؟ قيل : القلب ههنا العقل ؛ لأنه ليس كلُ أحد يكونُ عاقلاً . و « السبُلُ » جمع سبيل . وكان القياس أن يقول « سُبُل » مثل « رغيف » و « رُغُف » ؛ ولـكن سـكن هذا استخفافا عند الحاجة . ومعنى البيت ؛ أنه يقول : إنْ يَمنع التصّبرُ عيني من البـكاء فالقلبُ موقوفٌ على سبل الـبكاء.

* * *

١٣ لَوْ كانَتِ الأَحْلامُ ناجتْني بِما أَلْقاهُ يَقْظَانَ لَأَصْماني الرَّدى

– سماه ابن كيسان في تلقيب القوافي له : الإقواء ، والخليل على مافي الشعراء ص: ٣٠ الإجازة ، وصاحب الموشح ص : ١٩ الإكفاء » اهـ .

(١) ديوانه ص :   الكامل ١ / ١٣٠

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي

(٣) هو البيت ١٢ من عينيته المشهورة التي رثى بها بنيه الخمسة وقد توفوا في عام واحد ، وهي من عيون المراثي في الشعر العربي ، انظرها بتمامها في ديوان الهذليين ١ / ١ – ٢١ ، والمفضليات ص ٤٢١ – ٤٢٩ .

(٤) عزاه النوويّ في « الأذكار » ص ٣٤٩ ، إلى الترمذي » وقد حسنه .

(٥) سورة ق ، الآية : ٣٧

١٤ مَنْزِلَةٌ ما خِلْتُها يَرْضىٰ بِها لِنَفْسِهِ ذُو ارَبٍ وَلا حجىً

« ناجتني » أي سارَّتني . يقال : ناجيتُ الرجل أناجيه مناجاة ؛ إذا ساررته و « الرَّدى » الهلاك ،يقال: رَدِيَ يردَى ردى ؛ اذا هلك؛ قال الله عز اسمه(واتبع هواه فتردى [1]) أي ، فتهلك . و « اليقظان » : الذي ليس بنائم . يقال أيقظتُ الرجل ، إذا نبهتهُ من نومه ، أو من غفلةٍ كان فيها ، والفاعل « موقِظ »والمفعول « موقَظ » . وقوله « لأصماني الرَّدى » : أي لقتلني مكاني . يقال : « رميتُ الصيدَ فأصميته » إذا قتلتهُ مكانه . ومنه قول ابن عباس رضي الله عنه : « إن رجلاً أتاه ، فقال : إني أرى الصيد فأصمي وأنمي ، فقال : ما أصميت فكلْ ، وما أنميت فلا تأكلْ » و « الإصماء » ما قد ذكرناه ،و « الإنماء » ان يرمي الصيدَ فيصيبه ، فيتحامل الصيدُ بالرَّمية فيجده بعد ما غاب عنه ميتاً . يقال منه : أنميت الصيد أنميه إنماء فإن جعلت الفعل للرَّميَّة نفسِها قلت : « نمى ينمي » ومنه قول امرىء القيس بن حجر :

فَهْوَ لا تنمِي رَمِيته ما لَهُ لا عُدَّ من نَفَرِهْ [2]

أي ؛ لاتغيب عنه الرَّميةُ ولكنه يقتلها مكانها . ويقال أيضا « رماه فأشواه» إذا أصاب شَواه و « الشوى » ؛ الأطراف ، و « الشَّوى » ؛ جلدة الرأس . ومنه

(١) سورة طه ، الآيه ١٦

(٢) ديوانه ، ص ١٢٥ من قصيدته في وصف رام من بني ثعل . وقوله : « لاعد من نفره » دعاء عليه على وجه التعجب منه ، كقول القائل للجيد المحسن : « أخزاه الله ، وقاتله الله » . فيقول : إذا عد نفره فلا وجد فيهم ، دعا عليه بالفقود اهـ شرح الديوان .

قول الله عز اسمه : (نَزّاعَةً لِلشَّوى [١]) وقوله « منزلة ماخلتها » أي ؛ ماحسبتها، ولا ظننتها . ومنه قول الأعشى :

إذا أَدْبَرَت خِلتها دِعصة وتقبل كالظبي تمثالُها [٢]

و « منزلة » رفع على خبر الابتداء ، والابتداء مضمرٌ . والتقدير : منزلتي منزلةٌ لا يرضى بها ذو ارب . ويجوز أن يكون المعنى : هـذا الذي لو ناجتني به الأحلام لهلـكت ، وقد صبرت عليه [٣] يقظان، هو منزلة لا يرضى بها عاقل ولا ذو ارب ، أي ذو علم و « الارب » العلم والدهاء، و « الحجا » العقل، وسمي « العقل» عقلاً ، لأن الإنسان يعقلُ بهأمرَه أي ؛ يقيدُه به، أخذ من « عِقال البعير » .وهو حبل تُشدُّ به يداه . وفي المثل: « استراح في الدنيا من لاعقلَ له» .وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور ولا يَلذُّ له العيشُ ، والأحمقُ لايفـكر في شيء فعيشه لذيذ، أبداً .

وقال المتكلمون : مسكن العقل الدماغ ، وموضع الحق والباطل اللسان ، وموضع المذاق اللهاة ، وموضع السمع الأذن ، وموضع الحياء العينان ، وموضع الضحك الطحال ، وموضع الخديعة القلب ، وموضع الهمّ والفرح والحرص الفؤاد ، وموضع الفزع الأحشاء ، وموضع الصوت الـكليتان ، وموضع الرحمة الـكبد ، وموضع الغضب الرئة ، وموضع القوة المتنان ، وموضع الذرية الصلب ،

---

(١) سورة المعارج ، الاية ١٦

(٢) ديوانه ، ص ١١٧ . والدعصة : الكثيب الصغير ، شبه به عجيزتها .

(٣) في الأصل : « على » ولعل الصواب ما أثبتنا .

وموضع العمل اليدان ، وموضع المشي الركبتان، وموضع التعب الجسد كله ،وموضع النَّفْس الحياة وهو الدم .

* * *

١٥ شَيْمُ سَحَابٍ خُلَّبٍ بارِقُهْ وَمَوْقِفٌ بَيْنَ ٱرْتجاءٍ وَمُنىً

« شيم سَحاب » اي؛ مطرُ سحابٍ . يقال : « شِمْتُ البرقَ أشيمُهُ شَيماً »؛ إذا نظرت اليه قال امرؤ القيس بن حجر

يَشِيمُ بُروقَ المُزن أين مصابُهُ وَلا شيءَ يشفي منك يابنه عَفْزَرَا[١]

فإذا أمرتَ من هذا الفعل قلت للواحد : « شِم البرق » بغير ياء ، فاذا أمرت اثنين أو جماعة أو واحدة مؤنثة قلت : « شيما وشيموا وشيمي » ، فأثبتَّ الياء لأن العِلّةَ الموجبةَ لسقوطها في فعل الواحدِ المذكَّرِ معدومةٌ في التثنية والجمع والتأنيث قال الأعشى .

فقُلت لِلشَّرب في دُرْنا وقد ثَمِلوا : شِيموا، وكيف يَشيمُ الشارِبُ الثَّمِلُ؟[٢]

و « الشَيْم » النظر، الى البرق خـاصة ، ولا يقال : « شمت الرجل » بمعنى نظرت إليه إلا في كلام مرذول . ويقال أيضاً : « شِمْت السيف » إذا أغمدته « أشيمه شيما » وأنشد بعض اهل اللغة :[٣]

---

(١) ديوانه ، ص ٦٨

(٢) ديوانه ، ص : ٤٤ ، المعلقات ، ص : ١٩٠ ، الأساس (ثمل) .

درنا : كانت بابا من أبواب فـارس ، وهي دون الحيرة بمراحل ، وقيل : باليمامة . والثمل : السكران .

(٣) هو الفرزدق .

بِأَيْدِي رِجالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ ... وَلَمْ تَكْثُرِ القَتلَى بها حِينَ سُلَّتِ [١]

وهذا البيت ظاهرهُ عند من لايحسنُ العربيةَ الميل الى الهجاء ، وهـذا من أحسن المدح . ومعناه أنه يصف قوماً يقول : لم يغمدوا سيوفهم إلا بعدَ أن أكثروا بها القتلى مسلولةً . وهذا كما يقول لم أضربك ولم تشتمني أي ؛ إنما ضربتك إذ شتمتني ؛ فكأنه قال: لم يشيموا سيوفَهم ولم يكثروا القتلى بها ، أي ، إنما شاموها بعد أن أكثروا القتلى بها . و «والخلَّب» : البرق الذي يُطمع في المطر ، ثم يكذب . وفي مَثَلٍ للعرب : « ما وعْدُكَ إلا برقٌ خُلَّبٌ » ومنه قول الشاعر [٢] :

لا يكن برقُكَ بَرْقاً خُلَّباً ... إنَّ خيرَ البرق ما الغيثُ معه [٣]

وسُمي البرق برقاً لبريقه ، والبريق ؛ اللمعان . و « الارتجاء » : الافتعال من « الرجاء » ، وهو الأمل ، وهو ممدود . و « الرجا » : الجانب ، مقصور يكتب بالألف لأن تثنيتة « رَجوان » بالواو . و « المُنى » : جمع « مُنْيَةٍ » ، و « المُنى » أيضاً ؛ الأيام يُسْتَبْرَأُ [٤] بها لقاح الناقة وحبلها .

* * *

(١) ديوانه ، ص :   ، الكامل ، ص: ٢٦٥ ، شواهد المغني ، ص :٢٦٣، شرح المفصل ٢ / ٦٧ . وقال أبو العباس المبرد : ص ٢٦٥ - ٢٦٦ : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني ، وتأويله : لم يشيموا : لم يغمدوا ولم تكثر القتلى ، أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلت .

(٢) لم نعرف قائله

(٣) أساس البلاغة (خلب) غير معزو .

(٤) في الأصل : « يستبري » وصوابه ما أثبت ؛ قال في اللسان : قال الجوهري منية الناقة : الأيام التي يتعرف فيها ألاقح هي أم لا ، وهي ما بين ضراب الفحل إياها وبين خمس عشرة ليلة ، وهي الأيام التي يستبرأ فيها لقاحها من حيالها » .

١٦ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَنْزِلٌ مُسْتَوْبِلٌ يَشْتَفُّ ماءَ مُهْجَتِي أَوْ مُجْتَوَى

قوله « في كل يوم منزل مستوبل » يقال : « منزل ومنزلة » و « مكان ومَكانة » و « دار ودارة » و « حال وحالة » ومثلُه كثير. قال الأعشى :

وفي كل منزلة بِتُّها تُؤَرِّقُ عينَيْكَ أهْوالُها[1]

و « المستوبل » الذي لا تستمرىء الطعام فيه، يقال: « استوبلت المكان » ، إذا لم يكن موافقاً لك في بدنك وإن كنت تحب المقام فيه ، و « اجتويته » إذا كرهتَه وإن كان موافقاً لك في بدنك . وفي الحديث (ان قوماً من عُرَيْنَة قدموا على رسول الله ﷺ ، المدينة فاجتووها، فقال: لو خرجتم إلى إبلنا فأصبتم من أبوالها وألبانها ، ففعلوا ، فصحّوا[2] ، فمالوا على الرعاء فقتلوهم ، واستاقوا الإبل ، وارتدوا عن الإسلام . فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم ، فأُتي بهم ، فقَطَعَ أيديَهم وأرجلَهم من خلاف ، وسَمَلَ أعينَهم ، وتركهم في الحَرِّ حتى ماتوا)[3] ومعنى اجتووها أي ؛ كرهوا المقام بها ، وقوله « يَشْتَفُّ » : أي يستقصي ، ومنه « اشتفَّ فلان ما في الإناء » إذا استقصاه . وذمّت أعرابيةٌ زوجَها ، فقالت: والله إنَّ أكلَكَ لاقتفاف، وإن شربَكَ لاشتفافٌ ، وإن ضجعتك لانجفاف، وإنَّ شملتَكَ لالتفاف ، وإنك لتناصر ليلةَ تخاف، وتشبع ليلةَ تُضافُ. حدّث به أبو بكر عن عبد الرحمن عن عمه ، وقال محمد بن يزيد : « الشِف » بالكسر ؛ النقصان وبالفتح الزيادة ، ويقال : ماء مشفوف ، إذا نقص فلم يبق منه إلا اليسير، وكذلك « بصر مَشفوف ؛ « إذا لم يبقَ فيه إلا شُفافة » وكذلك القمر إذا خسف قيل :

(١) ديوانه ص : ١١٧

(٢) في الأصل « فصحوا » وما أثبتناه هو الصواب كما في « الصحيحين »

(٣) رواه «البخاري» في الصحيح « كتاب الطب » ، ومسلم في « باب حكم المحاربين والمرتدين »

« لم يبق فيه إلا شُفافة » ويقال : « فلان أشَفُّ من فلان » ؛ إذا كان أكبرَ منه بقليل أو أصغر بقليل ، « والشف » في غير هذا ؛ الستر الرقيق ويقال : « شفّ الثوب » ، إذا ظهر ما وراءه .

ومنه قول عمر بن الخطاب[1] (رضي الله عنه) — وذكر الثوب الرقيق إذا لبسته المرأة — قال فإنه إن لم يَشِفّ فإنه يصفُ . يقول : إن لم يُظهر ما وراءه ؛ فإنه يلصق بالجسد فيصف البدن . وقولُهم : « شفَّني حبُّ فلان » إذا لم يكن مِن قِبَلِهِ منه مانعٌ ، فيجوز أن يكون من « شف » ؛ إذا زاد ، فكأنه جار عليه فجاوز المقدار ، « والمهجة » : النفس . وقيل : «المهجة» دم القلب . ومعنى البيت : أنه يصف تقلّب الزمان عليه :

* * *

١٧ ماخِلتُ أنَّ الدَّهرَ يثنيني عَلَى ضَراءِ لا يَرْضَى بِها ضَبُّ الكُدى

١٨ أَرْمَقُ العَيْشَ عَلَى بَرْضٍ فإن رُمْتُ ارتشافاً رُمتُ صعبَ المنتشى

« ما خِلت » أي ؛ ظننت أن الدهر «يثنيني» أي ؛ يَعطفني من قولهم : ثنيت الرجل عمّا أراد أي ؛ عطفته ورددته ؛ وأنشدوا لكُثيِّر عزّة :

ولم يَثْنِهِ يومَ الصبابة رَوعها غَداةَ استهلت بالدموع شُؤونُها[2]

وروي أن عبد الملك بنَ مروان تجهز للغزو ، فلما كان اليوم الذي يخرج

---

(١) الحديث عمر

في اللسان : « وفي حديث عمر رضي الله عنه : لا تلبسوا نساءكم القباطي فإنه إلاّ يشفّ فإنه يصف » .

(٢) طبقات ابن سلام ص : ٤٥٩ - ٤٦٠ ، الأمالي ١ / ١٣ - ١٤ ، الأغاني ٨ / ٣٤ .

فيه بكت زوجته ، وبكى حَشمها، فلما علا الصوت ؛ قال : ما هذا ؟ قيل له : فلانة تبكي ، فضحك ، وقال : قاتل الله كُثَيِّراً ، كأنه يرى يومنا هذا حيث يقول :

إذا ما أرادَ الغزوَ لم يثنِ همّهُ حَصانٌ عليها نظم دُرٍّ يَزينها

نهتهُ ، فلما لم تَرَ النهْيَ عاقَهُ بكت، فبكى،مما شجاها قَطينُها

وقوله « على ضراء » و « الضَّرَّاء » وَ « الضُّرُّ » واحد، و « الضَّرَّاء » من قولهم : « السرّاء والضراء » أي ؛ ما اختفى وما ظهر. و « الضَرَاء » بغير تشديد ؛ ما واراك من شجر أو غيرِه . ويقال في مَثَل : « هو يَدِبُّ له الضراء ويمشي له الضراء » ؛ إذا كان يحتله أي ؛ يستر أمورَه عنه . وكذلك « الخَمَر » ؛ وهو ما وَارَاكَ من شجر أو غيره ، يقال « خرجنا من خَمَرِ الطُرق » أي ؛ عما كان يسترنا فيه ويروى « على صراء » بالصاد غير معجمة ؛ وهي الصخرة الصماء . فيكون المعنى ما ظننتُ أن الدهرَ يثنيني على منزلةٍ لايرضى بها ضب الكُدا . و « الضب » معروف ؛ وهي دوَيبة تسكن القفاف ، والأماكن الصلبة ، يقال : « ضَبّ » و « ضَبَّة » ، فجمع ضَبة : « ضِباب » وجمع ضَب « أضُبّ » ويقال له حين يخرج : من بيضته « حِسْل » ، ثم « غَيْداق » و « أضَبَّ القومُ بالمكان » إذا قاموا به ، ويقال : « فلان مُضِب على كذا » أي ؛ عازم عليه ، و « أرض مُضِبَّةٌ » ، كثيرة الضباب . والضب يضرب به المثل على طول الشقاء ، فيقول : ما ظننت أن الدهر يَعطفني علي ما لا يرضى به الضب مع رضاه بكل مكروه ، ويضرب به المثل في العقوق ، فيقال : « إنه لأعَقُّ من ضَبّ » ، وذلك أنه يأكلُ ولدَه ، ويضرب به المثل في طول العمر ، فيقالُ : « إنه لأحيا من ضب

و نَعامةٍ ، وأعطشُ من حوتٍ ، وأضخم من جاموس ، وأحسن من طـاووس ، وأجوع من قَراد ومن حَوْمَل » — وهي كلبة لامرأة من العرب ، ذكروا : أنها رأت ضوء القمر في بئر ، فظننته قرصاً ، فألقت نفسها في البئر لشدة الجوع ، فماتت — وهو « أخطب من قُسّ ، وأعيا من باقل » وذلك أنه بلغ من عِيّه فيما يزعم الأصمعي وأبو عبيدة أنه اشترى ظبياً في الموسم بأحد عشر درهماً ، فاجتاز بقوم جلوس في مجلس ، وهو متأبط الظبيَ ، فقالوا له : بكم ابتعته ؟ فقال : بهذا ، ودلع لسانه ، وأخرج يديه يريد أحد عشر ، فشرد الظبي — و « هو أضل من ورل »(1) وذلك أنه إذا فارق جحره لم يهتدِ إليه قطُّ — وهو « أزنى من قِط » ، و « أغلم من تيْس » وهو « أكذب من مُسيلمة الكذاب » ، قال الشاعر:

إذا ما شكوتُ الحُبّ قالت لِتربها مسيلمةُ الكذابُ قامَ من القبرَ(2)

و « أسمع من فرس » و « من خِلد » وهو فأر أعمى ، وهو « أبصرُ من عُقاب ، وأحذرُ من غُراب ، وأجبن من صافر » — وهو طائرٌ يعلق نفسه في الهواء من الشجرة ، ويصيح عامّة ليله خوفاً من أن يسقط ، فيأكلَه شيء — و « هو أشجع من ليث ، وأظلمُ من حيّة ، وأذل من قطاً ، وأدلج من قنفذ وأنتن من الظَّرِبَان » — وهي دابه أكبر من السِّنور قليلاً تتحرّى المتحابَّيْن فتفسو بينهما ، فلا يلتقيان أبدا . ومثلٌ للعرب في المتقاطعيْن « فسا بينهما

---

(1) في الأصل : « ورك » بالكاف ، تصحيف صوابه ما أثبت . والورل : دابة على خلقة الضب إلا انه أعظم منه يكون في الرمال والصحارى . وهذا مثل ، يقال : « هو أضلّ من ورل » لأن الورل إذا خرج من حجره لم يهتد إلى الرجوع إليها . وانظر مجمع الأمثال ٢ / ٢٦ ؛

(2) لم نعرف قائله ولا وقفنا عليه في مكان آخر .

الظربان » ، وقال : الأصمعي : إذا فست في ثوب الصائد فلا تبرح رائحته منه أبداً أو يبلى لشدة نتنه — و « هو أشأم من قُدار » و « هو أهون من قعيس على عمّته » ، و « أقبح من رِبَاح » — وهو القرد — ويقال : « مَكِنت الضبة » و « أمكنت » إذا جمعت البيض وهي « ضبة مَكُون » . ومنه قول أبي وائل : ضبةٌ مكون أحب إليَّ من دجاجة سمينةٍ قال الشاعر [1] :

ومَكْنُ الضِّباب طعامُ العُريبِ ولا تشتهيه نفوسُ العجم [2]

و « الكُشْية شحم بطنه وجمعها كُشى » وأنشدوا :

وأنتَ لو ذُقتَ الكُشى بالاكبادْ لَمَا تركتَ الضبَ يعدو بالوادْ [3]

و « الكُدى » جمع « كُدية » وهي ما صلبَ من الأرض ، ويقال « أكدى الحافر » إذا حفر فبلغ الموضع الصلب الذي لايعمل فيه معْوَلُهُ شيئاً ، وقوله « أُرمِّق العيشَ » أي آخُذُ منه ما يمسك رمقي ، والرمق من قولهم : « ما بقي من فلان إلا رمق » أي ؛ شيء قليل من الحياة . وقوله « على بَرَض » أي ، على قلة . ويقال : « بَرض الماء » يبرض « برضاً » ؛ إذا خرج قليلاً وبدا بأرِض البُهمى ؛ وهو أول ما ينشأ منها . ومنه قولهم « لفلان ضَيْعة يأترض منها » ؛ إذا كان ياتيه منها الشيء بعد الشيء ، و « بَرَضت الرَّكية » ، إذا قل ماؤها .وقوله : « فإن رُمت أرتشافا » يقال : « رمت الشيء أرومُه رَوْماً » ويقال أيضاً « رمت

---

(١) هو أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي .

(٢) اللسان ، والأساس (مكن) شرح المفصل ٥ / ١٢٧

(٣) اللسان والأساس (كشى) وعزاه في اللسان لبعض الأعراب .

الشيء » ؛ إذا تناولته وأدركته ، ويقال أيضاً من غير هذا المعنى : « رام الرجل يَريم » ؛ إذا خرج من بلده ؛ ومنها قول الشاعر : (١)

أيا أبتا لا تَرِم عندنا فإنّا بخيرٍ إذا لم ترِمْ (٢)
أرانا إذا أضمرَتك البلا د نجفى وتُقطع منا الرحمْ

« والارتشاف » : مص الشيء بالشفتين . يقال : « ارتشفت أرتشف ارتشافاً » . يقول : أرمّق العيش على قلة ؛ فإن رمتُ مصةً رُمتَ صعبَ المنتشى وتقول نشيتُ من فلان رائحة طيبة أي ؛ شممتها . فالمنتشى مفتعَل من ذلك

* * *

١٩ أُراجِعٌ لِيَ الدهرُ حَوْلاً كاملاً إلى الذي عَوَّدَ أَمْ لا يُرْتَجى
٢٠ يادهرُ إنْ لَمْ تَكُ عُتْبى فَاتَّئِدْ فَإِنَّ إِرْوادَكَ وَالْعُتْبى سَوا

قوله : « أراجع لي الدهر حولاً » يقول : أيَرجِعُ الدهر إلى ما عوّد من الخير حولاً كاملاً ؟ أم لا « يرتجى » « يُفتَعَل » (٣) من « الرجاء » و « الجول »

---

(١) هو الأعشى ميمون

(٢) ديوانه ص : ٣٣ ، اللسان « ريم » الخزانة ٢ / ١٠٤

وقبله

تقول أبنتي حين جد الرحيلُ أرانا سَواء ومن قد يتِمْ
ابانا فلا رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم ترم
ويا أبتا لا تزل عندنا فإنا بخير إذا لم ترم
ويا أبتا لا تزال عندنا فإنا نخاف بأن تخترم
أرانا إذا . . . البيت

(٣) في الأصل : « مفتعل » – سهو من الناسخ .

العام، مأخوذ من التحول، وهو الانتقال. فقيل للعام: حول، لأنه ينتقل من شيء إلى شيء. وقولهم: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ف«الحول» بمعنى الحيلة. ويجوز أن يكون من التحول عن الشيء، أي الانتقالِ عن الشيء و«المِحال» بكسر الميم هو المكرْ، وهو مشتق من قولهم: «محَل فلان بفلان» إذا عرّضه لأمر يُهلِك. ومنه الحديث: (اللهم لا تجعل القرآن بنا ماحِلاً[1]) أي شاهداً بالتقصير علينا، وقوله: «يا دهر» اختلفَ في الدهر. فقيل: المراد منه بقاء الدنيا. وقيل: دهرُ كل قوم زمانُهم، ورجلٌ دُهْرِيٌّ، أي قديم، والدهرُ «النازلة» تقول العرب: «دهَرَهم أمرٌ» أي؛ نزَلَ بهم مكروهٌ. ونقول: «ما دهري بكذا» أي؛ ما هِمَّتي به. ومنه قول الشاعر[2]:

لعمري وما دهري بتأبينِ هالكٍ ... وَلا جَزِعٍ مما أصاب وأوجعا[3]

أي؛ وما همتي بتأبين هالك. والتأبين: الثناء على الرجل بعد موته «والتقريظ» الثناء عليه في حياته. وقيل: إن هذا البيت على التوسعة والمجاز، فكأن معناه؛ وما دهري بتأبين هالك ولا جزع أي؛ وما دهري بدهرِ جزعٍ، ولا دهري بدهر تأبين هالكٍ، فأسقط الدهرَ الثاني، وأقام الذي أضافه اليه مُقامه على التوسعة.

( ) لم نجد هذا الحديث فيما بين أيدينا من مراجع. وقد ورد لفظ: «ماحل» في حديث آخر رواه ابن حبان في صحيحه وهو: إن هذا القرآن شافع مشفع وما حل مصدق.

(٢) هو متمم بن نويرة وكان صحابياً، وقد رثى أخاه مالكا الذي يقال له: فارس ذي الخمار (فرسه)، وقد قتله خالد بن الوليد رضي الله عنه، والحادثة مشهورة، وقد رثى متمم أخاه أحر الرثاء، وكان أعور فبكى بعينه الصحيحة حتى نفذ ماؤها، فأسعدتها أختها الذاهبة.

(٣) المفضليات ص: ٢٦٠، الخزانة ١/٣٣٤ الكامل ص: ١٢٤٣، أمالي اليزيدي ص: ١٨، الطبقات ص: ١٧٤، العقد ٧/١٩٣ ويروى «جزع» بالجر والنصب. فالنصب على اعتبار أن الباء زائدة والجر على العطف.

وفي الحديث : (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)[1] وهذا حديث لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل معناه ، وذلك أن أهل التعطيل يحتجون به على المسلمين ، قال القاسم بن سلام رحمه الله : وقد رأيت بعض من يُتَّهمُ بالزندقة والدُّهرية يحتج بهذا الحديث، ويقول : ألا تراه يقول : فان الله هو الدهرُ فقلت: وهل كان أحد يسب الله تعالى في أبادي الدهر . وقد قال الأعشى في الجاهلية الجهلاء شعراً :

استأثرَ اللهُ بالوفاء وبالـ حمد وولَّى الملامةَ الرَّجُلا[2]

وإنما تأويله عندي — والله أعلم — أن العرب كان من شأنها ذمُّ الدهر وتَسُبُهُ عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك ، فيقولون « : أصابتهم قوارع الدهر » و « أبادهم الدهر » و « أتى عليهم الدهر » فيجعلونه الذي يفعلُ ذلك بهم ، ويذمونه عليه ، وقد ذكروه في أشعارهم ، قال الأعشى يذكر قوماً هلكوا :

فاستأثرَ الدهرُ الغَداةَ بهم والدهرُ يَرميني وما أرْمي[3]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة :

(٢) ديوانه ص : ١٥٥ ، وهو البيت الثاني من القصيدة ومطلعها

إنّ محلاً وإنّ مرتحلا وإنّ في السَّفْر إذ مضى مهلا

استأثر الله ... البيت

ويروى « بالعدل » .

(٣) كذا في الأصل ، عزاها للأعشى ،ولم يرد منها شيء في أصل ديوانه ، وإنما أورد ناشره البيت الرابع فحسب في ملحقاته ص : ٢٥٨ . والبيتان ١ ، ٤ في أمالي المرتضى ١ : ٤٦ ، والأغاني ٣ / ٣٢٣ (دار الكتب) غير معزوين ، وورد البيت الرابع منها معزواً للأعشى في اللسان « وقر » . وقد وردت الأبيات كلها عدا السادس منها في قصيدة طويلة لزهير في ديوانه ص ٣٨٢ — ٣٨٦ يرثي بها هرم بن سنان المري . وقد أورد البحتري في حماسته ص : ١٠٥ ابياتاً فيها أكثر ما أورده التبريزي هنا .

لو كانَ لي قِرنا أُناضِلُه ما طاشَ عند حَفيظةٍ سَهمي
أو كنتُ أعطى النِّصفَ قلتُ له: أحرزتَ قسمَكَ فاله عن قسمي
يا دهرُ قد أكثرتَ فجعتَنا بسَراتِنا ووَقرتَ في العظمِ
وسَلبتَنا ما ليسَ تُعقبنا يا دهرُ ما أنصفتَ في الحكم
فارفع جرانَكَ طالما علَّتنا بمزاجِ كأسٍ مُرَّةِ الطَّعم
أبلَتْ صروفُكَ كلَّ ذي ثِقةٍ حامي الذمارِ مخالطِ الحزم

وقال عمرُو بن قَميئَةَ :

رمتني بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى فما بالُ من يُرمى وليس برامِ (١) ؟
فلو أنها نبل إذن : لاتَّقيتُها ولكنما أرمى بغير سِهامِ
عَلَى الراحتين مرَّة وعَلَى العصا أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامي

فأخبر أن الدهر فعل به ذلك ، يصف الهرم . وقد أخبر الله عنهم بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى : (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يُهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢)) فقال النبي (ﷺ) « لا تسبُّوا الدهرَ » على تأويل لا تسبوا الذي يفعل بكم هذه الأشياء ، ويصيبكم بهذه المصائب ، فإنكم إذا سببتم فاعلها ، فإنما يقع السبُّ على الله تعالى ،لأنه الفاعل لها لا الدهر ، فهذا وجه الحديث إن شاء الله ، لا أعرف له وجهاً غيره . وقوله : « إن لم تكُ عتبى » « العتبى » : الرجوعُ إلى الموافقة من قولهم: « لك العتبى

(١) الشعر والشعراء ص ١ / ٣٣٧ - ٣٣٨ ، المعمرين ص : ٥٤ ، ٨١ - ٨٢ حماسة البحتري ص : ٢٠٠ - ٢٠١ ، خزانة الأدب ٢ / ٧٥

(٢) سورة الجاثية الآية : ٢٤

والـكرامة » أي ؛ الرجوع إلى ما تحب . ويقال للرجلِ إذا مضى ساعةً ثم رَجَع في طريقه :« قد أعتب في طريقه» . أي رَجعَ و « أعتب الدهر » أي ؛ رَجعَ بما تحب ،و «العُتبة» مشيُ البعير على ثلاث قوائم . ومنه اشتق اسم «عُتبة » ويقال : « عتبت إلى عَتَبة الوادي » أي ؛ إلى جانبه الأقصى ، وقوله : « فاتئد » أي ؛ ارفق وأمهل وهو « افتعلَ» من « الوئيد »[1] وهو الرِفق والمهلْ . وقالت الزباء :

ما لِلجِمالِ مَشيُهَا وَئِيدَا أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أمْ حَدِيدا[2] ؟

أي مالَهَا مشيتُها رفقٌ ومهل ، و « الوأد » : القتل ، يقال : « وأده » ، إذا قتله و « المَـوْؤودة » ؛ « مفعولة » من ذلك « فإن إروادك ؛ أي ؛ فإن رِفقك « والعُتبى » أي الرجوعُ الى ما أحب. «سواء» وسواء ممدود: وقَصَره للضرورة. وسِوى مكسورٌ مقصورٌ بمعنى غير ، وقد يجوز مدُها وفتحُ أولِها . قال الشاعر[3] :

تجَانَفَ عنْ أهل اليمامة ناقتي وما قصرت عن أهلها لسِوائـكا[4]

وتكون « سواء » بمعنى ؛ وسط ، ومنه قول الله عز اسمه :(فاطلع فرآه في سواء الجحيم)[5] أي ؛ في وسط الجحيم ، والعرب تقولُ : هو في سَواء كَمِّه أي ؛ في وسط كُمه :

* * *

(١) في الأصل : « الرويد » - تصحيف ، صوابه ما أثبت .
(٢) مجمع الأمثال ١ / ٢٣٦ ، الكامل لابن الاثير ١ / ١٩٨ .
(٣) هو الأعشى ميمون .
(٤) ديوانه ، ص : ٦٦ ، وسيبويه ١ / ١٣، شرح المفصل ٢ / ٨٤ ، الأساس (جنف)
(٥) سورة الصافات ، الآية : ٥٥

٢١ رَفِّهْ عَلَيَّ طالمـا أنْضَيْتَنِي وَاسْتَبق بَعْضَ ماءِ غُصْنٍ مُلتحى

٢٢ لاتَحْسبَن يادَهْرُ أنِّي جازِعٌ لِنَكْبَةٍ تَعْرُقُنِي عَرْقَ المُدى

قوله « رَفِّهْ » من « الرَّفَاهَةِ » ؛ وهي سعة العيش . وأصل هذا من وِرْدِ الإبل . وذلك أنها إذا وَرَدَت [كل يوم متى شاءت قيل : وردت] [١] رِفْهاً . قال ذلك الأصمعي ، ويقال [٢] : قد أرفه القوم ؛ إذا فعلت ذلك إبلهم فهم مُرَفِّهون قال لَبَيد يذكر نخلةً على الماء :

يَشْرَبْنَ رِفْهاً عِراباً غيرَ صادرةٍ فكلها كارع في الماء مُغتمر [٣]

وقوله « أنضيتني » أي ؛ أذهبت لحمي ، من قولهم : « جمل نضو أسفار [٤] » أي ؛ تذهب الأسفار لحمه ، والنِضو : المَهزول ، ومنه « انتضيتُ السيفَ » ؛ إذا أخرجته من غمده .

ويروى : أنصبتني بالصاد المهملة ، فمن رواه [٥] كذلك فمعناه ؛ أتعبتني ، مأخوذ من « النَصب » ؛ وهو التعب ، وهذه الرواية أحسن ، لأن الترفّه يضادّ النَصب ، فهو أولى من أنضيتني . وقوله « مُلتحى » مفتعل من لَحَوْتَ العودَ أَلحُوه لحواً ؛ إذا قشرته . وهذا مثلٌ ضَرَبه لنفسه ؛ تقول : رفّه علي قليلاً طالما أنصبتني، واستبق ما فَضَل من غصن قد لحوته ، أي ؛ قشّرته بصروفك . والعرب تقول : لاتدخلنّ

(١) حكى في اللسان هذا التفسير عن الأصمعي وما بين المكعفين زيادة منه ، وقد سقطت من الأصل .
(٢) في الأصل : « ويقول » والصواب من اللسان وقد حكى هذه الكلمة بنصها .
(٣) اللسان : (غمر ، رفه) . وفي الأصل : « فكلها » - تصحيف .
(٤) في الأصل : « أبيفار » - تصحيف ، صوابه ما أثبت .
(٥) في الاصل : « ورواه » تصحيف ، صوابه ما أثبت .

بتكلفٍ بين العصا ولِحاها. والعامة تغيره، فتقول: لا تدخلْ بين البصلةِ وقشرها.

وقوله: «لا تحسِبن». يقال: لاتحسِبن ولا تحسَبن، الفتح أفصح. وفي التنزيل (ولا تحسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا[1]) و «الضَّارِع» الخاضع الذليل، وضَرَعَ الرجلُ يضرَعُ ضراعة؛ وهو الضعيف من الرجال؛ والضَّريع يبسُ الشِّبْرق. وقيل: الضريع نبت أخضرُ مُنتن الريح يَرمي به البحر، و «المضارعة» المشابهةُ، مأخوذ من الضَّرْع، فكأنهما لمشابهةِ أحدهِما الآخر شَرِبا من ضَرْعٍ واحدٍ.

يقول: لا تحسَبَنْي غُمراً غير مجرَّب للأُمورِ لهذه النَكبة التي تعرقُني؛ أي: تقشرني يقال: عَرَقْتُ العظمَ، أي: قشَرتُ ما عليه من اللحم.

وذكر أبو الحسن أحمد بن نصر الجمحي عن أبي العباس[2] ثعلب، عن ابن الأعرابي قال: أكل أعرابي مع ثلاثة بنين له ثريدة ذاتَ عِراق، فقسم بينهم اللحم، وبقي عرق فاضل، فجعلت نفسُ كلِ واحد منهم تتطلع، فبصُر بهم، فقال: قد عَرَفْتُ نظرَكم، فأيكم أجاد له وصفاً أكلَه، فقال أكبرُهم: أعْرُقُهُ حتى لا أدع فيه لذرَّةٍ مَقيلاً! فقال: وأبيكَ لقد أجدتَ! فقال الآخر: أعرقُه حتى لا يُدرى ألعامه هو، أم لعام أول! فقال: حقاً لقد أجدتَ! فقال الثالث: أعرُقُه حتى أجعل مشاشه أدام عظامه، ثم آتي عليه بأسره. فقال: هو لك.

و «العرَقُ» بفتح الراء، السفيفة المنسوجة من الخُوص قبل أن يجعل منها زنبيلا[3] فيسمى الزنبيل[3] عرَقاً قال الأصمعي: ويقال له: العرَقة أيضاً. قال: وكذلك

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩

(٢) في الأصل: ابن عباس» - تصحيف صوابه ما أثبت، وهو أبو العباس أحمد بن يحي الشيباني مولاهم، رأس نحاة الكوفة في المائة الثالثة توفي سنة ٢٩١ وثعلب لقبه.

(٣) في الأصل «زبيل» والصواب ما أثبتناه كما في القاموس

كل شيء يصطفّ مثل الطير[1] إذا صفت في السماء ؛ فهي عَرِقَة . قال غيرُه :
وكذلك كلُّ شيء مضفور فهو عَرَق ، وأنشد لأبي كبير الهُذَليّ :

تغزو ، فتتركُ في المزاحف من ثوىٰ وتمرُّ في العَرَقَات مَنْ لم تقتلِ[2]

يعني : تأسرهم وتشدهم في العَرَقات . وهي النُّسُوع[3] و « العَرَق » مصدر « عَرِقت عَرَقًا » والعرب تقول : « تجشمت إليك عَرَقَ القربةِ » . وبعضهم يقول : « علق القِربة .قال أبو العجفاء : كنت رجلاً عربياً مولداً ، فلم أدر ماعَرَق القربة وعلق القربة .

وقال القاسم ابن سلام : في هذا الحرف اختلاف كثير، قال الكسائي « عرق القربة » أن يقولَ : نصبتُ لك وتكلفتُ [وتعبت][4] حتى عَرِقتُ كعرق[5] القربة . وعَرَقُها سيلان مائها .

وقال معمر بن المثنى : « عَرَقُ القربة » تكلفت لك ما لم يتكلفه أحد حتى تجشمت ما لا يكون ، لأن القِربة لا تعرق[6] ، ومذهبُهُ في هذا [أنه][7] مما

(١) في الأصل : « ... كل شيء مصفف مثل الطيرة... » والصواب من اللسان : (عرق)
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٩٦ .
(٣) في الأصل : « النسرع » - تصحيف ،صوابه ما أثبت . والنسوع : جمع نسع وهو سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره .
(٤) زيادة من اللسان : (عرق) وقد أورد كلمة الكسائي بتمامها .
(٥) في الأصل : العرق والصواب ما أثبتناه .
(٦) أورد في اللسان : (عرق) كلمة أبي عبيدة هذه باختلاف يسير ، ونص العبارة فيه : « وقال أبو عبيدة : تكلفت إليك ما لا يبلغه أحد حتى تجشمت ما لا يكون ؛ لأن القربة لا تعرق » وعقب عليه بقوله : « وهذا مثل قولهم : حتى يشيب الغراب ، ويبيض الفأر » .اﻫ
(٧) زيادة يقتضيها السياق .

قد علم أنه لا يكون. قال وإذا قال «علق القِربة ، فإن علقها ؛ عصامُها الذي تُعلَّق به ، فيقول : تجشمت إليك حتى تجشمت لك كل شيء حتى عصـام القربة . وحُـكي عن يونس المصري : أنه قال : عَرَق القِربة منقعتها ، يقول : احتجت إلى نَقْع القِربة ؛ وهو ماؤها، يعني في الأسفار . وأنشد لرجل أخذ سيفاً من رجل(١) :

سأجعله مكانَ النون مني وما أعطيتُه عَرَقَ الخِلالِ(٢)

يقول : لم أُعطِه عن مودة من المُخالَّة والصداقة ، ولكن أخذته قهراً وقـال الأصمعي : « عَرَق القِربة » كلمة معناها الشِدة [ولا أدري ما أصله](٣) قال : وسمعت ابن أبي طَرفة ، وكان من أفصح مَنْ رأيت يقول : سمعت أشياخنا يقولون: لقيت من فلان عَرَقَ القربة ، يعنون الشدة ، وأنشد لابن أحمر :

ليست بمَشْتمةٍ تُعَدُّ وعَفْوُها عَرَق السِقاء عَلَى القعود اللاغِبِ(٤)

---

(١) هو الحارث بن زهير العبسي .

(٢) من أبيات قالها عندما قتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر ، وقتل الحارث بن زهير نفسه حمل بن بدر ، وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير . وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتله فقال الحارث :

تركت على الهباءة غير فخر حـذيفة حـوله فصل العوالي
سيخبر قومه خنش بن عمرو إذا لاقاهم وابنا بـلال
ويخبرهم مكان النون مني ومـا أعطيته عرق الخلال

وهو من المخالفة أي : ما أعطيته عن صداقة وصفاء ود ، أمثال العرب ص : ٢٧ ، المقاييس ٤ / ٢٨٤ اللسان (عَرَق)

(٣) زيادة من اللسان : (عرق) وقد حكى كلمة الأصمعي بنحو ما هنا .

(٤) المقاييس ٤ / ٢٨٤ ، واللسان (عرق) ومختصر التهذيب .

أراد أنه يسمعُ الكلمة تغيظه، وليست بشتم، فيأخذ صاحبها[1] بها.

و « المُدى » جمع مدية؛ وهي الشفرة. سميت بذلك لأنها بها يكون انقطاع المَدى وهو العمر[2].

* * *

٢٣ مارستَ مَنْ لو هَوَتِ الأفلاكُ من جَوانبِ الجوِّ عليه ما شكا

٢٤ لكنها نفثةُ مَصدورٍ إذا جاش لُغامٌ من نواحيها عمى

« مارست » أي: صارعت وعاندت و « المراسة »: الصعوبة، وأنشدوا في ذلك[3]:

أشكو إلى الله أهوالاً أُمارسُها من الصُداع وأنى سيئُ البصَرِ

وحكى سيبويه في الأمثلة المَرْمَرِيس؛ وهي من أسماء الدواهي، يُسمى بذلك لصعوبته. وزعم الخليل أنّ المرمريس: الأرضُ التي لا نبت فيها، وقوله: « لو هوت الأفلاكُ » يقال: هَوى يهوي؛ إذا سقط إلى أسفل وأهويتهُ؛ إذا ألقيتَه من فوق إلى أسفل. ومنه قوله تعالى: (والمؤتفكة أهوى)[4] المؤتفكة؛ مدائنُ لوط سُميت مؤتفكة لائتفاكها أي؛ لأنقلابها

---

(١) نص ما ورد في اللسان في شرح البيت عن الأصمعي: « قال: أراد أنه يسمع الكلمة تغيظه وليست بشتمة فيؤاخذ بها صاحبها، وقد أبلغت إليه كعرق السقاء على القعود اللاغب. وأراد بـ« السقاء »: القربة » اهـ.

(٢) كذا في الأصل! وفي اللسان: (مدى) ما نصه: « قال الفارسي: قال أبو إسحاق: سميت « مدية » لأن بها انقضاء المدى. قال: ولا يعجبني » . اهـ

(٣) لم نعرف قائل البيت ولا وقفنا عليه في مكان آخر.

(٤) سورة النجم، الآية: ٥٣.

وذلك أن جبريل عليه السلام[١] أدخل خافقتي جناحِه تحت الأرض السابعة؛ فرفع المدائن بما فيها، حتى سمع أهلُ السماء زُقاء الديكة ونُباح الكلاب، ثم أهواها من فوق إلى أسفل. و « الأفلاك » جمع « فَلَك » وهو ما تدور فيه النجومُ. وسُميت أفلاكاً لاستدارتهـا، يقول: عاندتُ صعباً في معاناته، ولو سقطتْ عليه الأفلاكُ لم يشكُ حالَه إلى أحدٍ تجلداً وصبراً، و « الجوُّ » جوُّ السماء، و « جوانبُه » نواحيه، أي؛ لوْ هَوَت الأفلاكُ عليه من جوانبِ الجوِّ لم يشكُ ذلك، وقوله: « لـكنها نفثة مصدور » يقول: لست أشكو ألماً نالني به الدهرُ، وإنما هذا الذي أقول بمنزلةِ نفثةِ المصدور و « النَّفْثُ » إلقاء البصاقِ اليسيرِ. ومنه « نَفْثُ الحية »؛ وهو إلقاؤها ريقَها. والراقي ينفُثُ في عُقَدِه التي يَرقي فيها. ومنه قول الله عز اسمه: (ومن شر النفاثات في العُقَد)[٢] والمصدور الذي يشتكي صدره. و « جاش » أي؛ ارتفع، يقال: « جاشت إليه نفسُه »، أي؛ ارتفعت. وكذلك جاشَت القِدْرُ تجيش جيْشاً، إذا غلت وارتفع زَبَدُها، ومنه قول الشاعر[٣]:

تجيشُ علينا قِدْرُهُمْ فنُدِيمُهـا ... ونفثؤها عنّا إذا حَمْيُها غلاَ[٤]

وهذا مَثَلٌ ضَربه، ولم يُرِد القِدر بعينِها، وإنما أراد أنّا نُطفئ شرهم عنا.

---

(١) في الأصل: « على الله تعالى » - ولا معنى له، فأثبتنا ما غاب على ظننا أنه الصحيح.
(٢) سورة الفلق الآية: ٤
(٣) هو النابغة الجعدي.
(٤) من مقطوعة له في الشعر والشعراء ص (٢٥٠ - ٢٥١)، الأضداد ص: ٦٩، تفسير القرطبي ١ / ٤٢٤ اللسان (فثأ، دوم) الأساس (جيش، فثأ، فور) أمالي المرتضى ٢ / ١٧١ وفي الأصل: « ونفثؤها عما .. » والتصويب من المصادر السالفة.

وقيل : « جاش » ؛ اجتمع ، و « جاشت النَّفْسُ » ؛ اجتمعت ، والأولُ أصح ، و « اللُغامُ » : مايخرج من فم البعيرِ . يقال : « لَغَمَ البعير يَلْغَمَ لُغاماً » ؛ إذا رمى به . ومنه « تَلَغَّمْتُ » بالطيب » إذا جعلته هناك : و « المَلاغم » ما حول الفم ، وكل حديد أو فضة أو نحاس أو ذهب خلطتَه بزاووق ، فقد أَلغمتَه إلغاماً ، و« عمى » أي ؛ سقط ، يقال : « عمى البعير الزبدَ » ؛ إذا رماه بنفضِ رأسِه ومشافره ليتناثر منه . وبالله التوفيق .

* * *

٢٥ رَضِيتُ قَسْراً وَعَلَى القَسْرِ رِضىٰ مَنْ كَانَ ذَا سُخْطٍ عَلَى صَرْفِ القَضَا

٢٦ إنَّ الجَدِيدَيْنِ إذَا مَا اسْتَوْلَيَا عَلَى جَدِيدٍ أَدْنَيَاهُ لِلْبِلَىٰ

قولُه « رَضِيتُ قَسراً » . و « القسر » ؛ أَخْذُ الشيءِ قهراً ، يقال : قسرتُ فلاناً[1] على كذا أي ؛ أخذتُه على فعلِه قهراً ، وقوله و « على القسر رضى مَنْ كان ذا سُخط » أي ؛ من سَخِطَ القضاء والقَدَر يرضىٰ اضطراراً . أي لا بد مما قُضِيَ عليه ، و « القضاء » أصله في اللغة إحكامُ الشيء ، وقطعُه والفراغُ منه . ومنه قوله عز اسمه . (إذا قضى أمراً)[2] الآية . ومنه قوله : (فاقضِ ما أنت قاض)[3] أي ؛ افعله وأقطعه . وكذلك (وقضينا إلى بني إسرائيل)[4] أي ؛ أمرناهم وفرغنا منهم وسُمي القاضي قاضياً لهـذا المعنى . وقولك : « قضى بين الخصمين » أي ؛

---

(١) في الأصل : « .. على فلان كذا » - أقحم الناسخ « فلان » بلا داع فآثرنا إسقاطها .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٤٧ .

(٣) سورة طه ، الآية ٣٢

(٤) سورة الاسراء ، الآية ٤

فصل بينهما . ويقال للميت : « قد قضى » أي ؛ فرغ من الدنيا ، وكذلك : انقضى النهار ، أي فرغ و « ما ينقضي عجبي من فلان » أي ؛ ما يفرغ منه و « السُّخط » : الغضبُ . والجديدان : الليلُ والنهارُ . يقال : ذهب به الجديدان ، وأتى عليه المَلَوَان ، وأنشدوا في هذا :

أَلاَ يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبُعَانِ   أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالبِلَى المَلَوَانِ (١)

والعَصْران ؛ الغداة (٢) والعَشِي . والأعذبان ؛ الريق والخمرْ . والأبيضان ؛ اللبن والماء . قال الشاعر (٣) :

---

(١) البيت ينسب لأبن مقبل تارة ولابن أحمر أخرى ، فنسب لابن مقبل في مجاز القرآن ١ / ١٠٩ ، ٣٣٣ ، وسيبويه ٢/ ٣٢٢ ، وتهذيب الألفاظ ص ٥٠٠ ، والطبري ٧ / ٤٢١ (طبع دار المعارف) و ١٣ / ١٠٦ (طبع بولاق) وإصلاح المنطق ، ص ٤٣٦ ، والأمالي ١ / ٢٣٣ ، والسمط ٥٣٣ ، والخزانة ٣ / ٢٧٥ ؛ والعيني ٤ / ٥٤٢ ، والاقتضاب ، ص : ٤٧٢ واللسان (سبع ، ملل) والأساس ، والمغني عن ابن هشام ٤ / ٤٥٤ ، ٥٧٩ .

ونسبه ياقوت في معجم البلدان (سبعان) لابن مقبل ثم قال : « وقيل : لابن أحمر » . ونسبه الحصري في زهر الآداب ٤ / ٦٨ لأعرابي من بني عقيل ، وأظنه وهما أوقعه فيه أن لأعرابي جاهلي من بني عقيل أبياتا يشبه مطلعها هذا البيت ، وقد أوردها ياقوت في معجم البلدان (سبعان) .

وقال أبو عبيد البكري : « أمل عليها » : دأب ولازم . وقال أبو عبيدة : أي رجع عليها حتى أبلاها ، أي : طال عليها . وفي حاشية الأصل نقلا عن شرح أدب الكاتب الجواليقي : « من أمللت الكتاب أمله » . وقيل : يجوز أن يكون من « أمللت الرجل » إذا أضجرته وأ كثرت عليه مايؤذيه ، كأن الليل والنهار أملا عليها أسباب البلى ، فزاد الباء كما قال :

[هن الحرائر لاربات أخمرة   سود المحاجر] لا يقرأن بالسور

والسبعان : اسم جبل قبل فلج .

(٢) في الأصل : « الغدوة » ولا يصح ذلك ، لأن « غدوة » معرفة فلا تدخل عليها « أل » .

(٣) هو هذيل بن عبد الله الأشجعي من شعراء الكوفة ومجانها ، هجا قضاة الكوفة ، وهو القائل للشعبي :

فتن الشعبي لما   رفع الطرف اليها

ولكنه يمضي لي الحولُ كاملاً   وما لي إلا الأبيضين شرابُ [1]

و « الأسودان » : التمر والماء ، ويقال : لليل والحَرَّة [2] :

ونزلَ رجلٌ على مرثد البجلي متضيفاً له فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال : إن فيهما لمقنعاً. فقال: لعلك تظنهما التمر والماء ، والله ما هما إلا الليل والحَرَّة.

والأصفران : « الذهبُ والزَّعْفران » . والأحمران : اللحم والخمر. و « الأطيبان » : النوم والنكاح و « المسجدان » : مسجدُ مكةَ ومسجدُ المدينة. و « المكّتان» : مكة والطائف. و « الخافقان » : المشرق والمغرب. و « العِراقان»: البصرة والكوفة . و « الحَرَمان » حرمُ مكةَ وحرمُ المدينة .

فإن قيل :لم قالوا: الأسودان التمرُ والماء ؟ وإنما السوادُ للتمر خاصة دون الماء . فالجواب أن العرب نعتتهما جميعاً بنعتِ أحدِهما ، لأن من شأنها أن تفعَل ذلك في الشيئين يكون أحدُهما مضموماً إلى الآخر، كالرجلين يكونان صديقين لا يفترقان ، أو أخوين أو غير ذلك من الأسماء ، فإنهم يسمونهما جميعاً بالاسم الأشهر منهما . ولهذا قال الناسُ : « سيرةُ العُمرين » وإنما هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. أنشد الأصمعي وابن السكبي جميعاً في مثل هذا لقيس بن زهير بن جذيمة يعاتب زَهدَماً وقَيْساً ابني حزن :

---

(١) إصلاح المنطق ، ص : ٤٣٦ ، اللسان والأساس : (بيض) رسالة الغفران ، ص : ١٣ وبعده :

من الماء أو من در وجناء ثرة   لها حالب لا يشتكي وحلاب

وفي الأصل : « .. يمضي له ... » و « الأبيضان » والصواب من المصادر السالفة .

(٢) أنظر إصلاح المنطق ، ص : ٤٣٦ وما بعدها .

جزاني الزهدمان جزاء سَوْء وكنت المرء يُجزى بالكرامه[1]

فقال : الزهدمان ، وإنما هما زَهدم وقيس. وأنشد الأصمعي لرجل آخر يعاتب أخوين ، يقال لأحدهما :الحرّ والآخر :أبيّ ، فقال[2] :

ألا مَن مُبلغُ الحُرَّين عني مُغَلْغَلَةً وخُص بها أُبَيّا[3]

فقدْ بَيَّنَ أحدَهما أبيُّ ، وقد سمّاها « الحُرَّين » ؛ وأبينُ من هذا كله قول الله عز اسمه : (كما أخرج أبويكم من الجنة)[4] وإنما هما أب وأم ، وقال تعالى

---

(١) في الأصل « ابني حر » وما أثبتناه عن اللسان : (زهدم) ، قال :« هما أخوان من من بني عبس . قال ابن الكلبي :هما زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن عوير [لعلها : عو يمر] ابن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض ، وهما اللذان أدركا حاجب بن زرارة يوم جبلة ليأسراه فغلبهما عليه مالك ذو الرقيبة القشيري ، وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزاني الزهدمان . . . . البيت . » . اهـ

وقال في المخصص ١٣ / ٢٢٧ : « أحدهما زهدم والآخر قيس ابنا جزء بن سعد العشيرة ، وقيل : هما زهدم و كردم » . اهـ

والبيت –عدا المصدرين السالفين– في أمالي المرتضى٢ / ١٤٩ ، وإصلاح المنطق ،ص٤٤٤ .

(٢) هو المنخل اليشكري .

(٣) إصلاح المنطق ، ص ٤٤٤ ، اللسان : (حرر) المخصص ١٣ / ٢٢٧ وهو من أبيات كان من خبرها أن المتجردة امرأة النعمان كانت تهوى المنخل وكان يأتيها إذا ركب النعمان ، فلاعبته يوما بقيد جعلته في رجله ورجلها ، فدخل عليهما النعمان وهما على تلك الحال ، فأخذ المنخل ودفعه إلى عكب اللخمي صاحب سجنه ، فتسلمه فجعل يطعن في قفاه بالصُّمُلّة وهي حربة كانت في يده . وفي ذلك يقول بعد بيت الشاهد :

فإن لم تثأرا لي من عِكَبٍ فلا أرويتما أبدا صَدَيّا

يطوّف بي عِكَبٌ في معدّ ويطعن بالصُّمُلّةِ في قَفَيّا

(٤) سورة الأعراف الآية : ٢٧

(ولأبويه لـكل واحد منهما السدس)[1] فـكثُر هذا في الأعلام ، حتى قالوا في الأرضَيْن وغيرها . وأنشد للأحمر[2] :

نحن سَبَيْنا أمَـكُم مُقرِّباً يومَ صبحنا الحرَّتين المَنون[3]

يُريد الحرة والكوفة، ومنهقول سلمان : أحيوا ما بين العشاءين، وإنما هما المغرب والعشاء . ومنه الحديثُ المرفوعُ (بين كل أذانين صلاة لمن شاء)[4] وإنما هما الأذان والإقامة . ومنه (البيّعان بالخيار ما لم يفترقا)[5] وإنما هما البائع والمشتري فكل هذا حُجة لمن قال : إن العُمَرين أبو بكر وعمَر . وليس قول من قال : إنهما عُمر بن الخطاب وعُمر بن عبد العزيز بشيء . إنما هذا من قلة المعرفة بالـكلام، وإنما قالوا : العُمرين فيما نرى ، ولَمْ يغُلبوا أبا بكر وهُو المقدم على عمَر لأنه أخفُ في اللفظ من أن يقولوا : أبا بكرين وأصحُ في المعنى . وإنما شأنُ العرب ما خَفَّ على ألسنتها من الـكلام . ألا تراهم قالوا : « القمران » وهم يريدون الشمس والقمر . وإنما غلّبوا القمر لأنه مذكَّر أخف من المؤنث . فإن قال قائل : قد كان أبو بكر يُسمى عتيقاً ، فهلا قالوا : « العتيقان » ؟ قيل له: الأغلبُ على أبي بكرٍ كنيتُه . والعربُ إنما تعمل على الأشهرِ . والحُجة على من قال : إن العمرين عمر بن الخطاب وعمر ابن عبد العزيز ما حكاه يحيى بن زياد الفراء عن معاذ الهراء ، وكان ثقةً ؛ لقد

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١١

(٢) هو أحمر بن غَدانة من بني عَصَر بن عبد القيس وهو ممن هاجى جريراً .

(٣) أمالي المرتضى ٢/ ١٤٨ ولم يعزه ، ورواه «الحيرتين» وقال : أراد الحيرة والكوفة. على خلاف ما قال الشارح ؛ وهذا أصح لبعد الحرة عن الكوفة .

(٤) رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مغفل .

(٥) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن حكيم بن حزام .

قيل: « سنة العمرين » قبل مولد عمر بن عبد العزيز، فهذا يدل على فساد قولهم.

وقوله: « استوليا على جديد » أي: ملكاه. يقول: إن الجديدين إذا ما استوليا على شيء جديد، فإنما يدنيانه بمرورهما من البلى. ويجوز أن يكون « استوليا »: استفعلا « من ولي بلي »، فيكون المعنى: إن الجديدين، إذا ما وليا جديداً أدنياه للبلى. والبِلى: إذا كسرت أوله قصرته، وإذا فتحته مددته. وأنشد بعضُ النحويين(١):

والمرءُ يبليه بلاءَ السربال ... كر الليالي وانتقالُ الأحوال

* * *

٢٧ ما كُنْتُ أُدْرِي وَالزَّمانُ مُولَعٌ ... بِشَتِّ مَلْمُومٍ وَتَنْكِيثِ قُوىً

٢٨ أَنَّ القَضَاءَ قَاذِفي في هُوَّةٍ ... لاتَسْتَبِلُّ نَفْسُ مَنْ فيها هَوىً

قوله: « ما كنت أدري والزمان مولع » — أدري أي: اظن — ثم حال بين أدري وما عملت فيه بحشو هذا البيت، وجاء بالمعمولِ فيه في البيت الذي بعده — قوله: « والزمان مولع » أي: مُلحٌّ يقال: « أولع الرجل بالشيء يولع » إذا ألحَّ عليه. وهو « ولِعٌ ووَلوعٌ » والمصدرُ « وَلوع وإيلاع » وقوله: « بشت ملموم » الشت: التفريق « والملموم » المجتمع من قولهم: « لمَّه يلمّه لمّاً »: اذا جمعه و « لمَّ فلانٌ أمرَ فلان »: إذا جمعه وأنشدوا(٣):

(١) البيت للعجاج

(٢) ديوانه، ص: ٨٦، مختصر الألفاظ، ص: ٢٢١، اللسان: (بلى).

(٣) البيت للنابغة الذبياني.

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه على شَعَث ، أيُّ الرجال المُهَذَّب[1]

و « التنكيث » التفعيل من « النَّكْثِ » وهو أحد أنكاث الأَخْبية أي ؛ ما نُقِض منها ليغزلَ ثانية ،و« القُوى » جمعُ « قُوة » ؛ وهو أحد قُوى الحبل أي طاقاته ، ويقال : «أغرت الحبل » إذا أحكمت فتله، و « نكَثْتُه »؛ إذا نَقَضْتَه ، وأصلُه ما قدمناه .

وقوله : « أنَّ القضاء قاذفي » أنَّ ؛ مفعول به ، والفعلُ الواقع عليه « أدري » ؛ و « قاذفي » أي ؛ « مُلقي » يقال : قذفه بالحَجَرِ ؛إذا رماه به . و « الهُوَّة »: ما هوى من الأرض أي ؛ سَفُل . وقيل: « الهُوة » حفرة يَضيقُ أعلاها ويتسعُ أسفلُها . وجمعُ « الهُوَّة هُوَىً » وقوله : « لا تستبل »: خطأ عند الحُذَّاق من أهل اللغة ،لأن معنى « تستبل » تبرأ ، وكان يجب أن يقول : لا تنجو وما يشاكل هذا . والعرب تقول : « بَلَّ الرجل من مرضه » و « أبَلَّ » و « واستَبَلَّ » و « ابرغشَّ» و « اطرغشَّ »[2] و « تقشقش » و « اندمل » عن أبي زيد .

وذكر بعض النحويين : أن ابن ورقاء اعتلّت أُمُّه — وكان متقعرًا[3] في كلامه — فكتب رقاعاً ، وألقاها في قِبلة المسجد بمدينة السلام . فإذا فيها مكتوب

---

(١) ديوانه ، ص : ٢٢ ،طبقات فحول الشعراء ، ص : ٤٧، لباب الآداب، ص : ٢٦ ؛

(٢) في الأصل : « ابرعش » و « اطرعش » و « ابرعشاشا » ، و « اطرعشاشا » بالعين في المهملة فيها جميعا ، والصواب ما أثبت بالغين المعجمة .

(٣) في الاصل : « متقعدا » - تصحيف صوابه ما أثبت .

صين امرؤ ورُعي [1] دعا لامرأة مقسئنة أولعت بأكل الطرموث [2] فأصابها عنه استئلال، أن يهب الله لها اطرغشاشاً وابرغشاشاً [3]. فما كان أحَد نظر إليه إلا لعنه، ودعا عليها ألا تعافى و « الاستئلال »: ضَعْفٌ في المعدة يَصفرُّ منه الوجـه. والطرموث: الطين الذي يؤكل، و « المقسئنة »: المرأة التي قد كبرت وعنست. ومنه « عود مقسئن » و « هوى » أي؛ سقط، يقال: هوى يهوي؛ إذا سقط من فوق إلى أسفل

* * *

٢٩ فَإِنْ عَثَرْتُ بعْدَها إنْ وَأَلَتْ ... نَفْسِيَ مِنْ هَاتَا فَقُولا لاَلَعَا

٣٠ فَإِنْ تَـكُنْ مُدَّتُهَا مَوْصُولَةً ... بالحَتْفِ سلَّطْتُ الأُسَا عَلَى الأَسى

قوله « وألت » خَلصَت ونجت. يقال: « وأل فلان من كذا »؛ إذا خلص منه ونجا، و « المَوْئل » مفعل من. « وألَ » وهو الملجأ، يقال: « هذا موْئل فلان » أي ملجأه يقول: إنْ عثرتُ بعد هذه — إن نجت نفسي من هذه — فقولا لالَعا

---

(١) في الأصل: « وروعي امرؤ » والصواب « رعي » من « الرعاية » وإسقاط « امرؤ » كما أثبت.

(٢) كذا في الأصل، وقد فسره فيما بعد ب: الطين الذي يؤكل!! ولم نجد هذا المعنى او مايقاربه في كتب اللغة، وفي اللسان: « الطرقوث: الضعيف. والطرموث: الرغيف ». وحفظنا لهذا الخبر أنه « الطرموق » بالقاف، ومعناه: الخفاش، وكانت هذه المرأة قد ابتليت بأكله. والذي نذكره أن الخبر في « صبح الأعشى »! الا أنا لم نهتد إلى موضعه منه.

(٣) انظر الحاشيه رقم: ٢، في الصفحة السابقة.

قال العجاج في الموئل :

وعامـد بنفسه للسل وعامد تمسك لم تنعل

نعلاولاظهراسوى الترحل حتى تناها لتناهي الموئل

وقوله « لالَعا » أي : لاتنعَش. ويقال للعاثر : لعاً لك ، أي نعَشَكَ اللهورفَعكَ و « هاتا » للمؤنث مثل هذا للمذكر . يقال: « هاتا هند » كما يقال : « هذا ازيد». ومنهم من يقول : هذي في المؤنث كما يقال : هذه : قال الشاعر :

فَهذي سيوفٌ ياصُديُّ بنَ مالك حِدادٌ ولَـكِنْ أينَ بالسَّيْفِ ضَارِبُ (١)

وقوله « وان تـكن مدتها » : الهاء عائدة على النـكبة ، يقول : إن تكن مدةُ هذهِ النـكبةَ موصولة بالحتفِ ؛ وهو الموت ، سلطت الأسا على الأسى و « الأُسا » بضم الهمزة : جمع أسوة ؛ وهو أن يرَى الإنسانُ بغيرِه مثلَ ما به ؛ فيكفهُّ ذلك عن حزِنه . و « الأَسى » بفتح الهمزة : الحزن. يقال « أسِيَ على الشيء يأْسى أسىً » إذا حزن عليه. و « أسَوْتُ الجرُحَ آسوه » إذا داويته . ومعنى هذا البيت ؛ أنه ذ كر ما هوفيه الحزن، ثم ذ كَر ما حلَّ بالأشراف قبلَه ، وكيفَ ما توا قبل أن يبلغوا آمالهم ، فقال : أنا أتأسىَّ بهم وأصبرُ كما صبروا (٢)

* * *

---

(١) لم نعرف قائله . وهو في أمالي ابن الشجري ١ / ٢٦٧

(٢) أورد ابن هشام هذا البيت في مغني اللبيب ٢ / ١٢٣ ، وقال : « إن المتبادر تعلق « إلى » بـ « جرى » ولو كان كذلك لـكان الجري قد انتهى إلى ذلك المدى ، وذلك مناقض لقوله :

فاعتاقه حمامه دون المدى

وإنما « إلى مدى » متعلق بكون خاص منصوب على الحال ، أي : طالبا الى مدى » .اه.

٣١ إنَّ أمرأَ القيس جرى إلى مَدى فَاعتاقَه حِمامُهُ دونَ المدى

قوله « جرى إلى مدى »: أي ؛ إلى غاية ، ويُروى : « رقى إلى مدى » أي ؛ اطَّلَعْ إلى مدى . يقال : رقى يرقى رُقِيا ؛ إذا اطلع ، واسم الفاعلِ راقٍ ، قال الشاعر [١] :

وخير أمامٍ قام من خير عنصر وأفضل راقٍ فوق أعواد منبر [٢]

فاعتاقه حِمامه :أي؛ عاقه عن بلوغ المدى. و « الحمام »: الموت من قولهم : « حُمَّ الأمرُ » أي ؛ قرب . ومنه اشتقاق اسم « حمام » . ويجوزُ أن يكون « حمام » من « الحميم » ؛ وهو الماء الشديد الحرارة ، ومن الحميم أيضاً وهو العرق .

« قصةُ امرىء القيس [٣] » . وكان من حديثه أنَّ أباه طردَه لَمَّا قال الشعر ، وكان ينتقلُ في أحياءِ العربِ وأفنيتم ، فاستتبع صعاليكَ منهم ، فكان يغيرُ بهم ويتنقل في الأحياء . وكان أبوه ملكَ بني أسد ، فعسفهم عسفاً شديدا فتمالؤوا على قتله فقتلوه . فلما بلغ امرأ القيس قتلُ أبيه وهو يشرب ، قال : ضيعني صغيراً وحملني ثقل الثأر كبيراً ، أليوم خمر ،وغدا أمر ، فأرسلها مثلا ، اليوم قِحاف وغدا ثِقاف .

---

(١) هو أبو العتاهية .

(٢) ديوانه : وفي العقد الفريد ٣/ ١٩٢ ؛ أن زبيدة زوج الرشيد جعلت المقطوعة التي منها هـذا البيت رسالة إلى المأمون بعد قتله ابنها الأمين ، ورواية البيت فيه :

لخير إمام قام من خير معشر وأكرم بسّام على عود منبر

ولا شاهد فيه على هذه الرواية . وكان في الأصل : « قام حين عنصر » أسقط الناسخ «من» سهوا ، وصحف « خير » إلى « حين » .

(٣) انظر خبره هذا بتوسع في الكامل لابن الأثير ١/ ٢٦٣ - ٢٦٥

ثم جمع جمعاً من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب ، فخرج بهم يريد بني أسد ، فخبَّرهم كاهنهمُ بخروجه إليهم ، فارتحلوا . ثم توجه إليهم امرؤ القيس ويمَّمهم ، فوقع في بني كنانة ، فقتلهم قتلا ذريعا. وأقبل أصحابهُ يقولون يالثاراتِ الهُمام ، فقالت عجوز منهم : واللاَّت أيُّها الملكُ ما نحن لك بثأرٍ ، وإنما ثأرُك بنو أسد ، وقد ارتحلوا ، فرفع عنهم السيف ، وأنشأ يقول :

ألا يالهفَ نفسي من أناس ... همُ كانوا الشِّفاء، فلم يصابوا[1]
وقاهم جَـدُّهُمُ ببني عليّ ... وبالأشقَـيْن ما كان العِقاب

أما قوله « بني عليّ » يعني بهم بني كنانة ، نُسبوا إلى علي بن مسعود الغساني، وكان تزوج أمَهم بعدَ أبيهم، وربّاهم في حجره، فنسبوا إليه . ثم إن أصحاب امرىء القيس اختلفوا عليه ، وقالوا : وقعت بقوم ابرياء ، فظلمتهم . فخرج إلى اليمن إلى بعض مقاول حمير، وكان اسمه قَرملاً فاستجاشه ، فثبطه قَرمل ، فذلك حيث يقول

وكنا أناسا قبل غزوة قَرْمَلٍ ... ورِثنا الغِنى والمجدَ أكبرَ أكبرا[2]

معنى قوله « ورثنا الغنى والمجد » يقول : ورثنا الغنى والشرف كابراً عن كابر .

---

(١) ديوانه ، ص : ١٣٨ . وروى ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ، ص : ٤٤ ، باسناده الى هارون بن أبراهيم قال : سمعت قائلا يقول للفرزدق : من أشعر الناس يا أبا فراس ؟ قال : ذو القروح - يعني امرأ القيس -. قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول:

وقاهُمْ جدُّهمْ ببني أبيهم ... وبالأشقَيْنَ ما كان العقابُ
وأفلتهنّ علباءٌ جَرِيضا ... ولو أدركْنهُ صَفِرِ الوِطابُ

(٢) ديوانه ص : ٧٠

ثم انه خرج إلى قيصر ، وجعل طريقه على تيماء حصن السموأل بنِ عادياء اليهودي ، فأودعه كراعا وسلاحا ، وأنشد عند ذلك يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدَّربَ دُونه   وأيقَنَ أنَّا لاحِقان بقَيْصَرا (١)

فقلت له لا تبكِ عينُكَ ، إنما   نحاولُ ملكا ، أو نموتَ فنعذَرا

ثم سارَ حتى وصَلَ إلى قيصرَ في ملكِه ، فاستأذنَ عليه فأذن له ، فلما دَخَل عليه قرَّبَ مجالسَه وأدنى مكانه ، واتخذه نديماً ، وجمَّلَه ، وخلع عليه ، وأحسن إلى أصحابه . ثم استعان به ، فوعده أنْ يرفدَه بجيش ، وكان أمروْ القيس رجلاً جميلَ الوجه ، وكان لقيصرَ بنتٌ جميلةٌ حسناء ، فأشرفت يوماً من قصرها فرآها امرؤ القيس في دخوله إلى أبيها ، وارسلها ، فأجابته إلى ما سأل ، فقال فيها وقد طرقها ليلاً ، وذلك حيثُ يقولُ :

فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعداً   ولو قطعوا رأسي لدَيْك وأوْصالي (٢)

وكان عند قيصرَ رجلٌ من بني أسَد يقال له : الطماح ، فوشى به إلى قيصر ، فوجدَ عليه ، وأحفظه ذلك حتى إنه همَّ بقتله ، وألقى ذلك إلى من يثق به من أهل مملكته ، فأشاروا عليه ألا يقتله في بلده لئلاَّ تسمعَ العربُ أنه يقتلُ الملوكَ إذا وفدوا عليه . فقال له : مابغيتك ؟ فقال : إني أريد رَجلا استعين بهم على أعدائي ، ويكون البلدُ لك ، فقال : لك ذاك . ثم ضم إليه من أصحابه رجالاً بمقدار حاجته ، وقال له : اخرجْ إذا شئت فخرَجَ حتى إذا بلغ أنقرة بعث إليه قيصر بحُلَّةٍ مسمومةٍ قد

---

(١) ديوانه ص : ٦٥ - ٦٦

(٢) ديوانه ص : ٣٢ والبيت كثير الدوران في كتب اللغة يوردونه شاهداً على حذف (لا) قبل أبرح مع القسم

قد نسجت بالذهب ، وقال للرسول : قل له : الملكُ قد حباك بهذه الحُلة لقُربك من قلبه ، وأحبَ أن تلبَسَها ليراها عليك أصحابك ، فلبسها من وقته ليبلغ قيصر حسنُ طاعته ، فخرجت عليه قروحٌ — فلهذا تسميه العرب ذا القروح — ثم أقبل لحمهُ يتناثرُ ، وكان يُحملُ في مِحَفَّةٍ فعند ذلك أنشأ يقول : (١)

لقد طَمَحَ الطمَّاحُ من بعُدِ أرضِهِ ... لِيُلبِسَني من دائه ما تَلَبَّسا

وبُدلت قَرحاً دامياً بعد صَحَّةٍ ... لعل منايانا يُحَوَّلْنَ أبؤُسا

ثم نزل إلى جنبِ جبلٍ [هناك يقال له عسيب] (٢) وإلى جانبه قبرٌ لابنة بعض ملوك الروم ، فسأل عن القبر ، وكان مشرفاً ، فقيل له : إنه قبرُ ابنة ملكٍ من ملوك الروم ، قال : فما جاء بها إلى ههنا ؟ فقيل له : إنها ترهبت في دير لهـا ، فماتت بحيث يرى الملك ، ودُفنت فقال (٣) :

أجارَتَنا إنَّ الخُطوبَ تَنوبُ ... وَإني مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

أجارَتَنا إنَّا غريبانِ هاهُنـا ... وَكُلُّ غَريبٍ لِلغَريبِ نَسيبُ

فَإنْ تَصِلِينا فَالْمَوَدَّةُ بَيْنَنـا ... وَإنْ تبعِدينا فَالْمَزارُ قَريبُ

أجارَتَنا ما فاتَ لَيْسَ يَؤُوبُ ... وَما هُوَ آتٍ في الزَّمانِ قَريبُ

وَلَيْسَ غَريباً مَنْ تَناءَتْ دِيارُهُ ... وَلـكِنَّ مَنْ وارى التُّرابُ غَريبُ

فلما أيقن بالموت ، قال :

---

(١) ديوانه ص : ١٠٧ — ١٠٨ وثانيهما فيه مقدم على الأول

(٢) زيادة من المخطوطة « م »

(٣) ديوانه ص : ٣٥٧ ، والأغاني : ٨ / ٧١ وليس فيها إلا البيت الأول والثاني .

ياطعنة متعنجره وخطبة مسحنفره[1]

وجفنة مدعثره متروكة بأنقره

متعنجره : منصبة . ومسحنفره : ماضية ، ومدعثره : مكسورة . وأنقره : موضع ، ثم مات فهناك قبره .

* * *

٣٢ وَخامَرَتْ نفسُ أَبي الجبرِ الجوى حتّى حواه الحتفُ فيمن قد حوى

« خامرت » أي ؛ خالطت،وسميت الخمرُ خمراً لمخالطتها العقل . وكذلك (الخَميرة) سميت خميرةً لمخالطتها الفطورة ، وسترها لها . والجوى : داء في الجوف والجِواء ، بكسر أوله ومده اسمُ أرض ،ومنه قولُ عنترة العَبسي :

يا دارَ عبلَةَ بالجواء تكلّمي وعِمي صباحاً دارَ عَبْلَةَ واسْلَمي[2]

و « والحتف » الموت . ويروى « حتى سقاه كأس حتف يحتوى،أي حتى سقاه

(١) في رواية الأبيات اختلاف،ففي الديوان ص : ١

يا جفنة مسحنفره وطعنة متعنجره

قد غودرت بأنقره

وفي الأغاني ٨ / ٧١

رب خطبة مسحنفره وطعنة متعنجره

وجفنه متحيره حلت بأرض أنقره

ولم نجد روايتين متفقتين لهذه الأبيات

(٢) البيت من معلقته المشهورة ، وهو البيت التالي لمطلعها - المعلقات ، ص : ١٤٧

كأس حتف يحتوى . والكأس :يذكر ويؤنث ، ولاتسمى كأساً إلا وفيها شراب وإلا فهي قَدَح أو غير ذلك « و يحتوى » أي ، يكره . يقال « اجتويت الشيء؛ إذا كرهته .

قصة أبي الجبر ، وزعم أبو حاتم ان أبا الجبر الكندي كان أسمه وكنيته واحداً، وكان من حديثه ومسيره إلى كسرى يستجيشه على قومه ، فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما صاروا بكاظمة ،نظروا إلى وحشة بلاد العرب ، فقالوا :أين نمضي مع هذا ؟ فَعمَدوا إلى سُم ، فدفعوه إلى طبَّاخِه ، ووعدوه بالإحسانِ إليه من أنفسهم ، فألقاه في أحبِّ الألوان إليه ، فلما استقر في جوفه اشتد وجعه ، فلما علموا بذلك دخلوا إليه ، فقالوا له : قد بلغت إلى هذه الغاية ، فاكتبْ لنا إلى الملك بأنك قد أذنت لنا ، فكتبَ لهم ، فخرجُوا ، وخَفَّ مابه ، فخرج إلى الطائف يُريدَ الحارث بن كلدة الثقفي - وكان طبيبَ العربِ - فداواه ، فبرأَ ، ثم أرتحلَ يريدُ اليمن ، فانتقضت العلة عليه ، فمات في الطريق ، فقالت عمته كبشة ترثيه .

ليت شعري ، وقد شَعرت أبا الجبـ ... ـر ربما قد لقيتَ في التَرحال
أَمطَتْ بك الركابُ أبيْتَ الـ ... ـلعنَ حتى حللت بالأقتالِ
أشجاع ؟ فأنتَ أشجعُ من ليـ ... ـث هموسِ السُرى أبي الأشبالِ
أجواد فأنت أجودُ من سيـ ... ـل تداعى من مُسْبِلٍ هطَّالِ
أحليم فأنت أحلم من ضمـ ... ـمت حصان ومن مشى في النعال

أكريم فأنت أكرم من يمـ — شي على الأرض بين عمّ وخال (١)
[ملك ماجد يقوم له النا — س جميعاً قيامهم للهلال] (٢)
أنت خيرٌ من عامر وابن وقا — صٍ وما جمّعوا ليوم المحال
أنت خير من ألف ألف من القو — م إذا ما كبت وجوه الرجال (٣)

* * *

٣٣ وأبنُ الأشجِّ القيلُ ساقَ نفْسَهُ — إلى الردى حِذارَ إشماتِ العِدى

ابن الأشج يعنى ، عبد الرحمن (٤) بن الأشعث بن قيس الكندي ، ويلقب قيس الأشج . وهو قيس بن معدي كرب ، وله حديث أذكره بعد شرح البيت

(١) أثبت هـذا البيت والذي قبله من المخطوطة « م » وقد لفق منها ناسخ الأصل بيتا واحدا صورته :

أكريم فأنت أكرم من ضمـ — ـت حصان ومن مشى في النعال

(٢) هذا البيت زيادة من المخطوطة « م » .

(٣) جاء في المخطوطة « م » بعد هذه الابيات :

« وقال شرحبيل عم أبي الجبر الرهينة عند كسرى :

ألا أبلغ نديكَ أبا يزيد — فهانَ عليك ما لاقى عيالي
فقد دلّيتني في قعرِ جُبٍّ — بعيدٍ ما تناولهُ حبالي
نشدتكَ والعيالَ فلا تُضعِهُمْ — فِداكَ أبا يزيد اليوم مالي
فإني من ملوكِ الناسِ قِدْماً — همُ أهل المآثر والمعالي

وخلّى كسرى عن شرحبيل فقدم على قومه فزوّج بنته هند قيس بن معدي كرب فولدت له شرحبيل . » اه

(٤) في الأصل : « عبد النمر » تصحيف عجيب

« والقَيْل » الملك ، وجمعه أقيالٌ وقيول و « ساق نفسه إلى الردى » ، اي إلى الهلاكَ ، يقال: ردِيَ يردى : إذا هلك . والعِدى هم الأعداء ، وهما لغتان ، ومنه قول الشاعر [1] :

إذا كنتَ في قومٍ عِدىً لَسْتَ منهُمُ ... فَكُلْ ما أتوْهُ مِنْ خبيثٍ وَطَيِّبِ [2]

و « العدى » أيضاً فيما حكى أبو عمرو الحجارة والصخور التي تجعل على القبر ، وأنشد : [3]

وحال السفا بيني وبينك والعدى ... ورهنُ السَّفا غَمر النقيبة ماجد [4]

يصف مقبوراً » والعِداء بالكسرِ والمد ، الموالاة بين الشيئين : قال أمرؤ القيس :

فعادَى عِداء بين ثورٍ ونَعجةٍ ... دِراكاً ولم يُنْضَحْ بماء فيُغْسَلِ [5]

قصة ابن الأشج .

وكان من حديثه أن الحجاجَ ولاّه سجستان ، فخلع الحجاجَ دون عبد الملك ، واتبعَهُ أهلُ العراق قُرّاؤهم وعُلماؤهم – منهم الشعبيُّ ومنهم سعيد بن يسار [6] ومن أشبههم – فغلب على البصرة والكوفة وقاتلَ الحجاجَ برهةً

(١) هو دودان بن سعد

(٢) الاصلاح ص : ١١٢ ، وعنه المخصص ١٢ / ٥٢ غير معزو ، وهو من مقطوعة في الكامل ص ٢٧١ ، الحماسة ١ / ٣٥٨ – ٣٥٩ غير معزوة أيضاً ، وعزاه الجاحظ مع جملة أبيات في الحيوان ٣/ ١٠٣ لخالد بن نضلة ، وأورده وحده في البيان ٣/ ٢٥٠ لخالد هذا أيضاً ، وانظر ذيل اللآلي ص ٢٤ ، الأساس « عاف » .

(٣) لكثير عزة

(٤) اللسان « سفا »

(٥) ديوانه ص : ٢٢

(٦) هو أخو الحسن البصري ، وربما كان ممن ثار مع ابن الأشعث ولكنه ليس فيمن قتل وفي المخطوطة « م » وسعيد بن جبير ، وهو ممن قتلهم الحجاج في ثورة ابن الأشعث

طويلة . ثم انهزم ولجأ إلى رتبيك ملك الترك ، فبذل له الحجاج مالاً كثيراً . فغدر به رتبيك ، وأسلمه إلى رُسُل الحجاج ، فلما صاروا به بالري باتوا على سطح حصن مرتفع ، وكان قد قُرِن مع رجل من بني تميم في سلسلة في أيديهما ، وكان يؤمَّر ، وهو أسير ، فلما كان في بعض الليل قال للتميمي : قُم معي لأبولَ فلما قام معه أشرف من السطح إلى الأرض ، وجمع ثيابه عليه ، فقال له التميمي : وما تصنع أيها الأمير ؟ قال : الساعة أعلمك ، ثم رمى بنفسه هو والتميمي فماتا جميعاً ، وحمل رأسه إلى الحجاج .

* * *

٣٤ واخترمَ الوضّاحَ مِنْ دُونِ التي أمَّلَها سيفُ الحِمام المُنتضى

قوله : « اخترم » أي ؛ اقتطعه . يقال : « خرمت الشيء » و « أخرمته » إذا قطعته ،واسم الفاعل من « خرم » . « خارم » والمفعول « مخروم » واسم الفاعل من « اخترم » « مُخترِم » والمفعول « مخترَم » و « الحِمام » للموت وقد ذكرته . المنتضى: المسلول. يقال : انتضيت السيف أنتضيه انتضاء ؛ إذا سللته من غمده ،واسم الفاعل « منتضٍ » ، والمفعول منتضى. قصة الوضاح وهو جَذيمة الأبرشُ الملك[1] الأزدى ، كان في أيام الطوائف وقد ملك شاطىء الفرات إلى جاماس وإلى الأنبار وما وراء ذلك إلى السواد ستين سنة ، وكان من العماليق ، وكان قتل أبا الزَّبَّاء ، وغلب على ملكه ،وألجأ الزَّبَّاء إلى أطرافِ مملكتها ، وكان يُغِير على ملوك الطوائف وغيرِهم حتى غلبهم ، وغلب على كثير مما في أيديهم. وكان أبرصَ

(١) مجمع الأمثال ص : ١/ ٢٣٦ ، أمثال العرب ص : ٢٧ الكامل لابن الأثير ١ /١٩٧

فهابت العرب أن تقولَ : أبرصُ ، فقالت : الأبرشُ الوضاحُ ، وكانت[1] الزَّبَّاء أديبةً عاقلةً ، فبعثت إليه تخْطُبُهُ على نفسها ليتصل مُلْكُهُ[2] بملكها ، فدعته نفسه إلى ذلك ، فشاورَ وزراءهُ في ذلك ، فكلُّهم أشارَ عليه بذلك ، إلا قصيرَ ابنَ سعد القضاعي ، فإنه قال له : أيُّها الملكُ لا تفعل . فقال له جذيمة : إنه لا بد لي من تزويجها ، فدعني من قولك ، فقال : إن كان لا بد من تزويجها فإن الرأي ألا تذهب إليها أنت ، فإني رأيتُ النساء يُهْدين إلى الأزواجِ لا الأزواجُ إلى النساء ، فرام أن تأتيَه فلم تفعل : فسار هو ، وتقدم أصحابَه ، وسيّرت هي قوماً من أصحابها يَستقبلونه ، فلما دنا القوم بعضُهم من بعض . قال جذيمة لقصير : ما نحن صانعون ؟ قال : إذا رأيت جنودَها قد أقبلوا إليك ، ترجّلوا ، وحيّوك ، ثم ركبوا ، وتقدموك ، فقد كذب ظني . وإن[3] رأيتَهم إذا حيوك أطافوا بكِ ، فإني معرض لك العصا — وهي فرس لجذيمة لا تدرك — فاركبها ، وانج بنفسك . فلما أقبل حيّوه ثم أطافوا به ، فقرب إليه قصيرُ العصا ، فشُغِل عنها ، فركبها قصيرُ ، ونجا ، وأُخذَ جذيمة فنظرَ إلى قصير على العصا وقد حال دونه السرابُ ، فقال : ما ضلَّ من تجري به العصا[4] ، فأرسلها مثلاً . وأُدْخلَ جذيمةُ على الزباء ، وكانت قد وفرت شَعْرَ عانتِها حولاً ، فلما دخل تكشّفت له ، وقالت أذات عَروس[5]

(١) في الأصل : « وكان »

(٢) في الأصل : « ملكي » خطأ من الناسخ .

(٣) في الأصل : « ولن » - تصحيف .

(٤) في مجمع الأمثال : « ويل امه حزما على متن العصا » .

(٥) في مجمع الأمثال : « أدأب عروس ترى يا جذيمة ؟ » وفي أمثال العرب : « أشوار عروس ترى ؟ . .

ترى يا جذيمة ؟ أما إنه ليس من عَدَمِ المواسي ، ولا من قلة الأواسي ، ولكنها شيمة أناسي ، وأمرت به فأجلسَ على نطعٍ ، وجيء بطستٍ من ذهبٍ ، وقطعت رواهشه ، فذلك قول الشاعر [1] :

وقــدَّمت الأديمَ لراهِشَيْهِ   وألفى قولَها كَذِباً وَمَيْنا[2]

وكانَ قد قيل لها : احتفظي بدمه ، فإنه إن إصابَتِ الأرضَ منه قَطرةٌ طُلِبَتِ بثأره ، فَقَطرت قطرةٌ من دمهفي الأرض ، فقالت : لا تُضيِّعوا دم الملك فقال جذيمـة : دَعُوا دماً ضيعه قومه ، فأرسلها مثلاً ، وجعل ينزف دمه حتى مات .

* * *

٣٥ وَقَدْ سَمَا قَبْلِي يَزِيدُ طَالِباً   شأْوَ العُلَى فَمَا وَهَى وَلاَ وَنَى

٣٦ فَاعْتَرَضَتْ دُونَ التي دَامَ وَقَدْ   جَدَّ به الجِدُّ اللُّهَيْمُ الأَرْبَى

قوله « سما » أي ؛ علا وارتفع. يقال : « سما يسمو سُمُوّاً » ؛ إذا ارتفع ومنه سميت « السماء » لارتفاعها وعلوها . وقوله : طالبا شأو العلى « الشأو » الطَلَقُ . يقال : طلبت شأوه، أي ؛ طلقه . وقوله « فما وهي » أي ؛ فما ضَعُفَ .

---

(١) هو عدي بن زيد العبادي .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، ص : ٦٣ ، شرح شواهد المغني ، ص : ٢٦٣ ، معاني القرآن للفراء ١ / ٣٧ ، اللسان : (مين) ، وهو من قصيدة لم تصل إلينا بتمامها ، مطلعها :

أَبُدِّلَت المنازلَ أم عفينا   تقادم عهدهن فقد بَلِينا

وقد أورد منها في المخطوطة « م » ٢٧ بيتا عدا المطلع :

الأديم : الجلد المدبوغ . والراهشان : عرقان في باطن الذراعين .

ومنه « حديث واهٍ » و « امر واهٍ » أي ؛ ضعيف . ومنــه قوله عز اسمه : (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية[١]) ولا ونى ، أي ؛ ولا فتر . يقال : « ونى الشيء يني » ؛ إذا فتر . قال الله عز اسمه : (ولا تنيا في ذكري[٢]) أي ؛ لاتفترا و « جارية أناة » أي فاترة . وأصل « أناة » ؛ « وَناة » ، فابدلوا من الواو الهمزة كما قالوا : « أحد » وأصلهُ « وَحد » . وقوله : « فاعترَضت « افتعلت من « عرَض الشيء يعرض » إذا بدا : و « العَرَضُ » خلاف الطول والعُرض الناحيةُ من الشيء . قال الشاعر : [٣]

زنيمٌ تداعاه الرجالُ زيادة كما زِيدَ في عَرض الأديم أكارعه[٤]

و « العِرض ٤ النفسُ والجسمُ ، وفي الحديث أن النبي (صلوات الله عليه وسلم) قال : (أيعجز أحدكم أن يكونَ كأبي ضَمْضَم ، كان إذا خرج يقول : اللهم إني قد تَصَدقْتُ بعرضي على عبادك)[٥] ومنه قولُ حسانَ بن ثابت :

فإنَّ أبي ووالدَه وعرضي لعِرْض محمد منكم وقاء[٦]

---

(١) سورة الحاقة ، الآية : ١٦

(٢) سورة طه ، الآية : ٢ ؛

(٣) هو الخطيم التميمي ، أو عدي بن زيد ، وقيل : لحسان .

(٤) الكامل ، ص : ٩٥٨ ، وعنه اللسان : (زنم) معزوا لحسان بن ثابت . وأورده في اللسان : (زنم » ثانية معزوا للخطيم التميمي ، وهو في شعراء النصرانية ، ص : ٧٣٤ منسوباً لعدي بن زيد وأورده في الأساس : (زنم) غير معزو .

(٥) قال في الفتح الكبير : رواه ابو داود والضياء عن أنس .

(٦) ديوانه ، ص ٢ ، الاقتضاب ، ص ٣٠٠ ، الأمالي ١ / ١١٨ ، السيرة ٢ / ٢٨١ ، الأغاني ٤ / ٤ . من قصيدة يخاطب بها أبا سفيان بن الحارث ويهجوه لهجائه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلة البيت - :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

و « العرَض» حُطام الدنيا . قال الله عز وجل (تبتغون عَرَضَ الدنيا [1]) وفي كلام بعضِ الصالحين : إنما الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ يأ كل[منه] [2] البرُوالفاجرُ وقولهُ « دون التي رام » دون التي طلب و «وقد جَدَّ به الجِد » و « جَد » أي قطع ، و« الجِد » بكسر الجيم ؛ خلاف الهَزْل . و « الجَدّ » بفتح الجيم ؛ هو الغنى والحظ في الرزق ، ومنه قيل : « لفلان في هذا الأمر جد » ، اذا كان مرزوقا منه : وفي الحديث: «ولاينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ [3] » . أي ؛ لاينفع ذا الغنى والحظِ منك غناه وحظه ، إنما ينفعُه العملُ بطاعَتِكَ . وروي عن الحسنُ وعكرمة في قوله تعالى : (وأنه تعالى جَدُّ ربنا [4]) قال أحدُهما : غِناه ، وقال الآخر : عظمته وقال ابن عباس : لو علمت الجن أن في الأنس جَداً ما قالت : (تعالى جَدُّ ربنا) فذهبَ ابن عباس إلى أن الجَدّ إنما هو الغنى ، ولم يكن يرى الإنسان أنَ أبا الأب جَدٌّ ، إنما هو عنده أبٌ ، وقد زعم بعض الناس أنما هو « ولا ينفع ذا الجِدّ منك الجِد » بكسر الجيم « والجِد » إنما هو الاجتهادُ في العمل ، وهذا التأويل خلافُ مادعا الله إليه المؤمنين ، فقال : « يا أيها الرُسُلُ كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم » [5] ، فقد أمرَهُمْ بالجِدِّ والعمل الصالح ، وقالَ

فإن أبي . . . : البيت :

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٤
(٢) زيادة يقتضيها السياق .
(٣) رواه البخاري ومسلم
(٤) سورة الجن ، الآية : ٣
(٥) سورة المؤمنون ، الآية : ٥١

(إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ إنّا لا نُضيع أجرَ من أحسن عملا)[1] وقال: (قد أفلح المؤمنون[2]) إلى آخر الآيات وقال: (جزاءً بما كانوا يعملون[3]) في آيات كثيرة، فكيف يحثهم على العمل الصالح، ويبعثهم به، ويحمدهم عليه، ثم يقول: إنه لا ينفعهم، « والجُد » بضم الجيم: البئر القديمة: قال الأعشى:

ما جُعل الجُدُّ الظَّنونُ الذي   جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الماطِرِ[4]

مِثلَ الفراتيّ إذا ما جرى   يَقذِفُ بالبوصيِّ والماهرِ

« واللُّهيم والأُربى »: اسمان من اسماء الداهيـة. وهي أيضاً « الدِّهْرِس » و « والفليقة والعنقفير » و « والباثقة » و « الفاقرُ » و « الصالّة » و « أمّ الخَلْفَف[5] » و « وأم حَبَوْكَرى » قال الشاعر[6]:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٠

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٢٤

(٤) ديوانه، ص: ١٠٥ مختار الشعر الجاهلي ٢/١٦٩، واللسان: (ظنن) وثانيها وحده في اللسان ورواية الأول في الديوان: « ... اللجب الزاخر » ورواية الآخر في الديوان (بوص). واللسان معاً « إذا ماطما ».

والظنون: البئر التي لايدرى أفيها ماء أم لا. والبوصي، جاء في اللسان. (بوص) ما نصه: « البوصي: ضرب من السفن – فارسي معرب ... وعبر أبو عبيد عنه بالزورق. قال ابن سيده: وهو خطأ، والبوصي: الملاح. وهو أحد القولين في قول الأعشى:

مثل الفراتي . . . البيت

وقال أبو عمرو: البوصي: زورق وليس بالملاح، وهو بالفارسية: بوزي ». اهـ

(٥) كذا في الأصل، وما ندري ما حقيقته فإنا لم نجده في أسماء الدواهي. أنظر المخصص ١٢ / ١٤٢ - ١٤٧

(٦) هو ابن أحمر الباهلي.

فلمـــا غسا ليلي وأيقنتُ أنها   هي الأُرَبى جاءت بأُمّ حَبَوْكَرى[1]

وفي البيت تقديم وتأخير . وتقديره : فاعترضَتْ اللهيمُ الأُرْبى دون التي رام . وقد جدَّ به الجد .

قصة يزيد ، وهو يزيدُ بنُ المُهَلَّب بن أبي صُفرة ، خرج على بني أُمية ، وخُطب له بالبصرة وسلَّمت عليه جاريةٌ من جواريه بالخلافة ، والعباسُ بنُ الوليد بن عبد الملكِ بإزائه . فقال لها :

رُوَيْدَكِ حتى تنظري عمَّ تنجلي   غَيابةُ هــذا العارِضِ المتألِّقِ

فدست إليه بنو أُمية رجلاً من كلب ، وكان ذا بأس شديد وإقدام مع جهلٍ كثير ، فقتله في بعض خَلَواتِه ، فقال شاعر كلب في ذلك :

قَتلنا يزيدَ بنَ المهلَّبِ بعدما   تمنَّيتُمُ أنْ يغلبَ الحقَّ باطلُهْ

وما كان في أهل العــراق مُنافقٌ   عن الدين إلا مِنْ قُضاعة قاتِلُهْ

ثم صفا الأمرُ لبني أُميــة وهذا ما كان من حديث يزيد بن المهلب

* * *

٣٧ هَلْ أَنَا بِدْعٌ مِنْ عَرانِينِ عُلًى   جَارَ عَلَيْهِمْ صَرْفُ دَهْرٍ وَاعْتَدَى

٣٨ فَإِنْ أَنالَتْنِي المَقادِيرُ الّذي   أَكِيدُهُ لَمْ آلُ في رَأْبِ الثَّأَى

« هل » بمعنى ما أنا . وقد جاءت في القرآن العظيم على هذا المعنى ، قال الله

---

(١) إصلاح المنطق ، ص : ٢٤٨ ، مقـــاييس اللغة ١ / ٩٢ . المخصص ١٢ / ١٤٤ . اللسان : (غسا) .

عز اسمه: (هل ينظرون إلا الساعة [1]) أي ؛ ماينظرون ، ومنه قول الشاعر [2] :

لا بَاركَ الله في الغوانِي هلْ يصبحن إلا لهنَّ مُطَّلبُ [3]

أي ؛ مايصبحن « والبدع » اسم ما ابتدع تقول « والله لقد جئت بأمرٍ بدْعٍ » أي ؛ بأمرٍ مبتدعٍ عجيبٍ . ومنه قول الله جل اسمه : (بديع السموات والأرض [4]) يريد أنه عزَّ اسمهُ خَلَقَهَا على غير مثال تقدم ، وكذلك قوله (قل ما كُنْتَ بدْعاً من الرسل [5]) أي لست بأول مُرسل . والبدْعة أيضاً ؛ خلافُ السنة « وابتدَعت » أي ؛ أي جِئْت بأمرٍ محدَث لم يُعرف قبـلَ ذلك و « العرانين » جمع عِرنين ؛ وهو جملة الأنفِ هذا أصْلُه ، ولكنْ أبو بكر أراد السادةَ وأهلَ الشرفِ . وذلك أن العرب تقول إذا أرادت المدح : « بنو فلان شُمُّ العرانين » مأخوذٌ من الشَمَم . وهو ؛ ارتفاعُ الأرْنبةِ . ويقالُ لِما لانَ من الأنف « المارن » ويكون في الأنف « القنا » وهو ؛ احدِيداب فيه وهو محمودٌ إذا لم يكن فاحشاً . ومذموم إذا تفاحش .

يقول : هل أنا أولُ رجل من رجالِ شرفٍ جارَ عليهم الدهر . فأقام شيئاً

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٦٦

(٢) هو عبيد الله بن قيس الرقيات .

(٣) ديوانه ، ص : ٣ ، وشرح شواهد المغني ، ص : ٢١١ ، والكامل ، ص : ١٢١١ من قصيدة مطلعها :

عادله من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١١٧

(٥) سورة الأحقاف : الآية ٩

مقامَ شيٍ ، وإنما جازَ له ذلكَ ، لأنَّ العرب تسمي الشيء باسمِ الشيء بالمجاورة والسبب كما سمّت المطر « سماء » لأنه ينزل من السماء ، فالعرانين على هذا مضافة إلى عُلى فلذلك انصرف لأنه « فعاليل » ، وكان يجب ألاّ يُصرف ، ولـكن العِلة فيه ما أخبرتُكَ و « صرفُ الزمان » : تقلبه من حال إلى حال . و « أعتدى » ؛ « افتعل » من « عدا عليّ يعدو » إذا جار وظلم ، وقوله « فإن أنالَتني المقادير » أي ، أعطتني ، من قولهم : أنالني الدهر كذا وكذا أي « أعطاني » ، وأنلت فلاناً ؛ أعطيتُه يقول : فإن أعطتني المقادير ما أكيده وما لا أريدُه وما أنا كاره[1] له « لم آلُ في رأب الثأى » ؛ أي ، لم أقصِّر ، وعلامةُ جزْمهِ سقوطُ الواوِ من آخره ، وبقيتْ الضمةُ تدلُ على الواوِ . ويقال : « ما ألوْتُ أنْ أفعلَ كذا » أي ؛ ما قصّرت . وقد ذكرنا هذا وما أشبهه فيما مضى « والرّأبُ » : الإصلاحُ

---

(١) كذا في الأصل ؛ والمعروف أن « كادَ الشيء يكيده » ربما جاءت بمعنى أراد . قال في اللسان (كيد) : « وأنشد أبو بكر في « كاد » بمعنى أراد للأفوه :

فإن تجمّع أوتاد وأعمـــدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

أراد : الذي أرادوا . وأنشد :

كادت وكدت وتلك خير إرادة ... لو كان من لهو الصبابة ما مضى

قال : معناه : أرادت وأردت ، قال: ويحتمله قوله تعالى : (لم يكد يراها) لأن الذي عاين من الظلمات آيسه من التأمل ليده والإبصار إليها . قال : و (يراها) بمعنى : أن يراها ، فلما أسقط « أن » رفع كقوله تعالى : (تأمروني أعبد) معناه : أن أعبد » . اه

وقد حمل في المخطوطة « م » البيت على غير هذا الوجه ، قال - :

« ... وقوله : « لم آل » أي لم أقصر في إصلاح الفساد إن نلت ما أكيده ويكيدني وأعاديه ويعاديني فعلت كذا وكذا ، يريد بذلك الطلب بالثأر والاقتصاص من العدو » . اه

يقال « رأبتُ الشيء أرأبه رَأباً » إذا أصلحْتَهُ . و « الرؤْبة » بالهمز : القطعة من الخشب يُرأب بها الشيء و « الرَوْبَةُ » بغير همز : جِمام الفحل ؛ وهو طرقه و « والرَّوْبة » : خميرة تطرح في اللبن ليروبَ مكانه ، ومنه قومٌ رَوْبَى واحدُهم « رَوِيب » مثل « مرضى » و « مريض » إذا كانوا خثرى الأنفس من شربِ اللبنِ قال الشاعر[1] :

فأما تميمٌ تميمُ بنُ مُرّ فألفاهم القومُ رَوْبى نِياما[2]

و « الروبَة » : القوتُ يقال : « فلان ما يقومُ بروبةِ أهله » أي : بقوتهم . و « الرَوْبة » ؛ الساعةُ من الليلِ تمضي . تقول العرب : « مضت روبة من الليلِ » وسمي رؤْبةُ بنُ العجاجِ بواحدة من هذه .

وفي خبر آخر أخبرنا به أبو الحسن بن مطرف عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم[3] أن أبا عمرو بنَ العلاء كان يزورهُ شُبيلُ بن عَزْرَةَ[4] الضُبعي لصداقة كانت بينهما . فجاءه ذاتَ يومٍ ، وأبو عمرو بفناء داره ، فألقى لِبدةَ بغلته ،

(١) هو بشر بن أبي خازم .

(٢) ديوانه ، ص : ١٩٠ ، أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٤٨ ، مختارات ابن الشجري ، ص : ٢٧١ ، المعاني الكبير ، ص : ٩٣٧ ، البيان والتبيين ٣ / ٢٠ ، اللسان : (روب) .

(٣) كذا في الأصل ، حكى الخبر باسناده إلى أبي حاتم مؤننا ، وأبو حاتم لم يدرك أبا عمرو . وقد روى أبو حاتم هذا الخبر من وجهين - : أولهما - على ما في أمالي القالي ١/٤٨- عن أبي عبيدة عن يونس ، والآخر - على ما في مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي - عن الأصمعي . وانظر الخزانة ١ / ٦٣ .

(٤) في الأصل : « عروة » وهو تصحيف كثير الوقوع في الكتب . انظر السمط ص ١٩٤ - ١٩٥ وتعليق الأستاذ الميمني عليه . وشبيل هذا كان رواية نسابة عالما بالغريب شاعرا ، تشيّع سبعين سنة ثم صار بعد ذلك خارجيا صفريا . أنظر ترجمته في إنباة الرواة ٢ / ٧٦ ، وتهذيب التهذيب ٤ / ٣١٠ .

فجلس عليها شُبَيْل ، وسأله عن خبره وحاله ، فقال له : أبو عمرو من أين أقبلتَ يا أبا مُحمد ؟ فقال من عند رُؤْبتكم هذا . وكان يونس النحويّ عند أبي عمرو يتعلم منه ، ويغشى رؤْبة في الأوقات . فقال : وماصنعت عنده ؟ قال أفلا أُطرفُك؟ قال : والله لقد سألتُه عن اشتقاق اسمه فلم يعرفْهُ . قال أبو حاتم : قال يونس : فأدركتني الحَفيظةُ لرؤبة لأني كنت غلاماً أتعلمُ عليه . فقلتُ : إنك تَعدُّ(١) أن معدَّ بنَ عدنانَ كان أفصح من رؤبة وأبيه ، أخبرني أنت ما الرُّوبةُ والرُّوبَةُ والرُّوَبَةُ [والرُّوبة] (٢) والرُّؤْبَة أربع لغاتٍ غيرِ مهموزاتٍ وواحدةٌ مهموزةٌ . فغضب شبيل ، وقام . قال أبو عمرو ليونس : بئس مافعلت ، تعمد إلى رجل من إخواننا يأتينا مسلماً مفتقداً فتؤنسه بما يكره ، فقلتُ : أصلحك الله لا تُنكرن هذا فوالله لو قيلَ فيك لنصرتك كما نصرت رُؤْبَةَ ولَوَفَّيتُكَ حقّ التأديب ، وما أنا إلا عبدُ مَنْ علّمني علما ، ونفى عني جَهلاً . فسُر بذلك أبو عمرو منه .

وقد فسرت لك المهموزَ منها وغيرَ المهموزِ وبقيَ على يونس واحدة لم يذْكرها ، وذكرها أبو العَميثَلِ الأعرابيّ(٣) في كتاب ما اتفق لفظُه واختلفَ معناه ، فقال : الرُؤْبة الـكَلّوب يُحرش به الضبُّ وهو غيرُ مهموز .

و « الثأي » الفساد .

* * *

(١) كذا في الأصل ، وهي عبارة قلقة وأظنها مصحفة . وفي أمالي القالي ومراتب النحويين: « لعلك تظن » .

(٢) زيادة من المصدرين السالفين .

(٣) في الأصل : «الأغربي» تصحيف صوابه ما أثبت ، وهو ابو العميثل الأعرابي عبدالله بن خليد مولى جعفر بن سليان ، وكان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر بخراسان .

٣٩ وَقَدْ سَما عَمْرٌو إلى أَوْتارِهِ فَاحْتَطَّ مِنْها كُلَّ عالي المُسْتَمَى

٤٠ فَاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاءَ قَسْراً وَهْيَ مِنْ
عقابِ لَوْحِ الجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى

قوله: «وقد سما عمروٌ إلى أوتارِه» أي؛ ارتفع يقال: سما يسمو، إذا ارتفع و«الاسمُ» مشتقٌ من هذا فقولك «سميت الرجل» معناه رفعتُ ذكرَه و«الأوتار» جمع وِتْرٍ وهو الذَّحل. وفيه لغتان وَتْر ووِتر[1] قال الشاعر[2]:

كرامٌ فلا ذو الوِترِ يُدرِكُ وترَه لديهم، ولا الجَانِي عليهم بمُسْلَمِ[3]

و«احتط» افتعل من «حط يحُط» ويقال: «حططت الشيء وأحططته» إذا أنزلته من أعلى إلى أسفل. و«فلانُ محطوطُ القَدْر»؛ إذا لم يرتفعْ قَدْرُه عند الناسِ و«المُستمى» مفتعل من «سما يسمو» وقوله: «فاستنزل الزَّبَّاء» أي؛ أنزلها وقوله «قسراً» أي؛ «قهراً» وهي من عُقاب لوح الجو أعلى منتمى و«العُقاب» طائرُ معروفٌ من سباع الطيرِ و«اللوح» الهواء بين الهوائين؛ وهو الجوُّ أيضاً. ويروى أعلى منتهى أي؛ أعلى مكان ينتهى إليه. ومَنْ رواه «أعلى منتمى»؛ فهو من «نميت الشيء فانتمى»؛ إذا ارتفع.

قصة عمرو[4] وقصير مع الزَّبَّاء؛ وكان من حديث قصير حين رَجَعَ إلى عمرو

(١) ضبطها في الأصل: «وُتر» بضم الواو - وهو خطأ صوابه ما أثبت.
(٢) هو زهير بن أبي سلمى.
(٣) ديوانه ص: ٢٨
(٤) مجمع الأمثال: ١/ ٢٣٦، الكامل لابن الأثير ١/ ١٩٨ - ٢٠١، أمثال العرب ص: ٤٦

ابن أختِ جذيمةَ . وذلك أن قصيرَ بنَ سعدٍ لما قُتلَ جذيمةُ ، ونجا هو على العصا صار إلى عمرو بن ربيعة ، فقال له : ألا تطلبُ بثأرِ خالِك ؟قال له عمرو :وكيف أقدرُ على الزَّبَّاء ، وهي أمنع من عُقاب الجو ؟ فأرسلها مثلاً ، قال له قصير : تعمد إلى أشداقي فتصطلِمُها ، وتجدعُ أنفي وأذنيَّ ، واضرب ظهري ضرباً مبرحاً حتى تؤثِّرَ فيه، ودعني ألحقُ بها، وأقولُ لقد فعل بي عمروٌ ما ترين من أجل أنه أتهمني في أمرِ خاله ، وأراد أن يَهُمَّ بأمرٍ فصددته عنه . ففعل به ذلك ، فلما سار إليها ، وأخبرها بذلك ، وقال لها : لقد لقيت هذا من أجلك ، قالت : وكيف ؟ قال : إن عمراً زعم أني أشرْتُ على خاله بالخروج إليك حتى فعلتِ به ما فعلتِ ، ثم وَعَدتْهُ من نفسِها بالإحسان ، وظنَّتْ أن الأمرَ كما ذكرَ قال : فأحسنَ خِدْمتها ، وأظهرَ النصيحةَ لها حتى حَسُنَتْ منزلته عندَها ، وزيَّنَ لها التجارةَ . فقالت له : أنظر ما تُحب أنْ أُصرِّفَك فيه ، فقال لها : إني ما أريد شيئاً غيرَ التجارةِ والأسفارِ ، فبعثَتْ معه مالاً وإبلاً إلى العراقِ ، فصار قصير إلى عمرو مستخفياً، فأخذ منه مالاً وزاده على مالها يريد بذلك أن يمكِّن بحاله منها ، فاشترى طُرفاً من طُرَفِ العراق ، ورَجَعَ إليها فأراهاتلكالأرباح ، فسُرت بذلك. ثم كرَّ كَرَّةً أخرى فأضعفَ لها المالَ حتى أُعجبت من فعله ، وزادت به غِبطةً وسروراً ، فلما كان المرةَ الثالثة اعتد لها جوالقَ الجصِ من المسوح ، وجَعل رُبطها من داخل الجوالق في أسافلِها ، وأدخلَ في كل جولق رجلاً بسلاحه ، وأقبل إليها وأخذ غيرَ الطريق النهج ، وكان يسير الليلَ ، ويكمن النهار ، وذلك بموافقة من عمرو ، وقد سار معه . وكانت الزَّباءُ قد صوُّرَ لها عمروٌ قائماً وقاعداً وراكباً . وكانت قداتخذتْ نفقاً أجرت عليه الماء من قصرها إلى قصر أختهـا زبيبة ، وبَعُدَ

عنها خبرُ قصير ؛ فسألت عنه ، فقيل لها : أخذ الغوير . فقالت : عسى الغوير أبؤساً ، فأرسلتها مثلاً ، ودخل قصير إلى الزباء وقد تقدمَ العِير، فقال لها قفي ، وانظري إلى العِير ، فرقت سطحاً ، فجعلت تنظر إلى العير مقبلة تحمل الرجال . فكانت العير تمشي قليلاً قليلاً ،فنظرتِ الزَّبَّاء إلى الإبل تمشي ذلك المشي ، فأنكرته ، وأنشأت تقول :

مَا لِلجِمَالِ مَشيِهَا وَئِيدَا ... أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا (١)

أَم صَرَفَاناً بَارِداً شَدِيدَا ... أَمِ الرِّجَالُ جُثَّماً قُعُودَا

فأُنتهوْا إلى حصنها ، وقد أظلم عليهم الليل ، وشُغلت هي بشيء ، ولم تَرْتَبْ بقصير . وقد كان قصير وصف لعمرو بابَ النفق ، ووصف له الزَّبَّاء فلما دخلتْ العِير المدينةَ تقدم قصير الإبلَ فوقف على الباب . وعلى باب الزَّبَّاء بوّابون من النَّبط ، وفيهم رجلٌ في يَدِهِ مخصرة ، فطعن جَوْلقاً منها ، فأصابت المخصرة رجلاً ، فضرط ، فقال البواب بالنبطية (٢) : بسقا وهو بالعربية : الشر الشر ، فامتشق قصيرٌ السيفَ ، فضرب به البواب ، فقتله ، وجاء عمروٌ على فرسه ، فدخل الحصن بعقب الإبل، فابتركت الإبلُ وحلّتْ الرجالُ الجوالقَ ومَشَوْا في المدينة بالسلاح ، ووقف عمرو على باب السرب ، وسار قصير ، ومن معه حتى دخلوا قَصْرَ الزَّبَّاء ،

---

(١) مجمع الأمثال ١ / ٢٣٦ وفيه : « فقال قصير في نفسه

بل الرجال قبضاً قعوداً

وفي أمثال العرب ص : ٤٦ أم الرجال في المسود سودا

(٢) في القاموس : « بشتا بشتا » ومعناه : الشر الشر ، وفي مجمع الأمثال ١ / ٢٣٦ : « بشتب ساقا » ومعناه : الشر ، وفي المخطوطة « م » : « بشتا بسفا » وتفسيره : « الشر في الجوالق » . اه

وكانت قد صورت عمراً على كل حال من أحواله تريد بذلك أن تعرفه لتكون كلما نَظَرَتْ صورته أخذت حذرها منه . فلما رأت الزبّاء عمرواً ولت هاربة ، فلحقها فلمّا علمت أنها لا تغلبه مصّتْ خاتماً في يدها مسموماً ، وقالت : بيدي لا بيدك يا عمرو ، وماتت مكانها ويقال إن عمراً جلّلها بالسيف ، واستباح بلادها واستولى على ملكها .

* * *

٤١ وَسَيفٌ استَعْلَتْ بِهِ هِمَّتُهُ حَتَّى رَمَى أَبْعَدَ شَأْوِ المُرْتَمَى

٤٢ فَجَرَّعَ الأُحْبُوشَ سُمّاً نَاقِعاً وَاحْتَلَّ مِنْ غُمْدَانَ مِحرابَ الدُّمَى

« سيف » يعني : سيفَ بنَ ذي يَزَن ، وله قصة وأنا ذاكرُها بعد شرحِ الأبياتِ . والشأو : الطَّلَقُ ، يقال : طلب فلانٌ شأوَ فلانٍ أي ؛ طَلَقه . يقول : استعلت به همته فطلب أبعدَ مطلَب و « المرتمى » مُفتعل من الرَّمْيِ ، وهو موضع للرمي مثلُ الهدف والغَرض وما أشبهه يقال : رميتُ رميةً ، إذا أردت مرة واحدة والرِّماية ؛ المصدرُ . يقال : رمى يرمي رماية ومنه قول الشاعر (١) :

أعلمه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ فلما اشتد ساعدُه رماني

و « الرَّميّة » الدابة والطريدة التي ترمى . قال الشاعر (٢) :

---

(١) نسبه في التاج عن ابن بري لمعن بن أوس يقوله في ابن أخت له . وقال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدي في ابنه وقد رماه بسهم فقتل ، قال ابن بري : ورأيته في شعر عقيل ابن علفة في ابنه عميس حين رماه بسهم . والبيت في رسالة الغفران ، ص ١٨٩ ، والأساس : (سدد) .

(٢) هو امرؤ القيس .

فهو لا تنمي رميته ... ماله لا عُد من نفره [1]

وقوله « جرّع » أي ؛ سقى . يقال : جرّعتُ الرجلَ ؛ إذا سقيته على مَهل طوعاً كان أو كُرْهاً « والأحبوش » مَلِكُ الحَبَشةِ الذي غَلَبَ على اليمنِ ومن معه ، ويقال للجماعة :أُحبوشا .ويُقال تحبَّشُوا ؛ إذا اجتمعوا . « والسم الناقع » المُروِي للفؤادِ . وأنشد أبو بكر لامرأةٍ مِن العرب ظفِرت بقَتَلةِ ابنِها ، فجعلت تذبح الرجلَ وتلغُ في دمه ، فلما فَرغت من ذبحهم قالت : [2]

وماورِدُ ظمأى حُلِّئَتْ عن مشاربٍ ... عذاب ؛ وقد شف اللهيبُ فؤادَها

بأنقعَ مني إذْ شربْتُ دماءهم ، ... فزايلت النفسُ اللهيتُ جُؤادَها

« الجُؤاد » : العطش « بأنقع مني » أي : بأدوى مني .

و « احتل » من حل يحِل و « غُمدان » موضعٌ بصنعاء فيه بُنيانٌ عظيمٌ هَدَمَهُ عثمانُ بن عفان رضي الله عنه ، قال أبو بكر : وصنعاء من البلدان التي لا يُدرى مَنْ بناها ، واصطخرُ بفارس ، وتَدْمُرُ بالشام والأبلَقُ بالعراق و « المحراب » ههنا غرفةٌ بصنعاء فيها صورٌ قديمةٌ حسنةٌ ، وأنشد :

ربةُ محرابٍ إذا جئتها ... لم أدنُ حتى أرتقي سلَّما [3]

ومنه « حَرَبْتُ الرجلَ » أي ؛ أنزلْتُ به أمراً عظيماً ، وقيل : المحرابُ ؛

---

(١) سلف البيت وتخريجه وشرحه ، ص : ٢٥

(٢) لم نجد الخبر والبيتين في مكان آخر . وقوله : « حلئت » أي :منعت من ورود الماء . وزايلت : فارقت .

(٣) لم نعرف قائله ولا وقفنا على البيت في مكان آخر

أرفعُ المجالس ،ومنه سُمي محرابُ المسجدِ لأنه أرفعُ موضع فيه و« الدُّمى » جمع دُمْيَة ؛ وهي الصُوَر بها تُشَبَّه الجواري ، فيقال : كأنهن الدمى .

قصة سيف بن ذي يَزن[1] : إعلم أن الحبشة لما غلبوا على اليمن ، وطالَ ملكُهم ، خرج سيفٌ — وهو من أهل بيت المملكة — إلى الروم يستنصر قيصر فشاور وزراءه ، فقالوا له : أيُها الملكُ : إن الحبشة في دينك ، ودين هذا العربيٍّ مخالفٌ لدينك ، فماطله ، فكَرِه أن يخفرَه[2] بعدما وعده ، فلما طال ذلك عليه رجع إلى الحيرة بعد سبع سنين من مقامه بأرض الروم . فصار إلى بعضِ ملوكِ فارس — أحسبه هرمز بن قباز — فاستنصره فلما دخل بلده أكرمه ، وبالغ في كرامته ، ورفع مجلسه ، وعَرَف أنه من بيتِ مملكةٍ فقال له ترجمانُه : ماتبتغي من الملك ؟فقد أمرني أن أسألك عما قصدت إليه . فقال : غلبتناالأغربةُ على بلادنا فقال له الترجمان : يقول لك الملكُ : أي الأغربة الهندُ أم الحبشة ؟ فقال : بل الحبشة ،وجئت إلى الملك لينصرَني عليهم فنكونَ في دينه — أيفي طاعته — فإنه أحبُ إليَّ أن يملكَني وقوميَ من أن تملكني الأغربةُ فقال له الترجمان : الملك يقول لك هيهاتَ هيهاتَ بعدَتْ عنا أرضك . وهي مع ذلك أرضٌ قليلةُ الخير ، وإنما بها الشاء والبعير ، وهذا لاحاجةَ لنا فيه . وأمر له الملكُ بعشرةِ آلاف درهمٍ فقبضها فلما خرج من عنده أنهبَهَا على بابِ الملكِ العبيدَ والإماء فاتصل ذلك بالملك ، فوجدَ عليه وأمر بَرَدِّهِ فقال له الترجمانُ : الملكُ قد وجدَ عليك فقال : ولم ؟ فقال له : عَمدتَ إلى حباء الملكِ وكرامته فأنهبته على العبيد والإماء .

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ١ / ٣٠٧

(٢) في الأصل « تخفره » — تصحيف .

فقال وما أصنعُ بالمال ؟ وهل جبال أرضي إلا ذهبٌ وفضةٌ — وكان إرادَته في ذلك أن يُرَغِّبَ الملكَ فيها — فلما سمع منه وزير هرمزَ ما قال ، ألقاهُ الوزيرُ إلى هرمزَ ، فأمره بالمقام ، ووعده بكل ما يحبه ، وأن يوجّه معه جيشاً . ثم شاور وزراءه في ذلك وفي إنفاذ عسكره معه . فقالوا : أيُّها الملكُ ، ما الرأي عندنا أن وجّهت[1] جنداً من جنود فارس في مفاوز العرب حيث لا ماء ولا كلأ . وإنما يُشرب فيها الماء في مثلِ عيونِ الديكَةَ وإن عُوِّرتْ[2] عليهم ماتوا عطشاً . فقال: ما كنتُ لأُخفِرَهُ وقد وَعدْتهُ ، ولا بدّ من أن أبلغه أملَهُ وقصْده . فقالوا : إذا كان الأمرُ هكذا فإنَّ ههنا رأياً . فقال . وماهو ؟ قالوا : تبعث إلى سجونِك فإنَّ فيها قوماً قد استحقوا القتلَ ، وإنما حَبَسْتَهم منةً منك عليهم بأرواحهم واستبقائهم ، فتخرِجهم وترئس عليهم رئيساً من غيرِهم ذا رأي وحزم وبَصَرٍ بالحروب ، فإن ظفِروا فإنه مُلْكٌ زِدْتَه على مُلْكِك ، وإن أصيبوا فهو الذي أردَته بهم . فبعثَ إلى السجون ، فجمع مَنْ فيها يستحق القتل . فكانوا عشرة آلاف رجل . فرأّس عليهم وَهْرَزاً ، — وكان من الأساورةِ المتقدمين عادة في الحروب ، وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة ، وسقطت حاجباه على عينيه كِبَراً وهرماً — فحملهم في البحر في عشرِ سفائنَ فلما انتهوا إلى سِيف البُوزَنْجان ، وهو سِيف عدن ، قال بعضهم لبعض: علام نُغَرِّر بانفسنا معهذا ؟ فحملوا سفائنهم على الجسور وهي حجارة ثابتة في البحر فانكسرت من السفن ثلاثٌ وصفت سبعٌ إلى ساحلِ عدنَ ، فتسامعتْ بهم العرب ، فاجتمعت إليه ، واجتمعت الحبشة إلى

(١) كذا في الأصل ، ولعله سهو من الناسخ صوابه : « أن توجّه » بصيغة المستقبل .
(٢) عوّر البئر : طمها وسدّ أعينها التي ينبع منها الماء .

ملكهم مسروق بن أبرهة ، فزحف بهم إليهم . فتأهب سيف للقتال ، وقال لوهرز الأساوري : ما الرأيُ عندك ؟ فقال : الرأي عندي أن نقاتل حتى نظفر أو نهلك صبراً ، فإن السفن قد انكسرت ، وكنا بحيث لا نتوقع من الملك مدداً ، فعمد إلى عصابة حمراء ، فشد بها حواجبه ، وتمكن قوسه ، وكان لا يوترها غيره ، وعبأ أصحابه ، وقال لسيف : كن أنت وقومُك حجزةً ، ودعنا والقومَ .(قال) : ثم إن سيفاً خالطهم ، فاقتتلوا ملياً فسألهم وهرز — وكان ضعيف البصر — على أي الدوابِّ يقاتل ملكهم ؟ فقالوا له : على الفيل . فقاتلهم ساعةً . ثم سأل عنه ، فقالوا له : قد تحوَّلَ إلى الفرس . فقاتلهم ساعة ، ثم سأل عنه ، فقالوا : قد تحول إلى البغل : فقال : ابن الحمار ، والحمارُ ذليل ، ذلَّ الأسودُ وذلَّ ملكه ورب الكعبة أسمتوا لي سمته ، فلما استقر بصره عليه ، وقد ربط حاجبيه بحريرة ، أخذ قوسه ، فنزعَ عليها — وعلى مسروق تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء — فرماه ففلقَ الياقوتة وتغلغلَ السهمُ في رأسه ، وخرَّ على وجهه ، وانهزمَت الحبشةُ ، وكان كسرى عهدَ إلى وَهرز فقال : إذا صِرتَ باليمن ، وظفرت بالقوم ، فاجمع أهلها واسألهم عن سيف ، فإن كان من ملوكها كما زعم فتوِّجْهُ بهذا التاج — وقد كان أعطاه تاجاً وقفازين — وملِّكهُ على قومه ، وإن كان كاذباً فاقتله ، واكتب إليَّ لأكتب إليك برأيي . فلما تمكن من البلاد جمع أبناء الملوك فقال : كيف كان سيف فيكم ؟ فقالوا : ملكنا وابن ملكنا أدرك بثأرنا فتوَّجهُ وملَّكهُ . وكتب إلى كسرى بذلك ، فأقره باليمن . فهم الذين يعرفون بالأبناء بصنعاء إلى اليوم . وهذا ما كان من حديث سيف بن ذي يزن .

* * *

٤٣ ثُمَّ ابنُ هِنْدٍ بَاشَرَتْ نِيرانُهُ يَوْمَ أُوَارَاتَ [١] تَمِيماً بالصَّلَى

قوله « باشرتْ » أي ؛ لم يكن بينها وبين البَشَرة ، حائل ، والبَشَرة ، ظاهر الجلد . والأَدَمَة ؛ باطنه . ومنه قيل : فلان مُبْشَر مؤدَمٌ إذا قلّبه الدهرُ ظهراً لبطن ، وبَشَرْتُ فلاناً ؛ إذا أتيته بأمرٍ تحسن له بشرةُ وجهه . وباشر الرجلُ المرأة ، إذا لم يكن بين بشرتَيْهما حائل : وتكون كناية عن النكاح ، فهو من هذا « والنيران » جمع نار و « يوم أُوارات[١] » يومٌ معروفٌ من أيام العرب[٢] و « الصَّلَى » :وهج النار ، وهو مقصور إذا فتَحْتَ صادَه ، فإن كسرْتَها مدَدْتَهُ فقلت الصِلاء .

قصة عمرو بن هند التميمي في بني تميم[٣] زعم أبو قابوس : أن النعمان بن المُنذر ملكَ الحيرة في زمان كسرى ، وكان عمرو بنُ هند شديدَ البأس ، وكان عمَّ النُّعمان ، وكانَ له أخٌ مسترضعٌ في بني تميم ، فخرج يوماً يتصيدُ ، فمرَّ بإبل لرجل من بني تميم ، فرأى ناقة حسنة فرماها فعقرها . فجاء صاحبها فلما رآها معقورةً وثب عليه ، فقتله ، فنذرَ عمرو بنُ هند أن يَقْتُلَ من بني تميم مائة بدل ذلك الرجل ، فغزاهم يوم أوارات ، فسبى ما أصاب في بلادهم ، وأقبل يقتلهُم على الثنية ، وآلى ليقتلنَّهم حتى يبلغَ الدمُ إلى الأرضِ وليحرقنَّهم . فقيل له : أيها الملك لترفعن السيفَ أو فقد أفنيْتَهُمْ ، فقال والله لا تركْتُهم أو تأتوني بمائة رجلٍ من خيارِهم ، فطلبوا فلم

(١) كذا في الأصل ، والصواب على مانظن :أوارة . وهكذا روى ياقوت بيت المقصورة في « معجم البلدان » المجلد الأول ، ص ٢٧٤ ، طبعة بيروت .

(٢) هما يومان بهذا الاسم : يوم أوارة الأول ، للمنذر بن ماء السماء على بكر ، ويوم أوارة الثاني لعمرو بن هند على بني تميم . واوارة : جبل أوماء لبني تميم أنظر معجم البلدان (أوارة) ، وأمثال الميداني ٢٦٦/١ والكامل .

(٣) كذا في الأصل ؛ وهو مضطرب لايصح ولعل الصواب قصة عمرو بن هند مع بني تميم ،

يوجدْ منهم إلا تسعةٌ وتسعون رجلاً ، فلما جيءَ بهم أمر فاحْتُفِرتْ لهم حُفَيرةٌ . ثم قال : أضرموا ليَ ناراً ، وألقوا فيها الحطبَ . وأججتْ نارٌ عظيمةٌ . قال : فألقُوا فيها رجلاً رجلاً . وبقي واحدٌ من نذرِه ، فبينا هو كذلك إذا هم برجلٍ راكبٍ قد طَلَعَ عليهم ، وكان من البراجم ، فابصرَ الدُخانَ ، ووجدَ قتارَ لحومهم على بُعْد ، فظن أنه طعامٌ يُصنع للناس ، فأقبل إلى النارِ . فلما بلغ ورأى ما رأى جزع . فقال : عمرو انظروا من الرجُل ؟ فأُخِذَ ، فأُتيَ به إلى عمرو ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقال رجلٌ من البراجم فقال عمرو : « ان الشقيَّ وافدُ البراجم » فقال : ألقُوه في النار ليتم نذري ، فالقمي فيها . فتَّم نذرُه . والبراجم من بني تميم .

* * *

٤٤ مَا اعْتَنَّ لي يَأْسٌ يُنَاجِي هِمَّتي ... إلاَّ تَحَدَّاهُ رَجاءٌ فَاكْتَمَى

٤٥ أليَّةً بِالْيَعْمَلاتِ يَرْتَمِي ... بِهَا النَّجَاءُ بَيْنَ أجْوازِ الفَلاَ

قوله : « اعْتَنَّ » افتعل من عنَّ لي كذا وكذا ، إذا عرَض لي ، و « أعنانُ السماءِ » ما عَرَضَ لك منها . و « أعنانُ السماءِ » نواحيها . ومن هذا قولهم « اشترَكا شرِكَةَ عِنان » أي ؛ في الشيءِ بعينه ، كأنه عنَّ لهما أي ؛ عَرَضَ فاشتركا فيه . وقيل هو مأخوذ من عِنانِ الدابة ، وذلك أن راكبها يردُّها به إلى ما يريد ، وكذلك كل واحد من الشريكين . . . إلى ما يحب قال الشاعر[1] :

وشارَكْنا قريشاً في ذُراها ... وفي أنسابِها شِرْكَ العِنانِ[2]

(١) هو النابغة الجعدي

(٢) اللسان (عنن) وبعده

بما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نِساء بني أبان

و « اليأس » انقطاع الطمع من الشيء . وقد يكون اليأْسُ في غيرِ هـذا بمعنى عَلمتُ . ومنه قولُه جل اسمه : (أفلم ييأس الذين آمنوا [١]) أي ؛ أفلمْ يعلموا قال لَبيد بنُ ربيعة :

حتى إذا يئس الرُّماةُ وأرسَلُوا غُضُفاً دواجِنَ قافِلاً أعصامُها [٢]

و « تحداه » تفعله منْ حدا يحدو ؛ وهو سوقُ الإبلِ وأنشدَ بعضُ أهل اللغة [٣] :

أعطوْا هُنَيدةَ يحدوها ثمانية ما في عطائهم مَنٌّ ولا سَرف [٤]

وقوله : « فا كتمى » أي ؛ استتر . والـكميّ ؛ الشجاعُ ، سمي كمياً لاستتارِه بسلاحِه ، وقيل : بل سُمي كميّا لأنه يَـكمي شجاعَته ، أي يسترُها فلا يُظهِرُهـا إلا عند الحاجة إليها. يقول : ماعرض لي يأس إلا ساقه رجاء فا كتمى ، أي استتر . وقولُه : « أليَّة » باليعملاتِ ، أي ؛ قسماً باليعملات ، وانتصابهـا على المصدر . فـكأنه قال: أولي أليَّة . و « اليَعْمَلات » جمع يَعْمَـلَة ؛ وهي الناقةُ التي يعملُ عليها . وقوله : « يَرتَمِي بهـا النجاء » وهو السرعة ، و « الأجواز » جمع جَوْز وهو الوسط و « الفَلا » جمع فَلاة وكتابتها بالألف ، لأنك تقول في الجمع : فلوات .

* * *

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣١

(٢) المعلقات ص : ١١٤ ومختار الشعر الجاهلي ٢ / ٣٩٢

(٣) البيت لجرير من قصيدة يمدح يزيد بن عبد الملك ويهجو الفرزدق

(٤) ديوانه ص : ٣٨٩ ، وكان في الأصل : ولا شرف والصواب ما أثبتناه

٤٦ خُوص كَأَشْباحِ الْحَنَايَا ضُمَّرْ
يَرْعُفْنَ بِالْأَمْشاجِ مِنْ جَذْبِ الْبُرا

٤٧ يرسُبْن في بحر الدجى ؛ وَبالضحى
يَطفُوْن في الآلِ إذا الآلُ طفا

« الخُوصُ » الإبل الغائرة العيون من الهزال ، والخَوَصُ : ضِيقُ العينين ، والفعل منه خوص يَخْوَص خَوَصاً و « الأشباح » جمع شبح ؛ وهو الشخص و « الحَنايا » جمع حَنِيَّة ، كَمطيَّة ومطايا و « الحَنيَّة » القوس ، شبَّه الناقةَ بها . و « ضُمَّر » جمع ضامر ، والضامر : المهزول ،وهو اللاصق البطن « يَرْعُفن » من الرُعاف ، وأصله تقدم الدمِ . ومنه قيل: فلان يَرْعُف الخَيل؛ إذا تقدمها . ومنه راعوفَة البئر ،وهي صخرة تكون في أسفل البئر ، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها .

وفي خبرٍ آخر يُروى عن مجاهد أن بنات لَبيد بنِ أعصم سَحرْنَ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] ، فجعلن سِحرَه في جُفّ طلعة تحت راعونة بئر ذروان . فكان السِحرُ وتراً فيه إحدى عشرة عقدةَ . فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بين النائم واليقظان أتاه ملكان ، فجلس أحدُهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذي عند رأسه للذي عند رجليه : ما بالرجل ؟ فقال : به طَبّ أي ؛ سحر فقال الذي عند رأسه : ومن طَبَّه ؟ فقال : الذي عند رجليه : طَبَّهُ بناتُ لبيد بن أعصم . فقالَ الذي عند رأسه : وأين طبُّهُ ؟ فقال الذي عند

(١) هذا الحديث إن صح إسناده إلى مجاهد ، فهو مرسل لاتقوم به حجة ، لا سيا وهو خلاف الثابت في « صحيح البخاري » عن عائشة أن الذي سحره (ص) هو لبيد .

رجليه : طَبُّهُ في جُفِّ طلعة تحتَ راعوفةِ بئر ذروان ، فاستيقظَ رسولُ الله ﷺ وقد وعى إلى الملكين ما قالا ، فبعث علياً عليه السلام وعماراً رضي الله عنه ووصف لهما ما يصنعان ، فمضيا إلى البئر فوجدا السحرَ كما قال ، فجعلا كلما حلاً عقدةً تلوا آيةً من (قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق[1]) و (قل أعوذ برب الناس)[2] وهما إحدى عشرة آية على عدد العقد ، يتلوان آية تنحل عقدة ، حتى انحلت العقد كلها بالآي، فوجد رسول الله ﷺ خفة بانحلالها وثار كأنه بعير نشط من عقال ، فأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يتعوَّذَ بهما .

و « الأمشاج » ههنا : ما يسيلُ من آنافها من المخاط المتغيرِ اللون بحمرة أو صفرة ومنه قوله عز اسمه : (امشاج نبتليه[3]) يريد اختلاطَ ماء الرجلِ بماء المرأةِ) والبُرى جمع بُرَةٍ وهي حلقة تكون في أنْفِ البعير من صُفر أو حديد. فإن كانت من شعر ؛ فهي خِزامة ، وإن كانت من عُود ؛ فهي خِشاش . يُقال من ذلك كلهِ : خَزَمْتُ البعير ؛ وخَشَشْتُهُ . فهو مَخزومٌ ومخشوشٌ . ويقال من البُرَة خاصة : أبريته بالألف، فهو بعير مُبْرىً ، وناقة مُبْراة . وقوله : « يَرْسُبْنَ في بحر الدجى » من الاستعارة * وأصلُ « الرُسُوبِ » الثُبوت في الشيء . يقال : سيفٌ رَسوب ؛ وهو الذي إذا ضربت به قطعَ ما تريد ، ورَسَبَ في الأرضِ ، و « الضحى » ارتفاعُ النهار ، وهو مضموم الأولِ مقصورٌ ، وأرفع منه الضَّحاء مفتوح الأول ممدود . قال الشاعر[4] :

---

(١) سورة الفلق : ١ ، ٢

(٢) سورة الناس : ١

(٣) سورة الإنسان : ٢

(٤) هو ذو الرمة

تَرى الثورَ يمشي راجعاً من ضحائِهِ ... به مِثل مَشْي الهِبرزي المُسَرْوَلِ[1]

وهو مأخوذ من ضَحِي يَضْحىٰ، إذا برز وانكشف، كأنه وقت بروزِ النهار وانكشافه. وسمي « البحر » بحراً لسعته، ومنه البُحرانُ في المرض؛ وهو اتساعُ العِلة و « البحر » في غير هذا الموضع القطع، ومنه « بَحَرَ فلانَ الجلد »؛ إذا قطعه و « بَحَرَ أُذنَ الناقةِ » إذا شقها و « يطفُون » أي؛ يعلُون و « الطافي » فوقَ الماء، المرتفعْ عليه و « الآلَ » ما يراه الإنسانُ في الهاجرة أول النهار وآخره، وهو الذي يَرفع كلَ شيء وسُمي آلاً، لأن الآلَ هو الشخصُ. يقال: رأيتُ شخصَ فلانٍ وآلَه. والعامّة تَغلَطُ فيه وتجعل الآلَ ما يراه الإنسانُ في الهاجرة كأنَّه ماء، وليس كذلك. وإنما الآلُ ما ذكرنا. وأما الذي يُرى في انتصافِ النهار. فهو السرابُ، وإنما أرادَ أن هذه تغيبُ في سوادِ الليل، وتظهرُ في ضوء النهار.

* * *

٤٨ أَخْفَافُهُنَّ مِنْ حفاً وَمِنْ وَجى ... مَرْثُومَةٌ تَخْضِبُ مُبْيَضَّ الحَصَا

٤٩ يَحْمِلْنَ كُلَّ شَاحِبٍ مُحْقَوْقِفٍ ... مِنْ طُولِ تدآبِ الغُدُوِّ وَالسُّرى

« الأخفاف » جمع خُف، والخُف للبعير بمنزلة الحافر للدابة مثل الفرس والبغل، والحفى مقصورٌ وهو أن يحفى الرجلُ والدابةُ فلا يَستطيعُ الرجلُ

(١) اللسان « ضحا »
من ضحائه؛ من غدائه أي من المرعى وقت الغداء إذا ارتفع النهار. الهبرزي؛ الماضي في أمره

أن يَمشيَ بغيرِ حِذاء . وكتابتهُ بالألفِ ، وأصلهُ الواو ، لأنهم يقولونَ : الحُفْوَةُ في معنى الحفا وأنشدوا[1] :

كأنَّ الأباطَح مثلُ الإرين وأين من الحَفْوَةِ المنقل[2]

إلا رين واحدها إرَةٌ[3] ؛ وهي الحُفرة توقد فيها النار

والمنقل : الخُف الخَلقُ المرقَّعُ ، يعني أنه يصيب صاحبَ الخُفِ ما يصيب الحافي من الرَّمْضاء . والحَفَاء بالمد ؛ أن يمشي الرجل بغير خف ولا نعل : ومنه قوله :

من خاف من ألم الحفا فليجتنب مشْيَ الحفَاء[4]

و « الوجا » وجعٌ في الرجل . يقال وَجِي البعير وجىً شديداً ، وهو بعير وَجٍ وناقةٌ وجِية مخفف بغير همز . وأما الوِجاء بكسر الواو والمد ؛ فإن أبا زيد وغَيره قالا : يقال : وجى الفحل وجى وذلك إذا رُضّت أنثياه ، واسم الفاعل « واجىء » والمفعول « مَوْجوء » وفي الحديث : (عليكم بالباءة ، فإنه أغضُ للبصر وأحصنُ

(١) للكميت بن زيد
(٢) كذا في الأصل ، ورواه في القاموس « نقل »

وصارت أباطحها كالإرين وسُوِّي بالحفوة المنقل

وفي اللسان (حفا) نسبه إلى الكميت ، وذكر الشطر الثاني

« وشبه بالحفوة المنقل »

(٣) في حاشية الأصل ، « في صحاح اللغة » : الإرة : موضع النار ، وأصله : أري ، والهاء عوض ، والجمع : إرون ، مثل حذون » . اه

(٤) البيت لابن دريد صاحب هذه المقصورة ، من قصيدته في المقصور والممدود ، وقد سلف منها بيت فيا مضى من هذا الكتاب . أنظر ديوانه ، ص : ٣٠

للفرج ، فمن لم يستطع فليصم ، فان الصوم له وجاء [1]) يعني أنه يقطعُ النكاح ، لأن الموجوء لا يضرب .

و « مرثومة » مُشَقَّقَةٌ . يقال : أَرْثَمَ البعير ؛ إذا انشقَّ خُفُّهُ حتى يدمى

و « وتَخْضِبُ مُبْيَضَّ الحصا » يقولُ : أخفافُهن تَخْضِبُ الحصَا بدمائهـا .

و « الحصا » جمع حصاة كقطا وقطاة : وهذا من الجمع الذي ليس بينه وبين الواحد منه فَرْقٌ غير الهاء ، تكونُ الهاءُ في الواحدِ ، وتسقط من الجمع ، كقولك: تمرٌ وتمْرَةٌ وسِدْرٌ وسِدْرَةٌ . وقوله : « يَحْمِلنَ » يعني الإبلَ كلَّ شاحب . والشاحبُ : المتغير اللون . يقال : شَحَبَ لونه يَشْحَبُ شُحُوباً . و « المُحقَوْقِفِ » المعْوَجُّ المُنحَني . يقال : شيخٌ مُحْقَوْقِفٌ ؛ إذا انحنى ، وهلالٌ محقوقف ؛ إذا تعقّفَتْ طرفاه ، وأنشدوا في ذلك : [2] .

ناجٍ طواه الأينُ ممَّا وَجفـا　　طي الليـالي زُلفًا فزُلفًا [3]

سماوةَ الهلالِ حتى احقَوْقفا

وفي الحديث أن النبي ﷺ (مر بظبي حاقفٍ [4]) مأخوذ من الحِقْفِ ، وهو المنحني من الرمل ، وجمعُه أحقاف . قال الله تعالى: (إذا أنذر قومه بالأحقاف [5])

---

(١) المعروف بلفظ : (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . . .) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود .

(٢) الأبيات للعجاج

(٣) ديوانه ، ص : ٨٤ ، اللسان : (حقف) ، أراجيز العرب ص : ٥١ – ٥٢ ، اللسان : (حقف ، زلف ، سمو) وناجٍ : يريد جملا ينجو بصاحبه . والأين : التعب . وجف : سار الوجيف ، وهو ضرب من السير . زلفا فزلفا : درجة فدرجة . سماوة الهلال : شخصه إذا ارتفع عن الأفق شيئا . يريد : طواه السير كما تطوي الليالي الأهلة حتى تنحل وتعوج .

(٤) لم نعرف هذا الحديث ولم نجده فيما بين أيدينا من المصادر .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية : ٢١ .

وقوله : من طول تَدْآب الغدوِ والسُّرى . والتدآب : التفعال ، من الدأب وهو الدوام على الشيء . يقول : احقَوْقَفَ من طول مُلازمته الارتحالَ . و « السُّرى » سيرُ الليل خاصة .

* * *

٥٠ برٌ برَى طُولُ الطَّوى جُثْمانَهُ　　فَهْو كَقِدْحِ النبع مَحْنِيُّ القرَا

٥١ يَنْوِي الّتي فَضَّلَها رَبُّ العُلى　　لَمَّا دَحا تُرْبَتَهَا عَلَى البُنى [1]

قوله : « بَرٌ » يعني مُطيعاً ، وهو نعت للشاحب ، فلذلك خُفِضَ و « بَرَى » فعل ماض ، من براه يبريه ؛ إذا أهزَلَه وأذهبَ لحمَه ، ومنه بريْتُ القلم اذا رفعته ، وهو غير مهموز . وأما من المرض فمهموزٌ . يقال : برِئْت من المرض و بَرأت أيضاً ، وأبرأت فلاناً من الدَّين . وأبريْتُ الناقةَ غير مهموز ؛ إذا جعلْتَ لها بُرَةً ، وهي حلقة تكون في أنفها من الحديد . وقوله : « طُولُ الطَّوى » وهو خلاء الجوفِ من الطعام . وقال عنترة :

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلُّهُ　　كيما أنالَ به كريمَ المأكل [2]

---

(١) استشهد به المغني ٢/ ١٢٣ على تعلق «على البنى» بأبعد الفعلين وهو « فضل » لا بأقربهما وهو « دحا » بمعنى بسط لفساد المعنى . اه .

(٢) شرح المفصل ٧/١٠٦ . واستشهد به على ظل ، مختصر التهذيب : ٨٣٥ ، الأغاني ٧/١٤٤ قال : أنشد النبي صلى الله عليه وسلم . قول عنترة

ولقد أبيت . . . البيت

فقال صلى الله عليه وسلم : ما وصف لي أعرابي قط ، فأحببت أن أراه إلا عنترة ، والبيت من قصيدة مطلعها :

طال الثواء على رسوم المنزل　　بين اللكيك وبين ذات الحومل

أي أُمسي وأُصبحُ خاليَ الجوفِ من الطعام ، كيما أنال به الشرف .

و « جثمانه » جسمه وقوله : « فهو كقِدح النبع » . القِدح ؛ العود الذي يُعمل منه السهم و « النبع » : شجر تعمل منه القِسي . وقوله : « مُحْنيُّ القرا » أي ؛ هو لين من طول السفر كهذا العُود محنيّ الظهر ، وهو مقصور يكتب بالألف ، لأنه يقال : ناقةٌ قرواء ؛ وقوله : « ينوي » أي ؛ يقصدُ و « النِيَّةُ » القصد والإرادة . والتي فضّلها ربُ العُلى هي بيتُ الله الحرام « لما دحا تربتها » أي ؛ لما بسط تُربتها و « التُربة » التُراب : أي ؛ ينوي التي فضلها ربُ العُلى على البنى لما دحا تُربَتها والعُلى من العلو مضموم الأول مقصور ، ويُفتح أوله فيمد ، فيقال العلاء : وأنشد بعض أهل اللغة (1) :

وباع بنيـــه بعضهم بخُشارةٍ وبِعتَ لذُبيان العَلاء بمالِـكا (2)

و « البنى » جمع « بنية » مقصور ، والبِناء بالـكسر والمدّ البُنيان . وزعم قوم أن البنى مثل العُلى إذا ضَممْتَ قَصَرت ، وإذا فَتَحْتَ مَدَدتَ ، والأول اعرف .

* * *

(1) البيت للحطيئة

(2) اللسان « خشر » الديوان ص : ٧٨

قال ابن بري : صوابه « بمالك » بكسر الكاف ، ومالك ابن عيينه بن حصن الفزاري قتله بنو عامر ، فنزام عيينة ، فأدرك بثأره وغنم ؛ فقال الحطيئة

فدى لابن حصن ما أريح فإنه ثمـال اليتامى ، عصمة للمهالك
كالعـكاظ من بعيدٍ وأهلها بألفين حتى دستهم بالسنابـك

وباع بنيه ... البيت

الثمال : الغياث

٥٢ حَتّى إذا قابَلَهَا اسْتَعْبَرَ لا يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَينِ مِنْ حَيْثُ جَرَى

٥٣ فَأوْجَبَ الْحَجَّ وَثَنّى عُمْرَةً مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا

« حتى إذا قابَلها استعبر » اي ؛ ملأعينيه من الدمع حتى أخذ جوانبها ، مأخوذ من « العِبْر » وهو شاطىء النهر ؛ سُمِيَّ بذلك لأنه يُعبَرُ إليه من الجانبِ الآخر ، فكأن الدمع يَعْبُرُ من جوانبِ العين إلى ما سواها ، ويجوز أن يكون مأخوذاً من قولهم : « بعير معبر » اذا كَثُر وَبَرُه وشعرُه حتى تجاوزَ المقدار ، وقيل : عبره . و « استعْبَرَ فلان » إذا أكثر من الدمع حتى يجاوزَ المقدارَ . و « قابَلَها » يعني الكعبةَ ؛ أي لما نظر إليها لم يملكْ دمعَ عينهِ خشيةً منها وهيبةً لها ،وكلُ ذلك تغليظ في القَسم بهذا الموصوف . قوله : « فأوجبَ الحجَ » أي ؛ ألزَمهُ نَفْسَهُ . و « الحج » في اللغة على ثلاثة أوجه .يقال : « حَجَجْتُ فلاناً » أي عُدتُ إليه مرة بعد مرة ، فقيل : « حجُّ البيت » لأن الناس يعودون إليه في كل سنة قال الشاعر[1] :

وأشهدَ مِن عَوْف حلولاً كثيرةً يَحجُّونَ بيتَ الزِّبرقانِ المُزعفرا[2]

أي « يكثرون » الاختلافَ إليه لسؤدده . وقيل : هو من « حَجَجْتُ فلاناً » أي ؛ قصدتُه . فقيل : حِجُّ البيت » لقصد الناس إياه. وقيل : « الحج »

---

(١) هو المخبل السعدي .

(٢) المقاييس ٢ / ٢٩ : مختصر التهذيب ، ص : ٣٤٢ ، اللسان : (حجج ، سبب) الجمهرة ١ / ٣١ ، الخزانة ٣ / ٣٢٨ . ويرى ابن بري أن صواب إنشاده (وأشهدَ) بالنصب – كما ضبطناه – لأن قبله

ألم تعلمي يا أم عمرة أنني تخاطأني ريب الزمان لأكبرا

الزيارة، سُمي الحج لزيارتهم اياه، وقوله: « وثنى عُمرةً » أي ألزمَ نفسه مع الحج عُمرةً و« العُمرةُ في كلام العرب » الزيارةُ و« المُعتمِرُ » الزائر. وقولهُ: « من بعد ما عَجَّ » فـ« العجيج » اختلاط الأصوات ورفعُها، أي؛ من بعدِ اختلاطِ أصواتِهم بالدُعاء ورفعِها به، و« لبَّى » من « التلبيه » و« التلبيةُ » قولهم: لبّيكَ: اللّهمَّ لبيك، وما يتبع ذلك من الألفاظ، وأصله عند الخليل وسيبويه من « ألبَبْتُ بالمكان » إذا أقمت به. و« ألببْتُ » و« لبَبْتُ[1] » لغتان. قالا: ثم قلبوا الباء الثانيةَ إلى الياء استثقالاً كما قالوا: « تظنيت » من « الظن »؛ وإنما أصلُها « تظننتُ » وكما قال العجاجُ:

تَقَضِّي البازي إذا البازي كسر[2]

وإنما أصلُها تقضض[3] فقالوا على هذا المعنى « لبيت » وإنما أصلها « لبَبْت[4] » أو « ألبَبْتُ » فكأن قولهُ: « لبيكَ » أي؛ أنا عبدك مقيم على عبوديتك، قد أجبتك على هذا، وما أشبهه من المعنى. ثم ثنّوهُ للتوكيد، فقالوا: « لبيك اللهم لبيك » أي؛ أقمتُ عبدكَ إقامةً بعد إقامة واجابةً بعد إجابة. هكذا يُحكى هذا التفسير عن الخليل، ولم يبلغْنا عن أحدٍ أنه فسَّره غيره إلا مَن اتّبعَه، فحكاه عنه، وزعم الخليل أيضاً أنه مأخوذٌ من قولهم: « أمٌّ لبَّة » أي؛ عاطفة، فيكون معناه على هذا إقبال إليك ومحبة لك.

* * *

(١) في الأصل: « ولبيت ولبيت » - تصحيف، والصواب من اللسان: (لبى)

(٢) ديوانه، ص ١٧، الكامل، ص: ٢٩٦، وروايته: (نجلّىَ) ولا شاهد فيها. الخصائص ٢ / ٩٠، اللسان: (كسر، قضض، قضى).
تقضض البازي وتقضى: أسرع في طيرانه منكدرا على الصيد. وكسر: أي كسر جناحيه لشدة طيرانه.

(٣) في الأصل: « تقضضت » وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق.

(٤) في الأصل: « ألبيت » - وانظر ما سلف آنفا في التعليق: ١

٥٤ ثُمَّتَ طَافَ وَانْثَنَى مُسْتَلِماً   ثُمَّتَ جاءَ الْمَرْوَتَيْنْ فَسعَى

٥٥ ثُمَّتَ رَاحَ في الْمُلبِّينَ إلى   حَيثُ تَحَجَّى الْمأزِمَانِ وَمِنَى

العرب تقول: ثم وثُمَّتَ، فيزيدُون هذه التاءَ كما يَزيدُونها بمعنى التأنيثِ في قولِهم: «قامتْ» وكذا يقولون: «رب» و«رُبَّت» وقولُه: «طاف» يعني بالبيتِ من جميعِ جوانبه. ومنه «طـاف فلانٌ على فلان» إذا مرَّ عليه و«طوَّفَ فلان» أي؛ أكثرَ الطوافَ في البلاد. قال الشاعر: (١)

وقد طوَّفْتُ في الآفاق حتى   رَضِيت من الغنيمة بالإياب (٢)

وقوله «انثنى مستلماً» أي؛ ماسّاً للحجَرِ بيده، مأخوذٌ من «السَّلِمَةِ» وهو الحجَر و«استلم» افتعل منها، وجمـع «السَّلِمة: سِلام» قال لبيـد بن ربيعة (٣).

فمَدَافِـعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُها   خَلَقاً كَما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها (٤)

وقيل: «استلم» مشتقٌ من «المُسالمة» وزنه «افتعل» أي؛ أخذ الحجر فضَمَّهُ إليه، وفعل به ما يفعلُ الرجلُ بمن يُسالمُه. وقيل: «استلم» افتعل من «اللأمَـة». و«اللأمة»: الدرع، يُراد أنـه حصَّن نفسه بمسِ الحجَرِ من عذاب الله، لأنَّ الدرع إنما تُلْبَس ليمتنع بها، فيكون الأصل «استلأم» (٥) ثم

---

(١) هو امرؤ القيس

(٢) ديوانه، ص: ٩٩

(٣) في الأصل: «لبيد بن أبي ربيعة» أقحم الناسخ لفظ «أبي» خطأ.

(٤) المعلقات، ص ٩٦.

(٥) في الأصل: «استلا» أسقط الناسخ الميم سهوا.

ذهبت الهمزة فصارَ استلم ، لأن الهمزة إذا كان قبلها ساكنٌ فأردْتَ تخفيفها رَدَدْتَ حركتها على الساكن ، وأذهبتها ، وكانت اللامُ في « استلأم » ساكنةً ، فردت حركة الهمزةِ عليها وأسقطت الهمزة فصارتِ استلَمَ : وحكى الفراء : أنه يُقَالُ : « استلمَ » و « استلأمَ » . وقوله : « ثُمّتَ جاء المَرْوَتَيْنِ » يريدُ الصفا والمرْوَةَ ، لأنّ العربَ إذا كان شيئان مقرونان ، أحدهُما أعرف وأشهر من الآخر سمّوهما [1] جميعاً بذلك الأشهر . وقد ذكرت ذلك مُشْبَعاً فيما تقدم ، فأغنى ذلك عن تكرارِه وإعادَته في هذا الموضع [2] . وقوله : « ثمت راح في المُلَبين » و « الرَواح » الأخذُ في العمل من بعد الزّوال إلى الليلِ و « الغدُوّ » الأخذُ فيه من أول النهار إلى منتصَفِه « والملبون » جمع « مُلَبٍّ » وهو اسم الفاعل من « لبى يلبي » وقد مر شرح التلبية في بيت قبلَ هذا [3] وقوله « حيثُ تَحَجّى المأزِمَانِ » أي ؛ حيثُ يُزارُ ويُقْصَدُ على ماشرحنا [4] . و « مِنى » بيان عن قوله إلى « حيثُ تَحَجّى » كأنه قال : هو المأزِمَانِ و مِنى ،وهما جبلانِ بينَ المزْدَلفةِ

---

(١) في الأصل : « سموها » بضمير المؤنثة ، والصواب ما أثبت .

(٢) أنظر ما سلف ، ص :

(٣) أنظر ما سلف آنفا ، ص : ٩٢

(٤) كأنه يريد ما سلف قريبا من شرحه ا « الحج » ويدل عليه قوله بعد قليل : « كأنه قال : هو المأزمان ومنى » . فان يكن أراد هذا فقد ذهب إلى غير مذهب ، فان هذا أصل آخر وهو « تفعل » من « حجا » ومعنى « تحجى » أقام وثبت ، ومنه قول عمارة بن أيمن الرباني :

حيث تحجى مطرق بالفالق

أنظر اللسان : (حجا) . وقد شرحها في المخطوطة « م » على الصواب فقال : « تحجى: أي أقام » - اه

وعَرَفَة .و « منى » معرفة ، وسُميتْ «مِنى» فيما ذَكَرَ المبردُ محمدُ بنُ يزيد، لما يمنى بها من الدم ،ومنه « مَنَى » الرجل و « أمنى» اذا سال منه المني . وقيل : هو مشتقّ من « مَنىَ عليه الشيء » اذا قدّره عليه . « والمَنَى » القدَر ،ومن هذا المعنى قول الله تعالى : (مِن نُطفَةٍ إذا تُمنى)[1] أي ؛ تُقدَّرُ . ويقال : مَنى الله لك خيراً أي ؛ قَـدَّرَهُ عليك . « والمنيَّةُ » من هذا سُميت مَنـيَّةً ، لأنها ما قُدّرَ من الموتِ . « ومُنى » بالضم جمع مُنْيَة[2] من« التمني » و « المُنْيَةَ أيضاً ، الأيام التي يستبرأ بها لقاحُ الناقة وحِيالها .

* * *

٥٦ ثُمَّ أَتى التَّعريفَ يَقْرُو مُخْبِتاً   مَواقِفاً بَيْنَ إلالٍ فَالنَّقا

٥٧ وَأَسْتأنفَ السَّبْعَ وَسَبْعاً بَعْدَها   وَالسَّبْعَ ما بَيْنَ العِقابِ وَالصُّوى

« التعريف » يعني عَرفَةَ ، وسُمِيَتْ عرفة بهذا الأسم ،لأن جبريل عليه السلام علّم ابراهيمَ الخليل (صلوات الله على نبينا محمد وعليه) مناسكَ الحجِ منزلاً منزلاً حين أمَرَ أن يؤُذِنَ في الناس بالحَجّ حتى أتى به عرَفَةَ ، وهي آخر الحج فقال : أعرفت ؟ قال نعم : فسُمِيَتْ بذلك عرفة[3] وجاء عن النبي (صلوات الله عليه وآله) أنه قال : (الحجُّ عرفة ،فمن شَهِدَها من ليلٍ أو نهارٍ فقد تمّ حجه)[4] وقولُه : « يقرو » أي ؛ يقصدُ . يقال : « قراه يقرُوه قَرْواً » إذا اتبعه وقصده .

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٤٦

(٢) في الأصل : « أمنية » – خطأ من الناسخ صوابه ما أثبت ، فان « أمنية » واحدة « الأماني » .

(٣) حكى في معجم البلدان : (الكعبة) نحوا مما هنا . وفيه : « أعرفت منا سكك ؟ »

(٤) رواه أصحاب السنن بمعناه ، وأحمد في المسند ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي كلهم عن عبد الرحمن بن يعمر .

يقال: ذهب فلانٌ في أثر فلانٍ يَقْرُوه. و « المخبت » الراجع إلى الله، المتواضعُ له. يقال: « أخبتَ الرجل يُخبت إخباتا » إذا صلحَ عملُه وتواضعَ لله عزّ اسمُه. قال الله جل ثناؤه: (وأخبتوا إلى ربّهم)[1] ومنه الخَبْت؛ وهو المكان المطمئن. قال امرؤ القيس:

فلما أجزْنا ساحةَ الحي وانتحى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي رُكامٍ عقنقل[2]

و « الآل » جبلٌ معروفٌ بعرفات. وقيل: هو الذي يقفُ عليه الإمامُ يومَ عرفة. والنقا: موضعُ الرمل. وهو مقصورٌ، يكتبُ بالألف على قول من قال التثنية نقَوان، ويكتب بالياء على مذهب من قال في تثنيته: نقَيان. والنقاء ممدود، مصدر الشيء النقي، وجمعه: أنقاء. وقوله: « واستأنف السبع » أي؛ ابتدأ رميَ الجمار، وهو استفعل من قولهم: كأسٌ أُنُفٌ؛ إذا لم يُشرب بها قبلَ ذلك. ومنه قولُ امرىء القيس؛

أُنُفٌ كلونِ دمِ الغزالِ مُعتّقٌ من خمرِ عانةَ أو كرومِ شِبام[3]

ومنه قولهم: « حديث مستأنف » معناه؛ مُبتدأ، لم يتقدم قبلَ هذا الوقتِ. وكذلك « روضة أُنُفٌ » وهي التي لم تُرْعَ قبل الوقتِ الذي وُصفت فيه بهذا و « وأرضٌ أنيفةٌ » إذا كان نباتُها يسبق نباتَ غيرها. ومعنى و « استأنفَ السبع » أي؛ أبتدأ رمْيَ الجمارِ وهي السبعُ. وذلك أن هذا اليومَ إنما يُرمى فيه سبعُ حُصيّاتٍ على جمرة العقَبَةِ. وقد زعمَ قومٌ أن قولَه: و « سبعاً » بعدها

---

(١) سورة هود، الآية: ٢٣
(٢) ديوانه، ص: ١٥
(٣) ديوانه، ص: ١١٥

غلطٌ ، لأن هذا اليومَ لا يُرمى فيه غيرُ سبعٍ فقط . وذلك أن الجمارَ سبعون حصاة ، يُرمى منها يومَ النحر سبع حينَ يُراحُ إلى التوديع ، ويُرمى منها في كل يَومٍ من أيام مِنى إحدى وعشرون حصاة ، كل جمرة سبعٌ حين يُراح إلى التوديع ، ويُرمى منها في كل يومٍ من أيام مِنى بسبع حُصياتٍ ، فذلك ثلاث وستون حصاةً . فتلك الأيامُ التي يُقام فيها بمنى . قالوا : وكيف يقولُ : « وسبعاً بعدها » وليس في هذا اليوم رمي ؟ وليس ماقالوا بشيء ؛ وإنما أراد أن يُخبِرَ بهيئةِ رمي الجمارِ ، فأخبَرَ أنه يُرمى بسبعٍ ابتداء . وقوله : و « استأنف السبع » إخبارٌ بإفرادِها ، كأنه قال : ابتدأ السبع التي تكون مُفردةً ، ولذلك جاء بها معرفة ، والألف[1] واللام فيها لمعهودٍ معروفٍ عندنا . وقوله : و « سبعا بعدها » . أي ؛ وسبعاً في اليوم الثاني ، و « السبع » أي ؛ السبع الثالثة مابين العقاب ، يعني التي يُرمى عليها الجمارُ و « الصُّوى » جمعُ صُوَةٍ ؛ وهي العَلامات التي يُهتدى بها من الحِجارةِ التي تُعمل على الطريق . ومنه قولُ ذي الرُّمةَ :

ودَوِيَّة غبراءَ خاشعةِ الصُّوى قُلْبٌ لها عُفي الجباض أجوز[2]

هذا قولُ أبي عمرو في الصُّوى . وقال الأصمعي : « الصُّوى » ما ارتفعَ من الأرض وغَلُظْ . وقول أبي عمرو أشبهُ ، ومما يدلُ على صحته قولُ أبي هُرَيْرَةَ

---

(١) في الأصل : « بالألف واللام ... » - ولعل الصواب ما أثبت

(٢) كذا في الأصل ، وفيه تصحيف لم أهتد إلى صوابه ، وليس البيت في ديوان ذي الرمة ولا ملحقاته ، ولا وقفنا عليه في شيء مما بين أيدينا من مصادر .

رضي الله عنه : إن للإسلام صوىً ومناراً كمنارَ الطريق[1] . فذكرَ شهادةَ أن لا إلَه إلا الله ، وإقامَ الصلاةِ ، وما أشبهَ ذلك .والأرضُ المرتفعةُ لا تكونُ اعلاماً على ظاهر هذا .

* * *

٥٨ وَرَاحَ لِلتَوديعِ فيمَنْ رَاحَ قَدْ　　أَحْرَزَ أَجْراً وَقَلى هُجر اللَّغَا

٥٩ بِذَاكَ أَمْ بالخيل تعدُو المَرَطَى　　نَاشِزَةً أكْتَا دهَاقُبَ الكُلى

« راحَ للتوديع » يعني هذا الرامي للجمارِ ، راحَ إلى توديع البيت . وكذلك يُفْعَلُ بعد الفراغ من رَمْي الجمارِ والذبْحِ والحَلْقِ . يذهبون إلى البيت مُودِّعين فيطوفون به سَبْعاً ، ويَسعُون بين الصفا والمروة سبعاً ،ويرجعُون الى منى ، فيُقيمُون بها ثلاثة أيام ، ومنهم من يتعجَّلُ في يومين . وقوله :احرز اجرا ،أي ، ملكه وصانه[2] و « قلى هجرْ اللغا » أي ؛ ابغضه يقال : « قلاه يقليه » إذا أبغضَهُ ، وأنشدوا :

وَترميني بالذنب أي ؛ أنت مذنب　　وتقليني لكن إياكِ لا أقلي[3]

(١) رواه الطبراني عن أبي الدرداء . قال المناوي في « الفيض » في سنده عبد الله بن صالح كاتب الليث وقد قال ابن أبي حاتم فيه : إنه منكر الحديث جداً ، وأورده الذهبي في الضعفاء ، وقد روى القسم الأول منه (إن للاسلام صوىً ومناراً كمنار الطريق) . الحاكم عن أبي هريرة وصححه السيوطي في « الجامع الصغير » .

(٢) كذا في الأصل ، وقد وضع الناسخ فوقها علامة التصحيح وأثبت في الحاشية بازائها « وأصابه » وكأن ذلك اجتهاد منه ، وليس بشيء ، ومافي الأصل هو الصواب ، قال في اللسان : « يقال : أحرزت الشيء أحرزه إحرازا ، إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ » .اه

(٣) لم نعرف قائله ، وهو في شرح شواهد المغني ، ص : ٨٣

والاسم منه « القِلى » مكسور الأول مقصور ، فإن فَتَحْتَ أوله مددتَ ، وأنشد بعض النحويين :

عليكِ سلامٌ لا مُلِلْتِ قريبةً ... ولا لكِ عندي إن نأيتِ قلاءُ[1]

و « الهُجْرُ » الإفحاش في المنطقِ و « الخنا »: نحوُه ، يقالُ منه : « أهجَرَ الرجلُ يهجِر إهجاراً » والاسم منه الهُجْرُ . ومنه قول النبي ﷺ : (إني كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ولا تقولوا هُجْراً[2]) . قال الشاعر :[3]

كماجدةِ الأعراق قال ابن ضُرّةٍ ... عليها كلاماً جار فيه وأهجرا[4]

هذا هو الهُجْرُ . وأما « الهَجْرُ » بفتح الهاء ، فإنه من الهَذَيان مثل كلام المحموم والمبرسم ، يقال منه : « هَجَرْتُ أهجِرُ هجراً » فأنا هاجِرٌ ، والكلام « مهجور » وقال مغيرة عن ابراهيم في قوله عز وجل : (إن قومي اتخذوا هذا

---

(١) البيت لنصيب ، وهو في اللسان : (قلى)

(٢) رواه الحاكم في (الجنائز) عن أنس ، وقال الحافظ المناوي في « فيض القدير » قال ابن حجر سنده ضعيف والحديث طرق يتقوى بها .

(٣) هو الشماخ بن ضرار

(٤) ديوانه ، ص : ٢٨ ، اللسان (هجر) . ورواية الديوان – « مُمجدةِ الأعراق » وهي الصواب لأن قبله :

كأن ذراعيها ذراعا مدلّةٍ ... بعيدالسباب حاولت أن تعذّرا

ممجدة الأعراق . . . البيت

يصف ناقته فيشبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها، وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاما أفحش فيه فهي ترفع يديهـا وتضمها تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها . وقيل : إن معنى « مدلة » انها تدل بحسن ذراعيها فهي تدمن إظهارها لترى حسنها . وقوله : بعيد السباب،أي في عقب المسابة قامت تعتذرإلى الناس ، ويروى : « بعيد الشباب » أي أنها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرة . اه ملخصا من شرح الديوان .

القرآن مهجوراً[١]) قال : قالوا فيه غيرَ الحق ، الم تر إلى المريض إذا هَجَر قال غيرَ الحق ، ويُقال أيضاً : « هَجَر يهجرُ » إذا صَرَمَ . وَقَطع . ومنه اُشتقَّت « هِجرة المهاجرين »[٢] لأنهم هَجَروا أوطانَهم وقبائلَهم . وهَجَرَ النهار ؛ إذا صار في وقت الهاجرةِ . قال الشاعر :[٣]

فدعْ ذا وسَلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرةٍ   ذَمُولٍ إذا صَامَ النَّهارُ وهَجَّرَا[٤]

و « اللَّغا » اللَّغْو ؛ وهو الباطل من الكلام ، يقال : « لَغَا في كلامه يَلغُو » إذا أتى فيه بباطلٍ غير ممكن . وقوله : « بذاكَ أمْ بالخيل » كأنه قال : أقسم بذاكَ أم بالخيلِ ، وسُميت الخيلُ خيلاً لاختيالِها واختيالِ راكِبها . ورُوي أنّ رجلاً سأل أباعمرو بن العلاء : لِمَ سُميت الخيلُ خيلاً ؟ فقالَ : لاختيالِها واختيالِ راكبها[٥] و « تعدُو » أي ؛ تجري و « المَرطَى » ضَرْبٌ من عدوِ الفرَسِ ، وهو دون التقريبِ ، وأنشدَوا لطُفَيْلٍ[٦] :

تَقْرِيبُها المَرَطى والجَوْزُ مُعْتَدِلٌ   كأنها سُبَدٌ بالماء مَغْسُولُ[٧]

---

(١) سورة الفرقان . الآية : ٣٠

(٢) في الأصل : « المهاجرين والأنصار » - يظهر أن الناسخ أقحم « الأنصار » تعالماً منه ولا معنى لذلك فآثرنا إسقاطه .

(٣) هو امرؤ القيس .

(٤) ديوانه ، ص : ٦٣ ، اللسان :(هجر) . والجسرة : الناقة النشيطة ،وقيل : التي تجسر على الهول والسير . الذمول : التي تسير سير الذميل ، وهو سير سريع . صام النهار :قام واعتدل.

(٥) أي لإعجابه بنفسه مرحا . ومنه يقال : اختال الرجل ، وبه خيلاء ،وهو الكبر . اه عن المصباح : (خيل) .

(٦) هو طفيل بن عوف الغنوي .

(٧) ديوانه ، ص : ٣١ ، الكامـــل ، ص : ٨٧٨ ، البديع ، ص : ٣٠ ، ٧٩ ، الصناعتين ، ص : ٢١٢ ، ٢٤٢ , نقد الشعر ، ص : ٦٧ : اللسان : (سبد)

و « الجَوْزُ » الوَسَط . يصفها باعتدالِ الوَسَط ، والسَّبَدُ : طائرٌ إذا وقعت على ظهْرِه قطرتان من الماء جرتا ، و « ناشزة » : مرتفعة ، ومنه قولهم : « قَعَدْتُ على نَشَزٍ من الأرضِ » ؛ أي موضع مرتفع منهـا . ومنه قولُه عزَّ اسمُه : (وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم)[1] أي ارتفعوا في المجالس ، و «الكَتَدُ» ما بين الكاهِلِ ووسطِ الظهْرِ ، و « جَمْعُهُ » أكتادٌ ،يعني ؛ انها مرتفعة الأكتادِ و « قُبَّ الكلى » أي ضامرة الكلى ، ويقال :

خيلٌ قُبٌّ ، وفرسٌ أقَبُّ

* * *

٦٠ . . . . (٢)

٦١ يَحْمِلْنَ كُلَّ شَمَّرِيٍّ باسِلٍ شَهْمِ الجَنَانِ خَائِضٍ غَمْرَ الْوَغى

٦٢ يَغْشَى صَلَى الْمَوْتِ بِخَدَّيْهِ إِذَا كَانَ لَظَى الْمَوْتِ كَرِيهَ الْمُصْطَلى

قولُه : « يحملْن » يعني الخيل ، كأنه قال : بذاك أم بالخيلِ التي من صِفتها هذا. وقوله : « كُل شمري » أي ؛ كل مُشمِّرٍ لملاقاة أقرانه مُشْتَهٍ لذلك ، و « الباسل » الذي حرَّم على قِرنِه الدُّنوَّ منه ، لِشجاعته وشِدَّته . ولا يُمهِل قِرنَه ولايمكنه من

---

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١١

(٢) زاد هنا في الشرح المطبوع في الجوائب - وربما كان شرح ابن الأنباري - بيتا ، وهو:

شعثا تعادى كسراحين الغضا ميلَ الحمـاليق يبارين الشّبا

« ... « الشعث » الثائرة الأعراف ، أي المرتفعة شعر الأعراف . و « الأعراف » جمع عرف . و « تعادى » تسابق ، أراد : تتعادى . و « سراحين » ذئاب ، الواحد : سرحان . و « الغضا » شجر يدوم جمره « ميل الحماليق » أي مائلة العيون . و « يبارين » يعارضن . و « الشبا » مقصور ، جمع شباة : وشباة كل شيء حده . يريد بها هنا أطراف الرماح

نفسه ، مشتق من البَسْل ؛ وهو الحرام ، وقيل : « الباسِل » المرُّ ، وقد بَسَلَ الرجلُ يَبْسُلُ » ؛ إذا صار مُرّاً ، فكأن شجاعته مما تمرّه عندهم . وقولُه : « شهم الجَنان » ؛ أي ؛ ذَكيُّ القلب ، يقال : « رجلٌ شهمٌ » ؛ إذا كان ذكي الفؤادِ. وسُمّي القلب « جنانا » لاُستتارِه . ومنه سُميت « الجنُّ » لاستتارها ، وسُميت « الجنةُ » جنة لأنها تستُر النـاسَ بأشجارِها وظلِها . وسُمي « المِجَنُّ » وهو الترسُ مِجناً ، لأن صاحبَه يستَترُ به في الحَرْبِ . وقيل : « جَنَّ عليه الليل » . إذا ستَره بظُلمته . وسُمي « الجنينُ » جنيناً لاستتاره في الجوْفِ و « الجنين » أيضاً ؛ المقبُور . وذلك لسترته في القبرِ ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

وَلاَ شَمْطَاء لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا   لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إلاّ جَنِيناً (١)

أي لم يترك لها الموتُ إلا مَن أجنه قبرٌ . ولم يردْ أنَّ في جوفِها واحداً ، ولكنهم كلّهم مقبورٌ . وقوله : « خائض غَمر الوغى » أي ما كثر من الوغى ، ومنه : « ماء غَمْر » إذا كان كثيراً ، و « فرس غمْر » إذا كان كثير العدو . و « رجل غُمر » ؛ إذا كان جواداً كثيرَ العطاء . و « الغُمر » الذي لم يجرب الأمور ؛ و « الغمَر » ؛ الحِقد يقال : ما في صدر فلان غَمر ، أي ؛ حِقد . و « الغُمَر » العقب الصغير ، وأنشدوا :

---

(١) المعلقات ، ص : ١٣٠ ، رسالة الغفران ، ص : ٢٤٦ ، وأغرب في اللسان : (جنن) فعزاه للأعشى . وقبله :

فما وجدت كوجدي أم سقب   أضلّته فرجّعت الحنينا

ولا شمطاء .... البيت

والسقب للناقة كالصبي للمرأة . والشمط : بياض الشعر . يقول : لم تحزن كحزني ناقة أضلت ابنها ، ولا عجوز لم يترك شقاء جَدّها لها من تسعة بنين إلا مدفونا في قبره ، أي ماتوا كلهم ودفنوا .

يكفيه حُزَّةُ فلذ إن ألمَّ بها   من الشِواء ويُرْوي شربَه الغُمَرُ[1]

و « الغُمَرُ » الوَدَكُ[2] و « الوغى » كثرةُ الأصوات في الحرب ، وقوله : يغشى صلى الموت ؛ يقول : يدخلُ نارَ الحربِ . يقال : أصليته النار ، أي ؛ أدخلته فيها و « الصَّلى من النار » مقصور ، يكتب بالياء ، فإذا كسر أوَّلُه مدّ فقيل : صِلاء النار . والصَّلى : عِرقٌ في موضع الردف يقال : رَكِبَ فلانَ الصَّلى أي ؛ ذلك المَوْضِعَ ومنه قيل للذي يلي السابقَ من الخيلِ : مُصَلِّياً ، لأن رأسه يكون عند صلى السابق . وزعَم محمدُ بنُ يزيد : أن الصلاةَ مُشتقةٌ من هذا ، لأن الإنسان إذا صلَّى حنَى ذلكَ الموضعَ منه. وقوله: « إذا كان لظى الحرب كَريه المصطلى » يريدُ ؛ ما يلحق أهلَها من المكارِه و « لظى » اسمٌ من أسماء جهنم . و « المصطلى » مفتعل من من الصلى . وكان أصلُه « مصتلى » فأبدل من التاء طاء ، لوقوعها بعد الصاد .

* * *

---

(١) البيت لأعشى باهلة – واسمه عمرو بن الحارث – من مرثيته المشهورة في المنتشر بن وهب أخيه لأمه . ومطلعها :

إني أتتني لسان لا أسر بها   من علو لا عجب منها ولا سخر

وهي من مختار الشعر ونادره ، رواها غير واحد من أئمة اللغة والأدب ، ورواياتهم تتفاوت زيادة ونقصا وتقديما وتأخيرا . انظرها في الأصمعيات ص ٨٩ – ٩٣ ، ومختارات ابن الشجري ، من ١٠ – ١٢ ، والكامل ، ص : ١٢٢٩ – ١٢٣١ ، وجمهرة أشعار العرب ، رقم : ٣١ والمكاثرة عند المفاخرة ، ٨ ، وأمالي المرتضى ٢/١٩ – ٢٤ ، والخزانة ١/ ٨٩– ٩٧ مشروحة ، وملحق ديوان الأعشى ، ص ٢٦٦ – ٢٦٨ . وفي اللآلي ، ص : ٧٥ : أن قطرياً قال : إنها للدعجاء بنت وهب ترثي أخاها المنتشر . وقد حكى الشريف المرتضى ٢ / ٢٤ نحواً من هذا وصحح أنها للأعشى المذكور .

وبيت الشاهد في اللآلي ، ص : ٧٥ ، وأمالي المرتضى ١ / ٩٦ ، وإصلاح المنطق ، ٥ ، والمقاييس ٤ / ٤٥٠ ، والكامل ، ص : ٣١٠ . وأمالي القالي ١ / ١٨ واللسان : (غمر) .

الفلذ : كبد البعير ، والحزة : القطعة منه

(٢) الودك : الدسم .

٦٣ لَوْ مُثِّلَ الْحَتْفُ لَهُ قِرْنًا لَمَا صَدَّهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلَا انْثَنَى

٦٤ وَلَوْ حَمَى الْمِقْدَارُ عَنْهُ مُهْجَةً لَرَامَهَا أَوْ يَسْتَبِيحَ مَا حَمَى

قوله « لو مُثِّلَ الحَتف » يقول : لو صوِّرَ له الموتُ محارباً ، ماصدَّته عنه هيبةٌ من شجاعته وإقدامه في الحرب . و « القِرن » بكسر القاف المقارنُ في القتال وغيره . يقال : فلانٌ قِرنُ فلانٍ ، أي : قرينهُ ومِثلُه في القتال ، و « فلان قَرنُ فلان » أي هو على سِنه (١) . و « صدَّته » أي : ردَّته ، ويقال : صَدَّ عن الشيء : إذا رَجَع عنه . ومنه سُمي الصدُودُ ، لأن كلَ صادٍ مولٍ بالوصل عن صاحبه راجعٌ عما يُحِبّ ، وقوله : « ولا انثنى » أي ، ولا انعطفَ راجعاً ومنه يقال : « يتثنى في مشيته » وإنما هو انعطافُه وميلُه ، و « الهيبةُ » أن يعظُمَ الإنسانُ في عينكِ ،وتهابه ، أي : تخافه ، وقوله :و « لَوحمى المِقدارُ » أي : ولو منعَ من قولهم :« حَميتُه عن كذا » أي : منعتُه منه ،وَ « حَميتُ المريضَ عن الغِذاءِ الضَّارِّ » : إذا منعتَهمنه . يقول : لو منعَ المِقدارُ عن هذا الرجل مُهْجَةً لرامَها، أي: لطلبها . و « المُهجَةُ » العَلقَةُ السوْداء التي في القَلْبِ ، والعرَبُ تقولُ : أصبت مُهْجَةَ قلبِهِ ، وَحَبَّةَ قَلْبِه ، وجُلجُلانقلبه ،وسُويداءقلبه . ولا بقاءللنَفْسِ بعد ذهاب مهجتها ،وقولُه :« أو يستبيح » معناه حتى يستبيحَ ،فلذلك نصبَ ، لأن أوْ إذاكانت بمعنى « حتى » و « إلاَّ أنْ » كان الفِعل بعدَها منصوباً . فأما كونُها بمعنى حتى ، فمثلُ هذا الذي ذكرْنا وأشباهه . وأما كونُها بمعنى إلاَّ أنْ

(١) أي مثله في السن . قال في أساس البلاغة : (قرن) - : « هو قِرنه في السن ، وقِرْنه في الحرب . القَرْن بالفتح : مثلك في السن ، وبالكسر : مثلك في الشجاعة ، وهم أقرانه . » اه

فمثلُ قولِكَ : « لأضربنك أو تقرَّ » أي ؛ إلاَّ أنْ تقرَّ ، ومنه قولُ أمرئ القيس :

بكى صاحِبي لمَّا رأى الدربَ دونه ؛ وأيقن أنَّا لاحِقان بقَيْصَرا (١)

فقلتُ له : لاتبكِ عيناك إنما نُحاوِل ملكا أو نموتَ فنعْذَرا

وإن وقعت « أو » في موضع لا تصلحُ فيه « إلا أن » او « حتى » كان الرفعُ لا غير . وذلك نحو قولك : » اجلس أو تقومُ ، أو تزورُنا أو تقطعُنا .

وقوله : « أو يستبيحَ ما حمى » أي ؛ يحملُ ما حَمى مباحاً لا مانعَ منه .

* * *

٦٥ تَغْدُو الْمَنَايَا طائعاتٍ أَمْرَه تَرْضَى الّذي يَرْضَى ، وَتأبى ما أَبَى

٦٦ بَلْ قَسَماً بالشَّمِ مِنْ يَعْرُبَ ، هَلْ لِمُقْسِمٍ مِنْ بَعْدِ هَذا مُنْتَهى ؟

« المنايا » جمع مَنِيَّة ؛ وهي الموتُ وقد ذكرنا اشتقاقها فيما تقدم ، وقوله : « طائعات » أمرَه ، يَصفهُ بشجاعةِ القلب .

وقد كان بعضُ أهل العلم يأخذُ على الشعراء شيئاً من هذا الفن ، وينسبُها فيه إلى الإفراطِ وتجاوزِ المِقدارِ ، وما أرى ذلك إلا جائزاً حسناً . لأن نيتَهم في ذلك « كادَ يكونُ كذا » والسامع له يَعرِف مذهبَ القائل . قال عنترة يذكر بسالته :

وأنا المنيةُ في المواطنِ كلِّها والطعنُ مني سابقُ الآجالِ (٢)

---

(١) ديوانه ص : ٦٥ - ٦٦

(٢) ديوانة ص : ١٩١

« والشُمّ » الرفعاء ،مأخوذٌ من « الأَشَمّ » ؛ وهو المُرتفِـع ، ومنه قولهم : فلان في أنفهِشَمَمٌ،أي ؛ ارتفاع و « الشُمُّ » الجبالُ ،سُمِّيت بذلك لِعلوها وارتفاعِها و « يَعْرُبُ » قبيلةٌ من العرب أبوهم يعرُب بن يشجب بن قحطان . يقول : بل أحلف بأشراف هذه القبيلةِ ،هل لِمُقسِمٍ من بعد هذا القول — و « المقسم » : الفاعل من « أقسم » إذا حَلفَ — « منتهى » أي ؛ غاية . يقول : هل لحالفٍ حَلَفَ بهم غايةٌ يَبلغ إليها بعد اليمين بهم ؟ بل هم الغايةُ في القَسم .

* * *

٦٧ هُمُ الألى إنْ فَاخَرُوا قَالَ الْعُلَى: بِفي امْرِىءٍفاخَرَكُمْ عَفرُالبَرى

٦٨ هُمُ الألىَ أجرَوْا ينَابيعَ النَّدَى هَامِيَةً لِمَنْ عَرا ، أوِ اعْتَفَى

قوله : « هم الألى » يعني ؛ أهل هذه القبيلةِ الذين حَلفَ بهم ، ثم أخذ في ذكر مناقبهم ، ومنْ أين وجب أن يقسم بهم . يقول : « إن فاخروا قال العُلى بفي امرىء فاخركم العفر » أي ؛ أنتم أجلّ [من] أن يذكركم بفيه · والعرب تقول : لمن يذكر مَنْ ليس له بندّ « بفيك الأثلب والحجر » ، و « بفيك التراب » ، و « الأثلب » : الشوك ، و « العفر » : الترابُ ، يقـال : ما على عفر الأرض مثله . « والتراب » جمع ، واحده « تُرابَة » فإذا نسبت إلى الترابِ قلت : تُرابيٌّ قال الشاعر

فقالوا : تُرابِيٌّ ، فقلت : صَدَقْتمُ، أبي من تُراب خَلقَه الله آدم(١)

---

(١) رسالة الغفران ، ص : ٢٢٣ ، ولم ينسبه . وقـد استشهد به على تسكين اللام من « خلْقه » . وروايته « ادما » بالنصب .

و « البرى » التراب وهو مقصور ، و « البراء » من « التَّبرؤ » ممـدود وقال الله عز اسمه حكاية عن ابراهيم عليه السلام : (إنني براء مما تعبدون[1]) فإن قال قائل : فإذا كان العفرُ هو الترابُ ، والبَرى هو التراب ، فـكأنَّه قالَ : بفي امرىء فاخركم ترابُ الترابِ ، وهذا لا يجوز الرَّدُ إليه، فالجواب عن هذا أنَّ العرَب تضيف الشيء إلى نفسه إذا كان بلفظَيْن مختلفين ، فيكون الأولُ قابلاً مثل قولهم : «مسجدُ الجامعِ » والمسجد هو الجامعُ ، وقوله[2] : (وحبَّ الحصيد) والحَصيد هو الحَب ، فمعناهما وإن كانا مختلفيْ الألفاظ معنى واحد . وكذلك قوله « بفي امرىء فاخركم عفر البرَى » و « اليناببيع » جمع يَنْبُوع . وهو ؛ ما يخرجُ منه الماء ، كالعين ونحوها ، وسميت العين يَنبوعاً من قولهم : نبع الماء ؛ إذا خرَجَ من العين ، و « هاميةً » أي سائلةً . يقال « همى المَطرُ يهمي » إذا سالَ ، وأنشدوا لطرفة بن العبد ، وقيل: إنه لمرقش .

فسَقَى دِيارَكَ ، غيْرَ مُفسِدِها ، صَوْبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهْمي[3]

أي تسيلُ وتذهبُ ، وكذلك هَمَتْ عينهُ تهمِي همياً ، إذا سالت ودمعت .

.................[4]

* * *

(١) سوره الزخرف ، الآية : ٢٦

(٢) سورة ق ، الآية : ٩

(٣) فقه اللغة ، ص : ٥٩٧ ونسبه لطرفة . اللسان : (همى) غير معزو .

(٤) كذا في الأصل ، لم يتم شرح البيت ، وتمام شرحه في المخطوطة « م » - : « « عراه يعروه » و « اعتراه يعتريه » إذا أتاه متعرضا لمعروفه . و« عفاه » و « اعتفاه » إذا جاء يسأله معروفه » . اه

٦٩ هُمُ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنِ انْتَخَى ، وَقَوَّمُوا مَنْ صَعَرٍ وَمَنْ صَغَا

٧٠ هُمُ الَّذِينَ جَرَّعُوا مَنْ مَاحَلُوا أَفَاوِقَ الضَّيْمِ مُمِرَّاتِ الحُسَا

« دوَّخوا » أي ؛ أذلّوا ، يقال : دوّخت فلاناً ؛ إذا أذللته ، و « داخ » هو في نفسه ؛ إذا ذلّ و « انتخى » افتعلَ من « النخوة » وهي الكِبْر والعظمة . يقول : هم الذين أذلوا كلَّ مَنْ كانت له نخوة من العرب لعزهم وسلطانهم . و « قوَّموا مِنْ صَعَرٍ » أي ؛ مِنْ مَيلٍ ، أي مَنْ كانَ مائلاً عن الحق قوموه . « والصَعَر » ميل الخدِّ من الكِبْرِ . ومنه قول الله عز اسمه : (ولا تُصعِّرْ خـدَّك للناسِ (١)) وقُرِىء (ولا تصاعر) بألف (٢) ، وهما لغتان ، أي ؛ لا تعرض بوجهك عن الناس تجبّراً وحكى سيبويه ؛ أن صاعَر وصَعَّرَ بمعنى . وقال الأخفش : « لا تُصاعِرْ » بألفٍ لغة أهلِ الحجاز ؛ « ولا تُصعِّر » مُشدد بغير ألف لغة بني تميم . وأصل « الصَعَر » داء يأخذ الإبل في رؤوسها وأعناقها فتميل منه أعناقها و « والصَّغا » الميل أيضا يقال : « صَغوْتُ إلى فلانٍ أصغو صَغْواً » ؛ إذا مِلت إليه . وقد « أصغى إليه برأسه » إذا أماله « يُصغي إصغاء » . وقوْلُه : « جرَّعوا » أي ؛ سَقَوْا . يقال : جرَّعت فلاناً الشراب » إذا سَقيْتَه إياه على مَهَلٍ طوعاً كان أو كُرهاً . و « مَاحَلوا » فاعَلوا من قولهم : « مَحَل فلان بفلان » . إذا عَرَّضَهُ لأمرٍ يهلكه فيه و « المِحال » المكْر والخديعةُ ،يقال : « فلان ذو مِحال » أي ؛ ذو مَكْر وخديعة ،ومنه قولُ اللهِ

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٨

(٢) وهي قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، ووافقهم اليزيدي ، والأعمش . والأولى قراءة الباقين . أنظر الاتحاف ، ص : ٣٥٠ ، والنشر ٢ / ٣٣٢ .

جل اسمه : (وهو شديد المِحال [1])وقرأ الأعرج (وهو شديد المُحال) بالضم [2]
من قَوْلِهم: ما للرجال حول ولا قوة ولا حيله ولا احتيال ولا مُحال « والأفاوِقُ » جمع فُواقٍ ، وهو من فُواق الناقة ؛ وهو اجتماع اللبن في الضَّرْع وكلما اجتمع من الفُواق درَّةٌ فهي فِيقَةٌ فُواق « وقد أفاقت [3] الناقةُ » إذا تَرك أهلها حَلْبها حتى يجتمعَ دَرُّها . و « الضَّيْم » النقصُ و « المُمرّات » التي قد صارتْ مُرَّةً « والحسا » جمع حُسوة ؛ وهوأ خذك الشيء بفيك قليلاً قليلاً .

* * *

٧١ أَزَالُ حَشْوَ نَثْرةٍ مَوْضُونةٍ حَتَّى أُوارى بَيْنَ أثناء الجُثى
٧٢ وَصَاحِبَايَ صَارِمٌ في مَتْنِهِ مِثْلُ مَدَبِ النَّمْلِ يَعْلُو في الرُّبى

قوله « ازالُ » أي ؛ لا زال ، وأسقط « لا » لأن العربَ تستعمل إسقاطَها كثيراً . ومنه قولُ امرىء القيس :

فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعــداً ولو قطعُوا رأسي لديكِ وأوصالي [4]

أي لا أبرحُ قاعداً و « النَّثْرَة » و « النثلة » ؛ الدرعُ الواسعــةُ

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٣

(٢) كذا في الأصل ، وأخشى أن يكون خطأ من الناسخ صوابه (المَحال) بالفتح ، قال أبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٣٧٦: « وقرأ الضحاك والأعرج : (المَحال) بفتح الميم ».اهـ ولم يذكر قراءة الضم أصلا . وقال في اللسان : (محل) : « قال الأزهري : وقرأ الأعرج: (وهو شديد المَحال) بفتح الميم . قال : وتفسيره عن ابن عباس يدل على الفتح ، لأنه قال : المعنى : وهو شديد الحول » . اهـ

(٣) في الأصل : « فاقت » خطأ من الناسخ . وانظر اللسان (فوق) .

(٤) سبق البيت وتخريجه ، ص : ٣٦

و « المَوْضُونَة » المُحكمة النسج . وقولُه : « حتى أُوارى » ناغل من « واريته » إذا غطيتَه و « الجثا » جمعُ جثوة ، وهو تراب مجموع ، يقول : لا أزال متهيئناً في آلةِ الحرب حتى أُغيَّبَ بين أثناء الجثا و « الأثناء » جمع ثِنْي : وهو تراكب الشيء بعضه فوق بعض . وقوله : و « صاحِباي » يقول : لا أزالُ عَلى ما وصفتُ ، واللذان يقومان لي مقام الصاحب صارم ، أي سيف قاطع ، و « الصَّرْم » : القطع . يقال : « صَرَمَه يَصرِمُه » ، و « الصِّرْمه » : القطعة من الإبل وهي من هذا . و « صارَمَ فلانٌ فلاناً » إذا قطعه . ويقالُ للَّيل : « صَريم » وللنهار « صريم » لأن كل واحد منهما يقطع صاحبَه . وقيل في قول الله عز اسمه : (فأصبحت كالصريم)[1] أي ؛ سوداً كالليل . ومَنْ قالَ : هو النهارُ قال : أصبحت كالنهار لا سواد فيها أي لا عامرَ فيهـا . ومنه قيل : « سواد العراق » ويقال له : « سواد الأرض وبياضُها » . فسوادها ؛ عامرُها ، وبياضُها ، الذي لا شيء فيه . ويقـال : « فلان صارم » ؛ مشبه بالسيف الصارم ، أي هو ماضٍ في الأمور . وقوله : « في مَتْنه » يعني مَتن السيف « مثلُ مَدَبِّ النمل » يعني صغارَ النمل يريد ؛ فرند السيفِ ، شبهه في رأي العين بما تُؤثِّره أيدي النملِ في « الربى » وهو جمع « رَبْوَةٍ » ؛ وهي ما ارتفع من الأرض .

* * *

(١) سورة القلم ، الآية : ٢٠

٧٣ أبيضُ كالمِلْحِ إذا انتضَيْتَهُ لم يَلْقَ شيئاً حدُّهُ [إلاَّ فرى[1]]

٧٤ كأن بين عيره وغَرْبِهِ مُفْتَأداً تأكّلتْ فيه الجُذى

٧٥ يُري المَنونَ حين تقفو إثْرَه في ظُلَمِ الأكبادِ سُبْلاً لا ترى

« العَيْر » هو الموضع الناتىء في وسَطِ السيف . و « العَيْر » أيضاً : العَظْمُ الناتِىء الذي يكون في وسط الكتف . « والغَرْب » في السيف حَدُّه ، مأخوذ من « أغْرَب » أي : أبْعَد ، ومنه سُمي « مغرب الشمس » ، و « الرجل الغريب » المُتَباعِدُ . فـ « غَرْب السيف » معناه : أنه يمضي فلا يُرَدُّ ، وهو مأخوذ من الإبعاد ؛ و « أصَابَه سهمٌ غَرْب » إذا جاءه من حيثُ لا يدري . وأصابه « حَجَرٌ غَرْبٌ » إذا رُمِي به غيره فأُصيب هو به . و « الغارب » من البعير : ما بين كتفيه وهو موضع الحارك من الدابة ، والجمع غَوارب ، وسُمي غارباً لبُعده . و « المفتأد » التَنّور الذي يُخْبَزُ فيه . و « الجذى » جمع جذْوَة ، وهي الجَمْرَة العظيمةُ المتصلةُ بالحطب . وقولُه : يُري المَنون « يعني هذا الصارم ، أي ، إذا قفت المنون إثْرَه ، أراها في ظُلَمِ الأكباد سبلاً لا تُرى ، ويُروى « تَرى المنون » فمَنْ روَى هذه الرواية جعل الفعل[2] للمنونِ أي أن المَنونَ إذا قَفَتْ إثْر هذا الصارِم رأَتْ في ظُلَمِ الأكباد سُبْلاً لا ترى و « المَنُون »

---

(١) مابين معكفين ساقط من الأصل ، وقد خلت نسخة الأصل من شرحه . وأما المخطوطة « م » فلم يرد فيها البيت أصلا .

وانتضى السيف : جرده من غمده . وفرى : قطع

(٢) في الأصل : « النعل » – تصحيف صوابه ما أثبتناه .

مِنْ أسماء المنية . وهي تؤنث وتذكر ؛ والتأنيث فيها أكثره . و « المنُون » أيضاً الدهر ، وأنشدوا في هذا[1] :

أمِنَ المنونِ وريبِه تتوجَّع ؟ والدهرُ ليس بمعتبٍ مَنْ يجزَعُ[2]

و « تقفوا إثْرَه » أي ؛ تتبّعه . ومنه يقالُ : « قفاهُ يقفوه » . إذا اتبعه ومنه قيل : « فلان » يقفو « إثر فلان » . ويقال : « أثَر » و « إثْر » و « السبُل » جمعُ سَبيل ؛ وهي الطريق . وهي تذكر وتؤنث . والأصلُ أن تكون علَى « فعُل » .

كـ « رغيف و رُغُف » ولكن إذا توالتِ الضماتُ ثقُل ذلك عليهم فسكّنوا استخفافاً .

* * *

٧٦ إذا هَوى في جُثّةٍ غادرَها من بعدِ ما كانت خساً ، وهي زكا

٧٧ ومُشرِفُ الأقطارِ خاظٍ نَحْضُهُ حابِي القُصَيْرى جُرْشُعٌ عَرْدُ النَّسى

« هوى » من قولهم : « هوى الطيرُ يهوِي » ، إذا تمهّل في هُويّه ولم يتمر في انقطاعه[3] ، وقوله : « غادرها » أي ؛ خلّفها ، والعرب تقول : « غادرت فلاناً خلفي » أي ؛ خلفته . وكل شيء متروك في مكان فقد غُودِر فيه ، وكذلك

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي .

(٢) البيت من مرثيته المشهورة ، وقد سبق تخريجها ، ص : ١٤

(٣) كذا في الأصل ، وأظنه تصحيفا صوابه : « ولم يستمر في انقضاضه » . وجاء في اللسان : هَوَت العُقاب تَهْوي هُوِيًّا ، إذا انقضت على صيد أو غيره مالم ترغه ، فاذا أراغته قيل : أهوت له إهواء » . اهـ

« أغْدَرْتُ الشيء » إذا تركته ، و « الغدير » : مستنقعُ الماء ، سُمّي غَديراً لأن السيل غادره ، أي : تركه ، صغيراً كان أو كبيراً ، و « المغادرة » : الترْك ، ومنه قولُه عز اسمه : (لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاهـا)[1] أي لا يترك و « الخسا » الفَرد و « الزَّكا » الزَّوْجُ . يقولُ : إذا وقع هذا السيفُ في جُثّة تركها — من بعد ما كانت فرْداً — زوجاً ؛ يعني فردها نصفين . وقوله : «مُشْرِفُ الأقْطار» يعني فرَساً ، وهو أحدُ صاحِبَيْه اللَّذَيْن ذَكَر . «واقطاره» نَواحِيه مثل عَجُزه ورأسه . و « الخاظِي » الغليظُ اللَّحم ، وكل لحمة غلظت فقد خَظَتْ و « النَّحْضُ » اللحم . و « حابي القُصَيْرى » أي : مرتفع القُصيرى ، وكل مرتفع حابٍ . ومنه قيل للغيم . « حَبيٌّ » لأنه يرتفعُ فيتراكم . و « الجُرْشُع » الضخم الصدر ، وهو محمود في الخيل. و « العَرْدُ » الشَّديدُ من كلِّ شيء الصلْبُ المنتصب والعرب تقول : « إنه لَعَرْدُ العُنُقِ » وعارد العنق و «قد عَرَدَ النبات » إذا خرَج كلُّه وامتدّ وانتصب ، و « النَّسى » عِرْقٌ يَستبطِنُ الفخذَ ، فيمتدُّ في الساق والعرقوب حتى ينتهي إلى الرُّسُغ ، وهو مقصور يكتب بالياء . و «النَّساء » من التأخير ممدود .

* * *

٧٨ قريبُ ما بين القطاةِ والمطا　　بعيد ما بين القَذال وَالصلا

٧٩ سَامِي التَّليل في دَسيعٍ مُفعَمٍ　　رَحبُ الذراع في أَمينات العُجى

« القَطاةُ » من الفرَس موضع الرِّدف . و « المَطا » الظَّهرُ ، ومنه سُميت

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٤٩

المطية ، لأنها يُركب مَطاها ، أي ظهرها . وقيل : إنما سميت لأنها يُمطى عليها في السَّيْر ، أي يمد عليها في السير . ومنه التَّمَطِّي ؛ وهو مد الأعضاء ، ومنه قول الله جل وعزّ : (ثم ذهب إلى أهله يتمطَّى) [1] وزَعم قومٌ : أن أصل « تمطى : تمطَّطَ » فأُبدِلَتْ إحدى الطائين ياء ، كما قالوا : « تظنيت » . والأصل « تظننت » بنونين فأبدِلَتْ إحدى النونين ياء ، كما قالوا : « دسّى نفسَه » [2] والأصل دسس « بسينين » فأبدلت إحدى السينين ياء ، وكما قال العجاج :

تقضّيَ البازي إذا البازي كسر [3] .

والأصل : « تقضض البازي » ومثله كثير . و « القذال » : ملتقى العِذار على الفرس . و « الصّلا » واحدُ الصَّلَوَيْن ؛ وهما عِرقان يكونان عند أصل الذنب وقد مضى ذكره . ويُستَحبُ من الفرَس أن يكون قريب ما بين ظهره وموضع الردف منه ، وأن يكونَ طويل العنق ، فيبعد ما بين قذاله وصَلاه . وأن يكون قصير الرجلين عالياً مُشْرفاً ، وأن يكونَ سابغ الناصية والذنب ، مدورَ الحافر كأنه قَعْب . وقوله : « سامي التَّلِيل » أي ؛ مرتفعُ التَّلِيل و « التليل » العنق ، وهو الهادِي أيضاً ، وقوله : « في دسيع مفعم » الدَّسِيع : العَظْم الذي فيه التَّرقُوتان ؛ وهو مركَب العُنق في الظهر ، و « الدسيعة » مائدة الرجل الكريم ، ومنه قولهم : « فلان ضخم الدسيعة » و « المُفْعَم » الملآن من اللحم ، ويقال : « أفعمت الإناء » إذا ملأته فهو مُفْعَم ، و « أفعَمْتُ البيت برائحة العود ، فافعَوْعَم » البيتُ به .

---

(١) سورة القيامة ، الاية : ٣٣

(٢) في الأصل : « دستا نفه » ولعل الصواب ما أثبت ، وانظر اللسان (دسس)

(٣) سلف البيت وتخريجه ، ص :

و « امرأة فَعْمَةُ الساقِ » ، وقد « فَعُمَتْ تفعُمُ فَعامَةً وفُعومةً » إذا كانت مستوية الكَعْب غليظة الساق وقوله : « رَحْبُ الذِّراع » أي ؛ واسع الذراع ومنه قيل : « رَحْبَةُ الموضِع » . للمتسع منه . ومنـه « مرحباً وأهلاً » أي ؛ وجدت موضعاً رحباً واسعاً ووجدت قوماً يقومون بأنفسهم لك مقام الأهل بك . و « الأمينات » القويات الصحيحات السالمات التي يُؤْمَنُ عليها . و« العجى » جمع عجاجة وهو عصب مركبٌ فيه فصوص من عظام ، كأمثال الكِعاب تكون عند رُسُغ الدابة إذا جاع أحدهم دَقَّهُ بين فِهْرَيْن فأكله [1] .

* * *

٨٠ رُكِّبْنَ في حَواشِبٍ مُكْتَنَّةٍ   إلى نُسورٍ مثل مَلْفُوظ النوى

٨١ . . . . [2]

٨٢ يدير إعليطيْن في مَلْمُومةٍ   إلى لموحين بألحاظِ اللأى

٨٣ مُداخِلُ الخلقِ رَحيبٌ شَجْرُه   مُخْلَوْلِقُ الصَّهْوَةِ مَمْسُودٌ وأى

---

(١) في الأصل : « .. بين فهدين » والصواب من اللسان : (عجا) ، والفهر ، بكسر فسكون : الحجر يملأ الكف .

(٢) زاد في مطبوعة الجوائب في هذا الموضع بيتا ، وهو :

يرضخ بالبيد الحصى فإن رقى   إلى الربا أورى بها نار الحبا

يرضخ : يكسر ، والرضخ : الكسر . والبيد : جمع بيداء ، وهي القفر . ورقى : ارتفع . وأورى : أوقد ، والحبا : دابة تضيء بالليل كأشد ما يكون من النار ، واسمها « الحباحب » فرخم لضرورة الشعر ؛ قال النابغة الذبياني :

تقدُّ السَّلوقي المضاعَفَ نَسْجُهُ   وتوقِدُ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ

٩

قولُه : « رَكِبن » يعني العُجى ويجوز أن يعني القوائمَ ، و « الحواشب » جمع حَوْشَب ، وهو الحافرُ ، ويُرْوى « في حواشب » مُكْتَتِبَةٍ ، أي غليظة ، ويقال : « حافرٌ مُكْتَتِبٌ » أي : غليظٌ . ومَنْ روى « مُكْتَنَّةٍ » جعلها « مُفْتَعِلَةٍ » مِنْ « كَنَّهُ يكنّهُ » إذا سَتَرَه ، يعني أن العُجى رُكِّبْنَ في حَوَاشِبَ مستورةٍ وقوله : « إلى نسور » ، أي : مع نسور ، ومنه قوله جل اسمه : (ولا تأكلوا أموالَهم إلى أموالكم)[1] ؛ ومثله قوله جل اسمه : (مَنْ أنصاري إلى الله)[2] أي ؛ مع الله ، و « النُّسُور » جمع نَسر ، والنَّسْرُ ؛ ما ارتفعَ من باطنِ الحافِرِ ، وهي لَحْمَةٌ يابسةٌ في باطِنه ، شَبَّهَهَا لصلابتها بالنَّواة التي تُعجم أي تُمضغ ثم تلفظ ، أي ترمى . يقال : « لَفَظْتُ النوى » أي ؛ رَمَيْتُ به ، و « لفظه البحر » أي رَمى به . و « الإعليطُ » وعاء ثمر المَرْخ ؛ وهو شبيهٌ بقشور الباقلاء الرطب ، فشبه أُذُني الفرس في حدتِهما وانتِصابهِما بذلك ، قال عقبة[3] :

وتَرى أُذْنَيها كإعليطِ مَرْخٍ   حُرَّةً في لَطافةٍ وانتصابِ[4]

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٢ .

(٢) سورة الصف ، الآية : ١٤ .

(٣) هو عقبة بن مكدم التغلبي .

(٤) هو من قصيدة أوردها أبو عبيدة في كتاب الخيل ، ص ١٥٤ – ١٥٦ وفي الأصل : « جذه » والتصويب من الخيل .

لها أُذُنٌ حَشْرٌ طَبُّها   كإعليط مَرْخ إذا ما صَفِر [1]

قوله : « صَفِرَ » أي ؛ خلا من حبه . ويُستحبُّ في أُذُنِ الفرَس أن تكونَ رقيقة لينة مذلّلة ، ويُستدلُّ بذلك عَلَى العِتْقِ . وأنشدوا في هذا [2] :

وأُذُنٌ رَقيقةٌ مثلُ الرَّفَا   أَشْبَهَ أعلا حدِها المطرَّفا [3]

قادمةً أو قلماً مُحرَّفا

و « المَلْمُومَة » الهامَة ، أي مَجْمُوعة كالحجر الملموم ، وقوله : « إلى لموحين » عَلَى أصل ما ذكرنا ، مِنْ أنَّ « إلى » بمعنى مع ، و « اللَّمُوحان » العينانِ و « الألحاظ » جمع لَحْظ ، و « اللحظ » : النظر ، و « اللَّأَى » هو الثور الوحشي . ويُستحب من الهامة أن تكون مستديرةً « ملمومة » . ويستحب منه أن

(١) أمالي القالي ٢/ ٢٥٢ ، غير منسوب . وعزاه البكري في اللآلي ، ص ٨٧٧ لامرىء القيس ، وعلق الأستاذ الميمني بقوله : « البيت لم يروه الأعلم ولا عاصم في قصيدته ، وهو في ملحق ديوانه ١٧٩ ونسبه في اللسان (حشر ومشر) إلى النمر بن تولب عن ابن بري » . اهـ

قلت : وقد عزاه في اللسان (عاط) أيضاً إلى امرىء القيس ، ثم نقل عن ابن بري نسبته إلى النمر بن تولب .

(٢) الرجز للعماني الراجز .

(٣) اللآلي ، ص : ٨٧٦ ، العقد ٣ / ٤٣٥ ، الموشح ، ص : ٢٩٨ شرح شواهد المغني ، ص : ١٧٥ . وقال المبرد في الكامل ، ص : ٨٦٧ « حدثت أن العماني الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس :

كأن أذنية إذا تشوفا   قادمــة أو قلمــا محرفا

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن ، ولم يهتد منهم أحد لإصلاح البيت إلا الرشيد ، فانه قال له : قل : « تخال أذنيه إذا تشوفا » . والراجز وإن كان قد لحن فقد أحسن التشبيه » . اهـ

ونقل السيوطي عن كتاب الأوراق للصولي نحواً من هذا .

يكونَ شديدَ النظرِ طموحَ البصَرِ بعيدَ ما بين العينين . قال امرؤ القيس يذكر بُعْدَ ما بينَ عَيْنَيْها :

لها جَبْهَةٌ كَسَراةِ المِجَنْـ ـنِ حَذَّقَهُ الصَّانِعُ المقتدرْ [1]

وقوله : « مُداخِلُ الخَلْقِ » أي مجموعُ الخَلْق . و « الرَّحِيب » الواسعُ وقد ذكرته : و « الشَّجْرُ » مُجتَمَعُ عَظْمِ اللَّحْيَيْنِ ، و « المُخْلَوْلِق » الأملس ، مأخوذٌ من الصخرة الخلقاء ؛ وهي الملساء ، ومنه : « اخلولق الثوب » . إذا بلي و « الصَّهْوَةُ » موضع « اللِّبْدِ » . و « المسود » المفتول ، و « والوَأَى » الشديدُ . وقال قوم : « الوَأَى » السريعُ من الخيلِ ، ويستحب مِنَ الفرس أن يكونَ واسعَ الشِّدْق ، قال الغنوي [2] :

كأَنَّ عَلى أعطافِهِ ثَوْبَ مائِحٍ وإِن تلقِ كلباً بين لَحْيَيْهِ يَذْهَبِ [3]

وقال أبو دواد : وهي شَوْهاءُ كالجُوالِقِ . فُوها مُستَجافٌ يضل فيه الشَّكيمُ [4] :

* * *

---

(١) ديوانه ، ص : ١٦٥ . قوله : « كسراة المجن » يعني كظهر الترس . والصانع : العامل . والمقتدر : الحاذق . وإنما أراد اتساع الجبهة » . اه من شرح الديوان .

(٢) في الأصل : « العلوي » – تصحيف ، وهو طفيل الغنوي .

(٣) ديوانه ، ص : ٩ ، والأمالي ٣٧/٢ ، اللآلي ، ص : ٦٦٦ . والأعطاف : الجوانب . وفي الأصل : « ثوب ماتح » بالتاء ، وما أثبتناه من الديوان ، قال في شرح الديوان : « المائح » : الذي ينزل في البئر فيملأ الدلو إذا قل ماؤها . أراد أن الفرس قد عرق . والماتح ، بالتاء : الذي يستقي ويأخذ من المائح ، والمائح أبدا مبلول . فيصف أنه قد عرق حتى ابتل جلده فصار مثل ثوب المائح . « وإن يلق كلب بين لحييه يذهب » : يعني سعة شدق الفرس » . اه

(٤) الخيل لأبي عبيدة ، ص : ١٢٤ ، اللسان (جوف ، شكم ، شوه) . والشوهاء : المفرطة رحب الشدقين ، والجوالق : ضرب من الأوعية . ومستجاف : متسع . والشكيم ، والشكيمة : الحديدة المعترضة في الفم من اللجام .

٨٤ لا صكَكٌ يَشِينُهُ ولا فَجا ولا دَخِيسٌ واهِنٌ ولا شطا

٨٥ يَجرِي فتكبُوا الريحُ في غاياتِه

حسرى تلُوذُ بِجرائيم السَّحا

٨٦ لو اعْتَسفتَ الأرضَ فوق متْنِهِ

تجُوبُها ما خِفت أنْ يَشْكُوا الوَجى

« الصَّكَكُ » احتكاك العُرقوبَيْنَ أحدهما بالآخر . وقيل : هو اصطكاك الرُّكبتَيْن. يقال : « رجل أصَكٌّ » وظليم أصَكٌّ أي : مِنْ تقارُبِ رُكبتيه يصيب بعضها بعضاً إذا عدا . يقال : « صَكَّ يصك صَكًّا » وقد صَكَكْتَ يا رجل و « الصَّكَّة » شدة الحر في الهواجر . و « الصَّكُّ » ضَرْبُ الشيء بالشيء إذا كان ضَرْباً شديداً ، والصَّكُّ الكتاب . و « يَشينُه » أي ، يَعيبُه و « الفجَا تباعُد مابينَ العُرقوبينْ كثيراً » ، وهو « الفحج » أيضاً ، ويكتب بالألف ، لأنك تقولُ : « امرأةٌ فَجْواء » و « الدَّخس » وَجَعٌ يصيب الفرس في مُشاش حافره . و « الواهِنُ » الضعيف . يقال : « وَهَنَ العظم يهِن وَهْناً ووَهَانَةً » ، و « رجل واهِنٌ » في الأُمور والعمل و « موهُونٌ » في العظم والبدَن . والوَهْنُ ؛ ساعة تمضي من الليل ، تقول : لقيته وهناً ، أي بعد وهن من الليل ، و « الواهِن » عِرْق مستبطِن حبل العاتق إلى الكَتِف و « الشَّطا » انشقاقٌ العصب . و « الشَّطا » عظم لاصق بالرَّكبة ، فإذا زاد قيل : « شطا يشطو شطياً » ، يقولُ : ليس بهذا الفرس شيءٌ يُعابُ به ، بل هو سليمٌ من كلِّ

ماذ كر وقوله : « يجري فتكبو الريح » أي تسقط لوجهها ؛ يقال : « كبا يكبو » إذا سقط. يقول : هذا الفرسُ إذا جرى تـكبو الريحُ في غاياته . وهـذه استعارة،و «الغايات » جمع غاية و « الغاية » : أمد كلِّ شيء . وقوله «حَسْرَى» أي كالَّة ، ومنه قول الله عز اسمه : (يَنقَلِبْ إليك البصرُ خاسِئاً وهو حَسيرٌ[1]) أي ؛ كالّ . وقوله : « تلُوذُ » أي تدورُ ؛ يقالُ : « لاذ فلان بفـلان » أي دارَ به واستند إليه « والجرائيم » الأُصُول. و « الجُرثُومة » أصلُ الشجرة تَجْمعُ الريحُ إليه التراب. قال ذو الرُّمة :

وحائل من سفير الحول جائلة حولَ الجرائيم في ألوانه شَهَبُ[2]

---

(١) سورة الملك ، الآية : ٤

(٢) ديوانه ، ص : ١٩ ، من بائيته المجهرة المشهورة، واللسان : (كثب ، سفر)وهو من أبيات يصف بها ثورا أمَّ مرتعه فأصابه المطر ، فلجأ إلى أرطاة ، وقبله :

فبات ضيفاً إلى أرطاة مرتـكم من الـكثيب بها دِفْءٌ ومُحْتَجَبُ

ميلاءَ من معدن الصيرانِ قاصيةٍ أبعارهنّ على أهدافها كُثَبُ

وحائل من سفير ... البيت .

يقول : عندما أصاب هذا الثور المطر لجأ إلى أرطاة = وهي شجرة من شجر الرمـل طيب الرائحة = في كثيب ، فأصاب بها دفئاً ومحتجبا يقيه . وميلاء : من صفة الأرطاة ، أي معوجة . والصيران : جمع صوار ، وهو القطيع من بقر الوحش . ومعدن الصيران : المكان الذي ألفته لطول اختلافها إليه . وقاصية : بعيدة متنحية فهي في مأمن من الريح . والأهداف ، جمع هدف ، وهو ما أشرف من الرمل . والكثب : جمع كثبة ، وهي كل مجتمع من طعام ، أو تراب أو غيره بعد أن يكون قليلا .

والسفير : ما سقط من ورق العشب ، سمي بذلك لأن الريح تسفره ؛ أي تكنسه .والحائل : الذي تغير لونه فحال وابيض بعد أن كان أخضر . وفي الأصل : « حامـل » - تصحيف . والجرائيم : أصول الشجر . والشهب : البياض .

و « جُرثومةُ كل قومٍ » أصلهم. وفي الحديث: الأزدُ جُرثومة العرب فمن أضَلَّ نسبه فليأتِهم . و « السحا » ضَربٌ من الشجرِ[1] .

* * *

٨٧ تَظُنُّه . وَهوَ يُرَى ـ مُحتَجِباً   عن العيون إن ذَأَى أو إن رَدَى

٨٨ إذا اجتهدَتَ نَظَراً في إثْرِه   قلتَ سَنَاً أوْمَضَ أو برقٌ خَفا

قوله : « تَظُنُّه وهو يُرى محتَجِباً » أي تظنه في حالِ رؤيتِك له محتَجِباً ؛ يعني، أن سرعته في جَرْيِهِ تجوزُ بصرك . فتحسَبُه أنت مُحتَجِباً عن العيون و « الذأيُ » و « الرَديان » ضربان من عَـدْو الفرس . يقال : « ذأى يَذْأى ذَأْياً » و « رَدَى يَرْدِي رَدَياناً » ؛ إذا رَجَم الأرضَ بحوافره . و « الغرابُ يَرْدي » إذا حَجَل . وقوله : « إذا اجتهدت » . أي بلغت غاية المجهود و « الإثرُ » لغتان ؛ إثر وأثر . و « السنا » من الضوء مقصورٌ ، يُكتَبُ بالياء عَلى مَذْهَبِ مَنْ يُثنيه سَنَيان ، وبالألف عَلَى مذهب من يقولُ في تثنيته : سَنَوان. و «السَّناء» من المجدِ ممدودٌ . وقولُه : « أوْمَض » أي تلألأ . و « خفا »

---

(١) أغفل شرح البيت ٨٦ :

لو اعتسفْتَ الأرضَ فوقَ مَتنِهِ   تجوبُها ما خِفْتَ أن يشكو الوجى

عسف الأرض واعتسفها : ركب مفاوزها وقطعها بغير قصد ولا هداية ولا توخي صوب ولا طريق مسلوك . والمتن : الظهر . وجاب الأرض : طوفها وخرقها . والوجى : أن يبلغ الوجع إلى باطن الرسغ . يصفه بالأيد واحتمال مشاقّ السير .

أي ظَهَر . يقال « خَفَيْتُ الشيء » ؛ إذا أظهرتَهُ [1]. و « أَخْفَيته » إذا سترته

قال امرؤ القيس بن حُجر :

خفاهنَّ مِن أنفاقِهن كأنما خفاهُنَّ وَدْقٌ من سَحابٍ مُركب [2]

وقَرأ بعضُ القرّاء (إنْ السَّاعَةَ آتيةٌ أكادُ أخفيها [3]) بفتح الألف .

فهذا من خَفَيْتُ أخفي إذا أظْهَرتَ الشيء ،فيكون المعنى ؛ أكاد أظهرُها لكم

ومَن قرأ (أكاد أُخفيها) بضم الألف ، أراد أكاد أسترها ،لأنه مِنْ « أخفى يُخفي » .

* * *

(١) كأنه يريد أن « خفا البرق » بائي ، وفي اللسان : « خفا البرق يخفو خَفْواً وخُفُوّاً : لمع . وخفا الشيء خَفْوا : ظهر . وخفى الشيءَ خَفْيا وخُفِيّا : أظهره واستخرجه » . اه

(٢) ديوانه ، ص : ٥١ ، اللسان (خفا) . وقال في اللسان : « قال ابن بري : الذي وقع في شعر امرىء القيس : « من عشيٍّ مجلِّب » . اه وهو كما قال . وقبله :

ترى الفأرَ في مُسْتَنْقَعِ القاعِ لاحبا على جَدَدِ الصحراء من شدٍّ مُلْهِبِ

خفاهن ... البيت

يصف فرسا ، « يقول : مر الفرس له حفيف لشدة جريه فخرجت الفئرة من جحرتهن ظننه مطرا ، فخشين أن يسيل الارض فيغرقهن فيبرزن من القاع – وهو بطن الأرض – إلى الجدد ، وهو ما استوى من الأرض وصلب . والملهب : الشديد العدو والملتهب في الجري .

قوله : « خفاهن » أي أظهرهن ، أي استخرجهن . والأنفاق : الأسراب تحت الأرض . والودق : المطر ، وخصّ مطر العشي لأنه أغزر . والمجلّب : الذي تسمع له جلبة لشدة وقعه . ويروى « مخلب » بالخاء ، وهو الذي يتحلب بالمطر . وصف العشي به على معنى النسب ، أي ودق من عشي فيه جلبة للمطر أو تحلب » . اه من شرح الديوان .

(٣) سورة طه ، الآية : ١٥ ، وفي البحر المحيط ٦ / ٢٣٢ أن فتح الألف قراءة أبي الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد ، ورويت عن ابن كثير وعاصم .

٥٩ كأنما الجَوزاء في أرْساغِه والنَّجْم في جَبهته إذا بدا

٦٠ هُما عَتادي الكافيان فَقْدَ مَنْ أعْدَدْتُه ، فلْيَنأَ عني مَنْ نأى

« الجَوزاء » مِنَ البروجِ ؛ وهو رأسُ الثَّوْرِ ، وصُورَتها أنَّها أربعةُ كواكب متعادلة ، شَبَّهَ بها أرساغ الفرسِ إذا كانَ مُحَجَّلاً . و « الأرْساغ » جمعُ رُسْغ ، وهو مفصل ما بين الساعدِ إلى الكفِّ من الإنسان ، والساق إلى القدم ، وكذلك هو من الدوابِّ . والعَرَبُ تُسمى الثُّرَيَّا نجماً . وعن مُجاهد رحمه الله في قولِه عزَّ وجلَّ : (والنَّجْم إذا هوى)(١) أنَّ النجمَ ههنا الثُّرَيَّا [و « الثريا »](٢) مُصَغَّرَةٌ ، ومُكَبَّرَةٌ « ثَرْوَى »(٣) وسميت الثُّريا لكثرة نجومها . واشتقاقها من الثَّرْوَةِ ؛ وهو كثرةُ المالِ . و « الجبهةُ » ما بين الحاجِبَيْن إلى النَّاصِيَةِ . ويُقال : « جَبَهْتُ فلاناً »(٤) إذا استقبلْتَهُ بكلام فيه غِلظةٌ . و « الجبهة » اسم(٥) يَقَعُ عَلَى الخيلِ . وفي الحديث « ليس في الجبهة صدقة » والجبهةُ : اسمُ كَوْكَبٍ ، يريدُ أنَّ هذا الفَرَسَ أغَرُّ ، فشبَّهَ الغُرَّةَ في جبهتِه بالثُّرَيَّا . وبدا يبدو إذا ظهر . و « العَتاد » ما يُتخذُ عُدَّةً(٦) للدَّهرِ ويكون بحضرةِ مَنْ يتَّخِذُه ، ويُقال : « عتد الشيء

(١) سورة النجم الآية : ١

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، وأظن الناسخ أسقطها عمدا ظنا منه أنها تكرار لما قبلها .

(٣) في الأصل : « ثرواء » - ممدود ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) في الأصل : « أجبهت فلانا » - وصوابه ما أثبتناه ، انظر اللسان : (جبه) .

(٥) في الأصل : « اسيم » - تصحيف .

(٦) في الأصل : « عدوة » - تصحيف صوابه ما أثبتنا .

يعتدّ فهو عَتيد » ؛ إذا حضر . ومنه قوله عز اسمه : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)(١) أي حاضر ، وقوله : « الكافيان فقدْ مَنْ جَعَلْتُهُ عدّةً »(٢) . وقوله : « فلينأ » أي فَلْيَبْعُد . يقول : إن هذا السيفَ والفرسَ إذا كانا بحضرتي لم أُفكِّرْ فيمنْ بَعُدَ عني مِنْ عَشيرَتي ، ولم أُبالِ مع مع حُضورِهما بحُضُورِ مَنْ سِواهما .

* * *

٩١ فَإِنْ سَمِعْتَ بِرَحىً مَنْصُوبَةً لِلْحَرْبِ فَاعْلَمْ أَنَّني قُطْبُ الرَّحى

٩٢ وإنْ رأَيْتَ نارَ حَرْبٍ تَلْتَظي فَاعْلَمْ بِأَنّي مُسْعِرٌ ذاكَ اللَّظى

أراد بقوله : « برحىً منصوبةٍ » رحى الحرب ، وهي مقصورة تكتب بالياء ، لأنك تقول : في تثنيتها رَحَيانِ . قال الشاعر(٣) :

كأنّا غُدْوَةً وبني أبينا بِجَنْبِ عُنيزةٍ رَحَيا مُديرِ(٤)

(١) سورة ق الآية : ١٨

(٢) كذا في الأصل ، وفي الكلام سقط ، ولعل صواب العبارة : « الكافيان فقد من أعددته » أي يكفياني فقد من جماعته عدة » ، أو نحو ذلك مما لا يخرج عن معناه .

(٣) هو مهلهل بن ربيعة .

(٤) ديوانه ، ص : ٥٢ ، الكامل ، ص : ٥٥٥ ، الأغاني ، ٤ / ١٤٦ ، والبيت من قصيدة له قالها بعدما أدرك بثأر أخيه كليب ، ومطلعها :

أليلتنا بذي حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري

وهي من جيد شعره ، وكان أبو العلاء المعري يعجب بها ، فقال في رسالة الغفران على لسان ابن القارح يخاطب مهلهلا وهو في أطباق الجحيم : «لو لم آسف عليك إلا لأجل قصيدتك التي أولها :

أليلتنا . . . البيت

لكانت جديرة أن تطيل الأسف عليك » . اهـ

وعنيزة : من أودية اليمامة .

وكذلك « الرّحى » التي يطحن بها ، يقول : فإن سَمِعْتَ بحربٍ فاعلمْ أنني قُطْبُها . و « القُطْب » الحَديدَةُ التي تدورُ عليها « الرحى » ، وأنشدوا في هذا المعنى :

فدُرْنا كما دارَتْ عَلَى قُطْبِها الرحى ‏ ‏ ‏ ودارت عَلَى هامِ الرجالِ الصَّفَائِـحُ[1]

وقَوْلُه : « وإنْ رَأَيْتَ نـار موت[2] تَلْتَظِي » أي تَتَقَدُ و « تلتظي » تفتعل من اللظى وهو اللهبُ ، ومنه سُميت جهنمُ « لظى » ، لالتِهابِها — أعاذنا اللهُ منها — وقولُه : « فاعْلم بِأنّي مُسْعِرٌ » أي مُوقِدٌ . يقال : فلانٌ « مسعر حرب » أي مُوقِدُها[3] . و « السعير » اسم من أسماء جهنم ، والسّاعُورُ كهيئةِ التَّنُّور يُحفَرُ في الأرضِ . ويقال : « سُعِرَ الرجلُ فهو مسعُورٌ » ؛ إذا ضربه السَّمُومُ والعطشُ . يقول : إذا رأيْتَ نار حربٍ تَلْتَهِبُ فأنا مُوقدُهـا ومُسعِرُ لظاها .

* * *

---

(١) لم نعرف قائل البيت ، ولا وقفنا عليه في مكان آخر . وفي الأصل : « ... الصائح » - تصحيف صوابه ما أثبتناه . والصفائح : جمع صفيحة وهي السيف العريض .

(٢) كذا جاءت في هذا الموضع من الأصل : « نارموت » ، وهي في نص بيت ابن دريد : « نار حرب » .

(٣) يقال : « هو مِسْعَرَ حرب » بكسر الميم وفتح العين - بزنة اسم الآلة - إذا كان يؤرثها ، أي تحمى به الحرب ، ومنه حديث أبي بصير : ويلمّه مِسْعَرَ حرب لو كان له أصحاب! يصفه بالمبالغة في الحرب والنجدة . إلا أن ما في بيت ابن دريد : « مُسْعِرُ ذاك اللظى » بزنة اسم الفاعل ، لا يجوز فيه غير ذلك .

٩٣ خَيْرُ النُّفُوسِ السَّائِلاتُ جَهْرَةً ... عَلَى ظُبَاتِ المُرْهَفَاتِ والقَنَا

٩٤ إنَّ العِرَاقَ لَمْ أُفَارِقْ أَهْلَه ... عَنْ شَنَإٍ أَصَدَّني ولا قِلَى

أصل « خَيْر : أَخْيَرُ » ولكن كَثُرَ استعمالُ العرب لها في المدح، فحذفُوا منها الألفَ، وأَجْرَوْها مجرى الثلاثي، والأصلُ فيهما الرُّباعي، وقالوا : « هذا خيرٌ من هذا » ولو جاؤوا به على الأصل لقالُوا : « هذا أكثرُ خيْراً مِنْ هذا » . إذا كانَ أَصْلُ خيرٍ أخير، وإذا صغروا؛ ردُّوا ما حَذَفُوا لِكَثْرَةِ الاستعمال، لأنه لم يكثُرْ استعمالُهم له مُصَغَّراً .

ومعنى « جهرة » أي إعلاناً . و « ظُباة » جمع ظُبَة . و « ظُبَةُ السيف » حدُّه ، وتُجمعُ أيضاً « ظُبَةٌ » عَلَى « ظُبِين » في النصبِ والخفضِ ، وفي الرفع « ظُبُون » قال الشاعر[1] :

يَرى الراؤُون بالشفراتِ منا ... كنار أبي حُباحب والظبينا[2]

و « المرهفاتُ » السيوفُ الرِّقاقُ . يقال : « رَهفَ السيفُ يَرْهُفُ رَهَافَةً ، [فهو رهيف][3] » وقلما يستعملُ إلاَّ مُرْهَفاً و « القنَا » الرِّماحُ يقولُ :

---

(١) هو الكميت بن زيد الأسدي .

(٢) اللسان (حبحب ، ظبا) .

قال في اللسان : « قال أبو حنيفة : نار حباحب ، ونار أبي حباحب : الشرر الذي يسقط من الزناد ... ، قال الجوهري : وربما قالوا : نار أبي حباحب ، وهو ذباب يطير بالليل كأنه نار » ثم أنشد بيت الكميت، وقال عقبه : « وإنما ترك الكميت صرفه لأن جعل « حباحب » اسما لمؤنث». وانظر تتمة المادة في اللسان .

(٣) كأن التبريزى أخذ هذا الشرح والعبارة التي بعده من كلام أبي منصور الأزهري في التهذيب ، وقد حكاه في اللسان : (رهف) . وفي الأصل : « أرهف السيف . . » والصواب من اللسان ، وزدت ما بين معكفين منه لتتم فائده الكلام .

« خَيرُ النفوسِ نَفْسٌ تخرُجُ عَلَى ما ذَكَرَ في الحرُوب والوقائع ، ومنه قولُ الشاعر[(١)] :

تسيلُ عَلَى حدِّ السيوف نفوسُنا وليست عَلَى غيرِ السيوف تَسيلُ

---

(١) البيت من قصيدة مختارة اختلف في قائلها ، والمشهور أنها للسموءل بن عادياء اليهودي ، وقال السيوطي في شرح شواهد المغني ،ص ١٨٠ : « وقيل لابنه شريح حكاه في الأغاني ،وقيل: لدكين - حكاه في الأغاني أيضاً، وقيل لعبدالملك بن عبد الرحيم الحارثي، وقيل للجّلاج الحارثي ».اه ثم اورد القصيدة .

وذكر أبو عبيد البكري في اللآلي ، ص ٥٩٥ : « اختلف الناس في نسبتها ، فمنهم من ينسبها إلى عبد الله بن عبد الرحمن — وقيل : عبد الرحيم - الأزدي ، شاعر شامي إسلامي ، ومنهم من يعزوها إلى السموءل بن غريض بن عادياء اليهودي » . ثم أورد قوله فيها :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل

وعقب عليه ، ص ٥٩٧ بقوله : « وأول من نطق بهذا اللفظ « مات فلان حتف أنفه » رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدلّ أن الشعر إسلامي . » . اه

وعلق عليه محققه الأستاذ عبد العزيز الميمني بقوله : « يدلّ على إسلاميتـــه - كما قال الأسود - قوله :

فـإن بني الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حـولهم وتجـول

فان الديان هو يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث الأصغر بن مالك بن ربيعة، بن كعب بن الحارث الأكبر ، فثبت أنه للحارثي المذكور » . اه وهي حجة مستقصاة .

والقصيدة للسموءل في ديوانه ، ص ١٢ وأمالي القالي ١ / ٢٧٢ ، والعقد ١ / ١٢٤ . البيان والتبيين ٣ / والحماسة ١ / ٥٦ (شرح التبريزي) ، وقال : وقيل لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . وأما المرزوقي فنسبها في شرحه للحماسة ١ / ١١٠ ، للحارثي المذكور وقال : ويقال إنه للسموءل بن عادياء اليهودي ، وهي لدكين الراجز في الشعراء ، ص ٣٨٨ ، وعيون الأخبار ٣ / ١٧٢ ، والأغاني ٨ / ١٥٠ ، ولشريح بن السموءل في الأغاني ٦ / ٨٤ ، وللجلاج الحارثي في العيني ٢ / ٧٦

و « العِراق » أصلُه في كلامِ العرب شاطِىء البحر وسُميت العراق عِراقاً ، لأنها عَلَى شساطىء دِجلَة والفُرات . وقيل : « العِراقُ » فِناء الدارِ ، فهو مُتوسطٌ بينَ الدارِ والطريق، و « العراقُ » مُتَوَسِّطٌ بينَ الريفِ والقرية و « أهلُه » سَاكِنُوه ، وأهلُ الإسلام مَنْ دَان به . وجمع الأهل أهلُون وأهالي ، وجاءت الياء التي في الأهالي عِوَضاً من الواو التي في أهلون . و « الشنأ » : البغض . يقالُ : شَنَأْتُه أَشْنَؤُه شَنأً ، إذا أبغَضْتُه . و « القِلى » قد ذكرتُه ، فأغنى ذلك عن تكرارِه .

* * *

٩٥ ولا اطبى عينيَ مُذ فارقتُهم ❊ شيءٌ يروقُ الطرف من هذا الورىٰ

٩٦ همُ الشَّناخِيبُ المُنيفاتُ الذُّرىٰ ❊ والناسُ أدحالٌ سِواهم وهُوىٰ

قوله « ولا اطبى عيني مذ فارقتهم » أي ؛ ولا استمالَ عيني؛ يقال: « أطباني إلى كذا يُطبيني » أي ؛ دَعاني واستمالَني . ومنه قول ذي الرُّمة :

ثُم اطَّباها خريرُ الماء ينسكبُ (١)

---

(١) ديوانه ، ص ١٥ ، من قصيدته البائية المشهورة ، وقد مر منها فيما سلف بيتان ، وصانه:

حتى إذا الوحش في أهضام موردها ❊ تغيبت رابهـا من خيفةٍ ريب

فعرضت طلقـا أعناقها فرقاً ❊ ثم اطباها . . . . —

و « فارقتهم » أي؛ باينتهم. و« يَرُوق » أي؛ يُعجِبُ. يقال: راقني الشيء يَروقُني، أي؛ عجبني و « الطَّرفُ »العينُ قال الشاعر(١) :

فغضَّ الطَّرْفَ إنك من تميمٍ   فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا(٢)

و « الورى » الناسُ. و « الشَّناخيب » رؤس الجبال. الواحد شُنْخُوب. و « المُنيفاتُ » المُرتفِعات، ويقال: قَصْرٌ مُنيف وجبلٌ مُنيفٌ إذا كان مُرتَفِعاً. و « الذرى أعلى الجبال، و « الأدحال » جمعُ دحل، وهو شيء

— فأقبل الحقب والأكباد ناشزة   فوق الشراسيف من أحشائها تجب

حتى إذا زلجت عن كل حنجرة   إلى الغليل ولم يقصَعْنَهُ نُغَبُ

رمى فأخطأ والأقدارُ غالبةٌ   فانصَعْنَ والويل هجِّيراه والحَرَبُ

يصف قطيعا من الحمر ورد الماء وقد كمن له الصياد ، الأهضام : الأماكن المطمئنة ، وعرضت أعناقها : أمالتها تنظر خشية أن يكون ثمة صائد قد كمن لها ، واطباها : دعاها ، والحقب : جمع أحقب وهي الحمر التي يكون في موضع الحقب منها بياض . والشراسيف : أضلاع الصدر التي تشرف على البطن ؛ يقول : إن أكبادها ارتفعت فوق الشراسيف خوفا من حس الصائد . وتجب : تخفق . وزلجت : زلقت ، والغليل : حرارة العطش . يقول وضعت أفواهها في الماء ووصل شيء منها إلى أجوافها ، ولم يقصعنه : أي لم يكسرنه ، يريد العطش ، أي لم ترو غليلها بعد . والنغب : جمع نغبة ، وهي الجرعة . و « نغب » واقعة فاعلا لـ « زلجت » في أول البيت . وانصعن : تفرقن ، هجيراه : عادته ، يقول : عندما فاته الصيد جعل يدعو بالويل والحرب ..

(١) هو جرير

(٢) البيت من قصيدته المشهورة بـ « الدامغة » ، وهو كثير الدوران في الكتب ، ديوانه ، ص : ٧٥ ، الخزانة ١ / ٤٩ ، اللآلي ، ص ٨٦٢ ، النقائض ، ص : ٤٤٦ ، طبقات فحول الشعراء ، ص : ٣٢٠ وغيرها كثير . وكذا جاء في الأصل : « . . من تميم » وهو خطأ صوابه : « من نمير » كما في المصادر السالفة ، فانه يهجو بهذه القصيدة الراعي ، وهو من بني نمير بن عامر بن صعصعة .

شَبيهٌ بالسَّرَبِ، يُجعل تحتَ الجُرُفِ. أو في جنبِ البئرِ أسفلها أو نحو ذلك من المواردِ والمناهِلِ. وكثيرٌ من بيوتِ الأعراب يُجعَلُ لها دُخْل تدخل فيه المرأةُ وتَستترُ فيه إذا دخلَ عليها الأجانبُ منها. و « الهُوى » جمع هُوَّة؛ وهي حَفرةٌ يتسع أسفلُها ويضيقُ أعلاها.

* * *

٩٧ هُم البُحورُ زاخِرٌ آذيُّهـــا

والناسُ ضَحْضَاحٌ ثغابٌ وأَضَىٰ

٩٨ إنْ كُنْتُ أَبصرْتُ لهُم مِن بعدِهِم

مِثلاً فأَغضَيْتُ على وَخْزِ السَّفـــا

قوله « هم البُحورُ » أي هم في الجُود والسماحَةِ بمنزلة البحورِ في حالِ كونِها زاخرةً و « الزاخِر » الماء الكثيرُ، والآذِيُّ المَوْجُ. يقولُ: هم بحورٌ، و « الناسُ ضَحْضَاحٌ ثغاب ». و « الضَّحْضَاحُ » الماءُ القليلُ الذي لا يُغرَفُ إلاّ بالكَفِّ و « الثِّغاب جمع ثغب »؛ وهو ما يَستَنْقِـعُ من الماء في صَخرَةٍ. ومن كلام ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه ما شبهت ما غبَرَ مِن الدنيـا إلاّ بثَغْبٍ ذَهَبَ صَفْوُهُ وبقي كَدَرُه، و « الأَضى » جمعُ أضاةٍ؛ وهي الغُدْرَانُ الصغارُ بمنزلةِ الأحواضِ. وقوله: « إنْ كنت أبصَرْتُ لهم مِثلاً، يريدُ أهلَ العِراقِ، وهم الذينَ ذَكَرَ أولاً. يقـال: هذا مِثلٌ لهذا، أي شَبيهٌ له

و « أَغْضَيْتُ » قارَبْتُ ما بينَ جُفُوني . يقال : « أغضى فلان عن كذا » ؛ إذا كَسَرَ جفونَه عنه . قال امرؤ القيس بن حجر[1] :

يُغضي حياءً ويُغضى مِنْ مَهابتهِ فمـا يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسم

و « الوخز » الطعنةُ غيرُ النافِذةِ . يقالُ : وَخَزَه بالرمحِ يَخِزُه وَخزاً ؛ إذا طعنه بسرعة ، فإذا دعى القومَ إلى طعام فجاؤوا أربعةً أربعة . قلتَ : « جاؤوا وخزاً » . و إذا جاؤوا عصبة ، قلتَ : « جاؤوا فايجة » أي : فوجاً . و « الوَخْزُ » الشيء القليلُ و « السفا » شوكُ البهمى ، الواحدةَ سَفاةٌ « و « السفى » في غير هذا ؛ ما سَفَتْ عليه الرياح وغَيَّرَتْهُ . وهو مقصورٌ يُكتب بالياء ، لأنك تقول : سَفَتْ الريحُ تسفي سَفْياً و « السفا » : أيضاً خِفّةُ الناصِيَة ، وهو مقصور ويكتب بالألف[2] لأنك تقول : « بغلة » سفواء ، و « السفا » أيضاً جمع سَفاة وهي تُرابُ البئر . وأنشدوا[3] :

---

(١) كذا قال ، وهو عجيب من القول ، فالمشهور أن البيت للفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما ، ونسبه أبو الفرج في الأغاني وأورد قبله :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

وقال : « والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام التي أولها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفـه والحـل والحرم

ونسبه في الوساطة ، ص ٢٩٦ للحزين أيضاً . وأورده الشريف المرتضى في أماليه ١ / ٦٨ في جملة أبيات الفرزدق ، ثم عاد فأورده ١ / ٥٢٥ مشككاً في نسبته إليه .

(٢) في الأصل « بالواو »

(٣) البيت لابي ذؤيب الهذلي .

وقد أرسلوا فُرّاطهم فتأثَّلوا   قَليباً سَفَاها كالإماء القَواعِدِ [1]

والسَفَاء بالمد ؛ الخِفَّةُ والطيْشُ . ويقال أيضاً : بغلةٌ سَفْواء : إذا كانت سريعةً وأُنشدوا [2] :

جاءَت به معتجراً ببرده   سفواء تردى بنسيج وحده [3]

* * *

٩٩ حَاشَا الأميرَيْنِ اللذيْنِ أَوْفَدا   عَليَّ ظِلاً مِنْ نعيمٍ قد صَفَا

١٠٠ هما اللَّذان أَثبتا لي أَمَلاً   قد وَقَفَ اليأسُ به عَلى شفى

« حاشَا » من حروف الاستثناء ، يجوزلك في الاسم الذي تستثنيه الخفضُ والنصبُ . فأما « الخفض » فعلى أنْ تجعلَ حاشا حرفاً من حروف الجر . وأمَّا « النصب » فعلى أن تنصبَ به بالاستثناء ؛ لأن لَفظَه لفظُ الفعل. يقال : حاشى يحاشِي ؛ أي تَرك . ومنه قول النابغة :

ولا أرى فاعلاً في الناسِ يُشبهُهُ   ولا أُحاشي من الأَقوام من أحَدِ [4]

---

(١) ديوان الهذليين ص ١٢٢ ، ومطلع القصيدة :

اعاذل إن الرزء مثل ابن مالك   زهير وأمثال ابن نضلة واقد

المقاييس « سفا » اللسان « سفا »

(٢) البيت لدكين بن رجاء الفقيمي في عمر بن هبيرة ، ودكين راجز اسلامي ، قال ياقوت في معجم الأدباء : ٤ / ١٦٨ ، وهو غير دكين بن سعد الدارمي الراجز .

(٣) الجمهرة والمقاييس والاساس « سفو » . اللسان « سفا »

(٤) ديوانه ص : ٣٢ ، مختار الشعر الجاهلي : ١ / ١٥١ ، شرح القصائد العشر للتبريزي ص : ٣١٥ ، شرح المفصل : ٨ / ٤٨ ، الاساس « حشو » . ويستشهدون به على كون « حاشا » فعلاً تاماً متصرفاً

فكأن المعنى جاء القومُ حاشا زيداً « أي ؛ أتركُ زيداً » أو أستثني زيداً ، وما أشبهَ ذلك .

والأميران اللذان استثناهُما : عبدُ الله بنُ محمد بنِ ميكالَ ، وابنه أبو العباس اسماعيل بنُ عبد الله بن محمد بنِ ميكال ، وهما من أمراء كُور فارس ، وإنما مدحَهما بهذا في وقت كَوْنِه عندَهما . و « اللذان » من نعتِ الأميرَيْنِ ، وكُتب بلامَيْنِ للفرق بين التثْنيةِ والجمع ، إذا قلت : الذين . وقولُه : « أوفدا » أي أرْسَلا . يقال : « أوْفَد فلانٌ » إليَّ كذا وكذا ، أي أرسلَه و « ضَفا » أي كَثُر ، من قولِهم : فَرَسٌ ضَافٍ ، إذا كانَ طويلَ الذَيْلِ سابغَه ، ومنه قولُ امرئ القيس :

وأنت إذا استدبرتَه سدَّ فَرْجَه … بِضَافٍ فويق[1] الأرضِ ليس بأعزلِ[2]

وقَوله : « أثبتالي أملاً » أي ؛ أصَّلاه وأسَّساه و « الأمل » المراد . أي ؛ حققَا أملي . وقد كانَ اليأسُ وقفَ به عَلَى شفَى ، أي على آخرِ أمْرِ . والعربُ تقول : هو عَلَى شفَا جُرفٍ . يقال ذلك لمن كانَ عَلى غَرَرٍ مِنْ أمره . و « الشِفاء مكسورُ الأول ممدود ؛ هو الدواء .

* * *

١٠١ تلافيَا العيشَ الذي رَنَّقهُ … صَرفُ الزمانِ فاستساغ ، وصفَا

١٠٢ واجريا ماءَ الحيَا لي رَغداً … فاهتزَّ غُصني بعد ما كانَ ذَوَى

« تلافيا » العيش ، أي أتيَا على قصْدٍ . يُقالُ : تلافَيْتُ الشيء ؛ إذا أتَيْتَه

---

(١) في الأصل « فوق » والصواب ما أثبتناه .

(٢) ديوانه ص : ٢٣ ، مختار الشعر الجاهلي ص : ٣٢ . اللسان : « ضفا » .

على قَصْدٍ منك لإصلاحه . و « رَنَّقَه » كدَّرَه ؛ والرَّنق ؛ الماء الكَدِرُ و « صَرفُ الزمان » تقلُّبُه من حالٍ إلى حال و « استساغ » أيْ سَلِسَ . يقال : ساغَ شرابه في الحلق سَوْغاً ، وأساغَهُ الله إساغَةً . و « العيش » المطعَمُ والمَشْرَب وما تكونُ به الحياةُ . و « ماء الحيا » يعني ماء الخِصب و « الحيا » من الخِصب مقصورٌ ، يُكتب بالألف ، لأن قبلَ آخره ياء و « الحياء » من الاستحياء ممدود و « الحياء » حياء الناقةِ ممدود أيضاً . و « الرَغد » الذي يأتيك على رفق وترفُّهٍ . قال الله تعالى : (وكلا منها رَغداً حيث شِئتما[1]) ويقال : قومٌ رَغَدٌ ونساءٌ رَغَدٌ أي ؛ مرفَّهون . وقوله : « فاهتزَّ » ، أي طال ، يقال : اهتزَّ النبات ؛ إذا طالَ ، واهتزّت الأرضُ ؛ إذا أنبتت ، والهزّ ؛ تحريك الشيء ، كما تهزُ القَناةُ فتهتزُّ ، وفي بعض الكلام : كريمٌ هُزَّ فاهتزَّ ، والهزيز في السير ؛ تحريك الإبل وخفّتها . يقال : هزّها السير ، وهزّها الحادي ، والهزْهزة ؛ تحريكُ البلايا في الحرب ، والجمع هزاهِز . و « الغُصن » ما تَشعَّبَ من ساق الشَّجَرِ ، والجمع الغُصون و « وذوى » أي جفَّ وقد ذكرته قبلُ .

* * *

١٠٣ هما اللّذان سموا بناظري   من بعدِ إغضائي عَلَى لَذْعِ القَذى

١٠٤ هما اللّذان عَمرا لي جانِبا   من الرجاء كان قِدما قد عفا

قولُه : « سَموا » أي ارتفعا . يقال : سما فلانُ بفلان ؛ إذا رَفَعه وارتفع به . فمعنى سَموا بناظري ، أي ؛ رَفَعا ناظِري . « مِن بعدِ إغضائي » ؛ أي بعدَ ما قاربت من جُفوني لأُطبقَها عَلى لذعِ القذى ، و « اللّذعُ » الحُرقة .

(١) سورة البقرة ، الآية : (٣٥) وكان في الأصل « فكلا . . » والصواب ما أثبتناه .

يقال: لَذَعَتْهُ النارُ تَلْذَعُه ؛ إذا أحْرَقَتْهُ ، ولَذَعْتُ فُلاناً بأسناني ، والطيرُ يَلْذَعُ بجَناحِه لَذْعاً ؛ إذا رَفَّ ، ثم حرّكَ جناحَيْه شيئاً قليلاً ، وبعيرٌ ملذُوع؛ إذا كانَ في فَخِذِه كَيَّةٌ خفيفةٌ ، ومِنَ اللّذْع اشتق اسمُ اللَّوْذَعِيِّ ؛ وهو الظريفُ الذكي، فكأنه يُلْذَعُ بالنار من ذكائِه وحرارتِه و « القذى » جمع قَذاةٍ ؛ وهو ما يقعُ في العين ، يقال: قَذَتْ عينُه تقْذى قذى . وإن أردتَ أنَّها ألقتِ القذىٰ قُلْتَ : أقذَتْ عينُه . وقالَ الأَصمعيُّ ؛ قَذَّىٰ فلانٌ عينه بالتشديد فهو يقُذِّيها تَقْذِيَةً ؟ إذا أخْرَجَ مافيها من القذىٰ وقوله : « عمرا لي جانباً » ، أي أصْلَحاه . يقالُ : عَمَر فلانٌ منزله ؛ إذا أصلَحهُ وسكّنه . وقد ذَكَرْتُ « الرجا » عَلَى حالِ مَدِّه وقَصْره فيما مضىٰ ، فأغنىٰ ذلك عن إعادتِه في هذا الموضع . و « قِدْماً » أي قديماً و « عفَا » أي دَرَسَ . يقال : عفا الرَّبْعُ ؛ إذا درس ، وعفا الجرح ؛ إذا دَرَس ولم يبقَ منه شيءٌ ، و « العافية » ؛ دُرُوس البلاء ؛ وعفاَ اللهُ عنك ، أي محا عنك ذَنْبَكَ ، وفلانٌ يَستعفِي من كذا ؛ إذا سأل ألاّ يكونَ له فيه أثَرٌ . وزعمَ قومٌ : أن أصلَ العفو التَّغْطِيةُ والسترُ عَلَى الشيء . ومنه عَفَتِ الدِّيار ؛ إذا غطّى عليها الدروسُ ، وعفى الشَّعْرُ ؛ إذا كَثُر وغطَّى بكَثْرَتِهِ ما تحتَه . وولدُ الحمارِ ؛ « عفو » لكثْرةِ ما عليه من الشَّعْرِ . وعُنفوان الشباب؛ أوّله ، ومعناه؛ وقتُ كمالِهِ وكَثْرَتِهِ ؛ ومعنىٰ حديث النَّبيِّ ﷺ : احفُوا الشوارب واعفُوا اللحىٰ (١) أي؛ كثروها بأن تتركوها ، ولا تأْخذوا منها شيئاً .

* * *

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر

١٠٥ وقلَّداني مِنَّةً لو قُرِنَتْ : بِشُكرِ أهْلِ الأرضِ عني ما وَفى

١٠٦ بالعُشرِ من مِعشارِها وكان كالـ حُسوة في آذيِّ بحرٍ قد طَمى

« قَلَّداني » أي جعلا لي في موضع القِلادةِ مِنَّةً . و « المِنَّةُ » ما يُمَنُّ به عَلَى الإنسانِ من المعروفِ ، وقولُه : « لو قُرِنَتْ » أي لو عُدِلَت وقِيسَتْ بشُكرِ أهل الأرْضِ كُلِّهِم لم يكنْ ذلك معادِلاً لها ، و « الشُّكرُ » عِرْفانُ الإحْسانِ . والعامَّةُ لا تُفَرِّقُ بين الحَمدِ والشُّكرِ ، وبينَهما فَرْقٌ . فالحمد ؛ الثناء عَلَى الرَّجُلِ بما فيه من حُسْنٍ . تقولُ : حَمِدْتُ الرجل ؛ إذا أثْنَيْتَ عليه بِكَرَمٍ أو حَسَبٍ أو غير ذلك . والشُّكْرُ له ؛ الثَّناء عليه بمعروف أوْلاه ، وقد يُوضَعُ الحَمْدُ مكانَ الشُّكرِ ، فيقالُ : حَمِدْتُهُ عَلَى معرُوفه عندي ، كما يُقالُ : شكرتُ له معرُوفَه عندي . ولا يُوضَعُ الشُّكرُ مَوْضَعَ الحَمْدِ ؛ لا يُقالُ شَكَرْتُ له شُجاعَتَه وما أشبهَ هذا . والشكورُ مِنَ الدَّوابِّ ، الذي يكفيه العلف القليل ، وَيَشْكُرُ : قبيلةٌ . وأنشدُوا في هذا :

ويشكُرُ لا تستطيع الوفاء وتعجزُ يشكرُ أن يغدروا(١)

و « العُشرُ والمِعشار والعَشِيرُ » واحد . وهو جزء من عَشَرَةٍ من الشيء ، فكأنه قال : لو قُرِنَتْ المِنَّةُ التي قلدَاني بشُكرِ أهل الأرْضِ لم

---

(١) ذيل اللآلي ص ٩٤ ، ولم ينسبه ، ورواية البيت هناك :

ويشكر لا تستطيع الوفـــاء ولو رامت الغـدر لم تغـدر

وثمة أكثر من قبيلة باسم يشكر ، انظر الاشتقاق لابن دريد ص : ٢٦٧ - ٣٣٩ - ٥١٣ .

يَفِ ذلك بعُشر عَشيرتها ، وهو جزء من مائة منها . وكانَ — يعني الشكر — كالحُسْوَة ، وهي ملء الفَم من الإناء . و « الآذِي » الموج . و « طمى » أي امْتلأ وارتفع . وسُمي البحرُ بحراً لِسعتِه . ومنه قولهُم : فلانٌ مُتبحِّرٌ في العلمِ ، أي متَّسِعُ فيه .

* * *

١٠٧ إنَّ ابنَ ميكالَ الأَميرَ انتاشَنِي من بعدِ ما قد كُنْتُ كالشَّيْءِ اللَّقَى

١٠٨ وَمَدَّ ضَبْعَيَّ أبو العباسِ مِنْ بعدِ انقباضِ الذَّرْعِ والباعِ الوَزَى

« ابنُ ميكال » يعني عبدَ الله بنَ محمد ابنِ ميكالَ و « انتـاشَنِي » تناوَلَنِي وأَخَذَنِي مُقرَّباً إليه ، وهو « افتعل » من النَّوْشِ . يقالُ : انتاشَتِ الظبية الأَراكَ ، إذا تناوَلَتْهُ . قال الله عز اسمه : (وأَنّىٰ لهم التناوُشُ من مكانٍ بعيدٍ)[١] أي ؛ وكيفَ لهم التناولُ من مكانٍ بعيدٍ . ويقالُ : نُشْتُ[٢] الرجلَ نَوْشاً ؛ إذا أَنلتُهُ خيراً وقولُهُ : « مِن بعدِ ما قد كنت كالشيء « اللَّقىٰ » وهو المُطَّرَحُ الذي لا يَعْبأُ به أَحـدٌ و « الضَّبع » وَسَطُ العَضُدِ يقال : أَخذت بضَبْعِ فلانٍ ؛ إذا أَخذت بوسط عَضُدِه و « الضَّبْعَةُ . » اللحمةُ التي تـكون تحت الإِبْط . وفي الحديث (أَن رسول الله ﷺ مدّ ضبعيه إلى السماء) واضْطَبَعَ فلانٌ بالثوبِ ؛ إذا تَأَبَّطَ به . « وأبو العبـــاس » هو اسمعيل بنُ عبـدِ اللهِ بنِ محمد بنِ ميكالَ

(١) سورة سبأ ، الاية : ٥٢
(٢) في الأصل « تنشت » والتصويب من اللسان « نوش »

و « انقباضُ الذَّرْعِ » ضدُّ انبساطِهِ . و « الذَّرْعُ » من قولهم: ضِقتُ بهذا الأمرِ ذَرْعاً ، ولم يكنْ له قوةٌ تنبسِطُ إليه ، وأصله من الذّراع الذي يُمَدُّ فيُتَناوَلُ به الشيء . ومنه قولهم : فلانٌ ذريعتي إلى كذا أي به أتوصلُ إليه ، والسُّلَّمُ ذَرِيعتي إلى السَّطْحِ ، و « الذَّريعة » جملٌ يُرْسَلُ فيَرْعى مع الوَحْشِ حتى يأْنس به ، ثم يُسْتَتَرُ به ، ويصادُ الصيدُ. والبعيرُ ذريعةٌ إلى الصَّيْدِ . و « الباع والبَوْع » لُغتان ، والرجلُ يبُوعُ بمالِه ، إذا بَسَطَ به باعَه ، و « الوَزَى » القصيرُ . يقال : رجلٌ وَزى وامرأةٌ وَزاةٌ .

* * *

١٠٩ ذاكَ الذي مازالَ يَسمُو للعلى ... بفعلِه حتى علا فوقَ العُلى

١١٠ لو كان يَرْقى أحدٌ بجُودِهِ ... ومَجدِه إلى السماء لَارْتقى

١١١ ما إنْ أتى بحرَ نَداهُ مُعْتَفٍ ... على أُوارَى عَلَمٍ إلاّ ارْتوى(١)

١١٢ نَفْسي الفِداءِ لِأميريَّ ومَنْ ... تحتَ السماء لِأميريَّ الفِدا

١١٣ لازالَ شُكرِي لهما مُواصِلاً ... لفظِيَ أو يَعتاقَنِي صَرفُ المنى

« الفِداء» مكسورُ الأولِ ممدودٌ ، فإن فُتِحَ أولُه قُصِر . قولُه : « لازالَ

(١) زيادة من « م » ولم يكن في الأصل

« الندى » الكرم . و « المعتفي » الطالب للرفد . وقوله « أوارى » أي حرارة . — والأوار : حرارة الشمس والنار . فأوار للتذكير ، وأوراى للتأنيث. والعَلَم» الجبل الصغير وجمعه أعلام و « ارتوى » نهل وشبع .

شُكري لهما مُواصِلاً لَفظِي » أي متصلاً به ، لا أنطقُ بغيرِه ، أو يعتاقني أي يَصرِفني ، وإذا أردْتَ أمراً فصرفك عنه صارفٌ . قلت : عاقني عن الوجهِ الذي أردْتُ عائِقٌ و « صَرْفُ المَنىٰ » تصرف من حالٍ إلى حالٍ و « المَنىٰ » القَدَرُ ، مقصورٌ ، يُكتَبُ بالياء ، يقال : مَنى اللهُ لك ما يَسُرُّكَ أي قدَّره لك . قال الشاعر[1] :

وَلا تَقُولَنْ لشيءٍ سوف أفعلُه   حتى تبَيَّنَ ما يَمني لك الماني[2]

أي حتى تعرِفَ ما يقدر لك المقدرُ ، والمَنَا الذي يُكالُ به مقصورٌ يُكْتَبُ بالألف لأنك تقولُ في تَثْنِيَتِهِ : مَنَوان .

* * *

---

(١) هو ابن قلابة الهذلي

(٢) ديوان الهذليين : ٣ / ٣٩ ، الخزانة : ٢ / ٣٢٤ المقاييس والاساس واللسان«مني» وقال في اللسان : قال ابن بري فيه : الشعر لسويد بن عامر المصطلقي وهو :

لا تأمن الموت في حل ولا حرم   إن المنايا توافي كل إنسان

واسلك طريقك فيه غير محتشم   حتى تلاقي ما يمني لك الماني

وفي الحديث : أن منشداً أنشد النبي صلى الله عليه وسلم :

لا تأمنَنَّ وإن أمسيت في حرمٍ   حتى تلاقيَ ما يمني بـه المـاني

فالخير والشرُّ مقرونان في قرن   بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الاسلام ! ومطلع القصيدة في ديوان الهذليين:

يادار أعرفها وحشاً منازلها   بين القوائم من رهط فألبان

١١٤ إنَّ الأُلى فارَقْتُ من غيرِ قِلى   ما زاغَ قلبي عنهُمُ ولا هفا

١١٥ لكنَّ لي عَزْماً إذا امْتَطيْتُهُ   لِمُبهَمِ الخَطْبِ فآهُ فانفأى

زعم قومٌ : أن « الأُلى » جمعٌ لا واحدَ له من لفظِهِ و « القِلى » البغضُ. تقول : إن الذين فارقْتُهم ولم يكن ذلك لبغضٍ فيهم ولا مَلالٍ لهم « ما زاغ قلبي عنهم » أي ما مال عنهم. يقال: زاغ يزيغُ زَيْغاً. وقوله: « ولا هفا » أي ولا ذَهَبَ صاعِداً عنهم في الهواء . يقال : هَفَتِ الهَفْوَةُ تهفو هَفْواً ، إذا ذَهبتْ في الهواء : وكذلك إذا حرَّكتِ الريحُ الثوبَ قلتَ : الثوبُ تهفو به الريحُ . و « الهَفوةُ ، الزلة[1] . والظَّليمُ إذا عدا . قلتَ : هَفا . ويقال للريح اللَّيِّنَةِ : هافيةٌ . و « العَزْمُ » ما يُضْمِرُ عليه الرجلُ القلبَ من الأمر أنه فاعلُه . ويقال : ما لِفلانٍ عزيمةٌ ، أي ما يَثْبتُ على أمرٍ يَعْزِمُ عليه . و « امتطَيْتُهُ » أي رَكِبْتُ مَطاه و « المُبْهَمُ » الأمرُ الذي لا يُعرَفُ وجهُهُ . من قولهم : باب مُبْهَم ، إذا انغلقَ ولم يُهتَدَ لفتحِهِ . يقول : لي عزم إذا اتخذته مطية لمبهم الأمر « فآه فانفأى » أي شقَّه وكشفه ، فانشق وظهر ما كان منه خفياً . ويقال: فأَوْت رأْسه بالسيف أي ، شققته . والفأو الشقّ في الجبل .

* * *

(١) في الأصل « بالذال » وهو خطأ .

١١٦ ولو أشاءُ ضَمَّ قُطْرَيْه الصِّبا عليَّ في ظِلِّيْ نَعيم وغِنى

١١٧ ولاعبتْني غادةٌ وَهْنانَةٌ تُضْني وفي تَرْشافِها بُرْءُ الضنى

قوله: « ولو أشاء ضَمَّ قُطْرَيْه الصِّبا » أي؛ ولو أردْتُ، ويُرْوى « ولو أشاء مَدَّ قُطرَيْه » ومعنى « ضَمَّ » أي؛ جَمع. ومَدَّ، أي نَشَر. يقال: مَدَدْتُ الشيء وَمَتَتُّه بمعنى واحد وهو؛ المَدُّ والمَتُّ والمطُّ و « قُطْراه » جانِباه، والقُطْر؛ الناحيةُ، والقُطْرُ في غير هذا، العُودُ الذي يُتَبَخَّرُ به، والقِطر بكسر القاف؛ النُّحاس، و « الصِّبا » الفُتوَّةُ واللهْو. و « ظِلُّ النَّعيم » ما امتدَّ عليه منه و « النَّعيم » الخَفضُ والدَّعة. و « الغِنى » : في المالِ مقصور، وفي الصوت ممدود وتقول: تغنَّى الرجل وتغانى، إذا استغنى. وفي الحديث (ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن)[1] يُريدُ من لم يَستَغْنِ به. وقد حَمَلَهُ بعضُ الناسِ عَلَى حُسن التَّرجيعِ بالصوتِ بالقراءةِ. وليس بشيء. و « الغانية » التي غَنيَت بزَوْجها. وقيل: بحُسْنها. والغَناء مفتوحُ الأول ممدود، الجزاء والكِفايَةُ. يقالُ: فُلانٌ لا يُغْني غَناء فلانٍ، أي، لا يُجزي جَزاءه، ولا يَقُوم مقامه. قال طَرَفَةُ:

ولا تجعَلَنيَّ كامْرىءٍ ليس هَمُّه كهمِّيَ ولايُغْنِي غَنائي ومَشْهَدِي[2]

أي لايقومُ مَقامِي ويَشْهَدُ مَشهدي، و « الغـادَةُ » الفتاةُ الناعمة، وهي الغَيْداء، والرَّجُلُ أغيَدُ. والأغيد: الوسْنَانُ المائِلُ العُنقِ، وفلان يَتَغايَدُ في

---

(١) رواه البخاري، وأحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم.

(٢) المعلقات ص: ٧٣ شرح القصائد العشر للتبريزي ص: ٩٩

مشيَته ، إذا مَالَ . و« الوَهْنَانَةُ » الثقيلَةُ القِيام والقعُودِ . وقيل : الوَهْنَانَة ، الطَّيبَةُ الحديثِ ، و« تُضني » أي تُسقِمُ . و« التَّرشَافُ » التفعال من الرَّشْفِ ، وهو مصُّ الشَفَتَيْن و « وبُرْؤ الضَّنَى ذهاب السَّقم ، أي هي تضني ، وفي تقبيلها البُرْء من السُّقم .

* * *

١١٨ تَفْري بسيفِ لحظها إنْ نظرتْ نظرةَ غضبى منك أَثناء الحشا[(١)]

١١٩ في خدّها روضٌ من الوردِ على الـ نسرين بالأَلحاظِ منها يُجتنى[(٢)]

١٢٠ لَوْ ناجَتِ الأَعْصَمَ لانحطَّ لها طَوْعَ القِيادِ مِنْ شَماريخِ الذُّرى

١٢١ أَوْ صابَتِ القانِتَ في مُخْلَوْلَق مُستصْعَبِ المَسْلَك وَعْرِ المُرْتقى

« نَاجَتْ » أي سَارّت تقول : ناجى فلانٌ فلاناً ، أي سارّه . فأما قولُ الله عزَّ اسمُه : (أَلم يعلموا أَنَّ الله يعلم سرَّهُمْ ونجْويهُمْ[(٣)]) فقد زعم : أصحابُ المعاني : أن النَّجوى ههنا ، السرُّ ، ولكن لمَّا اختلف اللفظانِ جازَ أنْ يأتيَ بهما وإن كان معناهُما واحداً ، كما قالَ اللهُ عزَّ اسمُه : (وغرا بيبُ سود) وجُدَدٌ

---

(١) زيادة من « م » ولم يكن في الاصل

قوله : تفري : تقطع . واللحظ : النظر . وغضبى : مغتاظة ، وأثناء الحشا : ما انثنى منها ، أي ما انعطف . والحشا : الكبد وما اتصل بها .

(٢) زيادة من « م » ولم يكن في الاصل

النسرين : النور الأبيض . والألحاظ : النظرات جمع لحظة ويجتنى : يقتطف .

(٣) سورة التوبه ، الاية : ٧٨

بيض)[1] والغَرابيبُ، هي السودُ. والجُدَد، هي البيضُ. وزَعَمَ قومٌ: أن معنى قوله: يعلَمُ سرَّهم، أي، ما في صدُورِهم، ونجْواهم، أي ما يتناجُون به بينهم، أي يتسارُون به، والأعْصَمَ الوَعْلُ، وإنما سمي أعصَمَ لبياضٍ في رِجليهِ، والأُعْصَمُ، الغُرابُ الذي في جناحِهِ ريشةٌ بيْضاء و« الشَّماريخ» جمعُ شِمراخ، وهو رأس الجبل، والذُّرى جمع ذِروَةٍ، وهي أعلى الجبلِ. وقولُه: « صَابَتْ القانِتَ» أي وافقتْهُ يقال: صَابَ السهمُ وأصاب، إذا وَقَعَ في الرَّمية، وصَابَ السحابُ الموضعَ وأصابَه، إذا مَطَرَه و« القانتُ» القائمُ بالعِبادَةِ المُطيعُ للهِ تعالى، الزاهدُ فيما يَرغَبُ الناسُ فيه مِنْ أُمورِ الدُنيا. و« المُخلولِقُ» الأملَسُ ومنه قيلَ: صَخرَةٌ خَلْقاء، أي مَلْساء. ومَنْ رواه « في مخلولِقٍ» بالحاء غير معْجَمةٍ، فإنما يجعلُه من الحالِقِ، وهو أعلى الجَبلِ « مُسْتَصْعَبٌ» مُسْتَفْعَل من صَعُبَ يصعب إذا لم يطَقْ. و« المَسْلَكُ» المَوْضِعُ الذي يُسْلَكُ فيه و« المرتقى» مفتعل، من رَقَيتُ في السُّلَّمِ أرقَى رُقِياً، إذا صَعِدْتُ فيه: ومنه قولُ اللهِ عز اسمه (أو تَرْقَى في السماءِ)[2] أي أو تَصْعَد في السماء.

* * *

١٢٢ أَلْهاهُ عَن تَسْبيحِهِ وَدِينِهِ   تأنيسُها حتّى تَراهُ قدْ صَبا

١٢٣ كأنّما الصَّهْباءُ مَقطوبٌ بِها   ماءُ جَنَى وَرْدٍ إذا اللّيْلُ عَسا

---

(١) سورة فاطر، الاية: ٢٧ وهي: (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود).

(٢) سورة الإسراء، الاية: ٩٣

« ألهاهُ » شغَلَه ، يقال : ألهاه عن كذا ، أي شَغله عنه . قال الشاعر :

ألهى بَني تَغلِبٍ عن كُلّ مَكْرُمَةٍ ‏ ‏ قَصيدةٌ قالها عمرو بنُ كُلثُومِ (١)

و « التّسْبيحُ » تنزيهُ الله تعالى وتَبرِئتُهُ من كُلِّ مَذْمُومٍ . ومنه قولهم : سبحانَ الله أي تنزيه له وتبرئة من كلِّ سُوء . وقد يكونُ التسبيحُ بمعنى الصلاة يقال : سبَّحْتُ ، أي صلّيت و « دِينه » طاعته ، والدين في غيرِ هذا ؛ الحسابُ ، والدين ؛ العادَةُ . يُقال : ما زَالَ ذلك دِينه ، أي ؛ عادَتهُ . ومنه قَوْلُ المثقبِ العبَديّ :

تَقولُ : إذا دَرَأتُ لها وضِيني ‏ ‏ أهذا دِينهُ أبداً ودِيني ؟ (٢)

أي هذا عادَتهُ أبداً وعادَتي و « تأنيسُها ، أُنسُها وَحَديثُها . و « وصَبَا » من قولهم : صبا الرَّجُلُ يصبو ؛ إذا شابَه بأفعاله أفعالَ الصِّبْيان . وذلك لِمُساعدَتِهِ لِهَواه وخُروجه عن طريق الصَّواب . و « الصَّهْباء » الخمر ، وأحْسِبها سُمِّيَتْ بذلك لِحمرتِها ، مأخوذٌ من الصُهْبَة ؛ وهي لونٌ أحْمَرُ في شعْرِ الرأسِ واللِّحْيَة . وكذلك في ألوان الإبلِ . يقال: بعيرٌ أصْهَبُ وصُهابيٌّ وناقةٌ صَهْباء وصُهابيَّة قال(٣) :

(١) مختصر التهذيب ص : ٣٧٤ ، الكامل ١ / ٩٤ ، الخزانة ٢ / ٣٢٦ وبعده

يفاخرون بها مذ كان أولهم ‏ ‏ يالرجال لفخر غير مسئوم

ان القديم اذا ماضاع آخره ‏ ‏ كساعد فلّه الأيام محطوم

(٢) التهذيب ص : ٣٧٤ ، الكامل ص : ٢٨٣ وبعده

أكل الدهر حلٌّ وارتحال ‏ ‏ أما تبقي عليَّ وما تقيني

(٣) هو طرفة بن العبد

صُهابيَّة العثْنونِ مُوجَدَةَ القَرى   بَعيدَةُ وَخْدِ الرجْلِ موَّارَةُ اليَدِ (١)

و « المَقْطُوبُ » المَزْوجُ . يقالُ : قَطَبْتُ الشَرابَ بالماء ؛ إذا مزجتهُ به و « ماءُ جَنى وَرد » أي يُجنى من الورد طَريًا . و « الجَنى » ما يُجنى من الثِّمار وغيرها و « عَسَا الليل » إذا أظلَمَ . ويقال شيخٌ عاسٍ ؛ إذا طالَ عُمُرُه . يقول : كأن ماء الوَرْدِ مَقْطوبٌ بالخَمْرِ مِنْ فيها .

* * *

١٢٤ يَمْتاحُهُ راشِفُ بَرْدِ ريقِها   بَيْنَ بَياضِ الظَّلْمِ مِنْها وَاللَّمى

١٢٥ سقَى العَقيقَ فالحَزْزَ فالمَلا   إلى النُحَيْتِ فالقُرَيَّاتِ الدُّنا

« يَمْتَاحُهُ » يفتعلُه من المَتْح . والمَتْح ، الاستقاء ، والماتح ، المُستقي . وقد قيل : إنه الذي يَغرِفُ بيدَيهِ من أسفَلِ البِئرِ إذا قَلَّ الماء ؛ والمائح : الذي يمتدُّ بالحبل . و الراشِفُ ؛ المُتناول الشراب بأطْراف شَفَتيهِ . يقال : رَشَفَ فلان الشراب ، يرشفه ؛ إذا مصه بأطراف شفتيه و « الظَّلْمْ » بياض الأسْنان حتى كأنها من شِدَّة البياض يَعلوها سَوادٌ و « اللَّمى » سُمرةٌ في الشفَتَين . يُقالُ : رَجُلٌ ألْمَى وامرأة لمياء . قال ذو الرُّمَّة :

لمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ   وفي اللِّثاتِ وفي أنيابها شَنَبُ (٢)

(١) المعلقات : ٥٥ شرح القصائد العشر : ٦٩

(٢) ديوانه ، ص ٥ ، واللمى : السمرة في الشفة تضرب إلى الخضرة . والحوة : حمرة في الشفة تضرب إلى السواد . والشنب : برودة وعذوبة في الفم ورقة في الأسنان . اللسان « شنب ، لمس ، جوى » المقاييس ٥ / ٢٠٨

و « الشَّنَبُ » رِقَّةٌ في الأسنان مع عُذوبة في الفم . وَرُوي أنَّ رُؤْبة بن العجاج سُئل عن الشنبِ فدعا برُمّانة ، فَعرَكَ حَبَّةً منها بين أصابعه ، وَعَصرَها فقال : هذا .

و « العقيق » مَوْضعٌ بالبصرَة ، والعقيق أيضاً : مَوْضع حَولَ مكّة عن أميال منها . والعقيق : قرية بالمدينـة و « الحُزَيْز والملا والنُحَيت » مواضعُ بالبصرة ونواحيها . والمَلا في غير هذا ، ما اتَّسعَ من الأرض و « والقُرَيّات » جمع قُرَيَّة مُصغَّرَة ؛ وكذلك يُفعَلُ بما كان مثلها من الجُوع ، كقولِكَ : دَراهِمُ فاذا صَغَّرْتَ قلتَ : دُرَيْهِمات ، كأنَّك صَغَّرْتَ دِرْهَماً فَزِدْتَ عليه علامة الجمع . وكذلك ما أشْبَهَ ذلك من الجُوع و « الدُّنا » المتقاربات .

* * *

١٢٦ فَالمِرْبَدالأعلىٰالذي تَلْقىٰ به مَصارِعَ الأُسْدِ بألحاظِ المَها

١٢٧ مَحَلُّ كُلِّ مُقرمٍ سَمتْ بِهِ مَآثِرُ الآباء في فَرْعِ العُلىٰ

« المِرْبَدُ » مَوْضِعٌ معروفٌ بالبصرَةِ . و « مَصارِعُ الأُسْدِ » موضِعُ سُقوطِها عندَ المَوْتِ ، و « الصَّرْعُ » الطَرْحُ بالأرضِ ، و « الألحاظُ » جمعُ لَحْظٍ . واللَّحظ ، النَّظَرُ . يُقالُ : لَحظَهُ بعَيْنِه ، إذا نَظَر و « المَها » مقصورٌ أناثُ بقَرِ الوَحْشِ ، والواحدة مَهاة . وقوله « مَحلُّ كُلِّ مُقْرِمٍ » المحل ، المَوْضِعُ الذي يحلّهُ القَوْمُ للمقامِ ، وأصلُ المُقْرِمِ الفَحْلُ مِنَ الإبل ، ويُوصَفُ بـه السَّيْفُ الـكامِلُ في نَعْتٍ يُنعَتُ به من القُوَّةِ

والشَّجاعةِ والجُودِ والكرمِ وغيرِ ذلك . وأنشدوا في هذا [1] :

إذا مُقْرَمٌ منا ذرا حَدُّ نَابِهِ ... تَخَمَّطَ فِينَا نَابُ آخَرَ مُقْرَمِ [2]

وقولُه : « سَمَتْ بِهِ » أي ارْتَفَعَتْ به . يُقالُ : سما يسمو سُمُوّاً ، إذا ارتَفَعَ و « المآثِرُ » جمعُ مَأْثرةٍ . وهي الصنائعُ الحَسَنَةُ ، والأفعال الرَّضِيَّةُ . و « الفرع » أعلى كلِّ شَيْءٍ ، ومنه فَرَعْتُ رَأْسَ الجَبَلِ أي : عَلَوْتُه ، وفُروعُ الشجر أعَالِي غُصُونِها ، وافْتَرَعْتُ المرأةَ ، إذا افْتَضَضْتها ، وأصله أن يَعْلُوها . والأفْرَعُ الطويلُ الشَّعْرِ ، والمرأةُ فَرْعاء ، والفَرْعُ ، الشَّعْرُ الكثيرُ ، ومنه قول امرئ القَيْس :

وفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أسْوَدَ فاحِمٍ ... أثيثٍ كقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ [3]

* * *

١٢٨ من الأُولى جَوْهَرُهم إذا اعتزوا
من جَوْهَرٍ منه النَّبِيُّ المُصْطَفَى

١٢٩ صلّى عليه اللهُ ماجنَّ الدُّجى
وما جرت في فَلَكٍ شمسُ الضُّحى

قولُه : « مِنَ الأُولى جَوْهَرُهم » أي مِنَ الذين جوهرهم ، أي أصلُهم .

---

(١) لأوس بن حجر بن حزم بن معبد أحد بني أسَيْد ، ويكنى أبا شريح ، شاعر جاهلي ، وزهير راويته .

(٢) ديوانه ، الوساطة : ٢٠٤ ، اللسان « خمط » . سمط اللآلى : ٢٣٥ ، ٤٥٥ ، ٤٨١ ، الخزانة ٣ / ٤٩٥ والتخمط : الغضب والتكبر والأخذ بغلبة ، وأراد : إذا هلك مناسيد قام آخر .

(٣) ديوانه : ١٦

« إذا اعتَزَوا » أي ، انتَسَبُوا . وإذا كانَ الناسُ في حَرْبٍ ، فكل من قال :أنا فلانُ الفلاني ، أوِ ابنُ فلانٍ الفلانِي ، فقد اعتَزا إليه . ويقالُ : عَزوتُ فلاناً أعزوهُ ، إذا نَسَبْتَهُ إلى أبيهِ . وأنشدوا في هذا[1] :

أطلبْ أبا نَخْلَةَ مَنْ أبُوكا ؟ فقد سألنا عنك من يعزُوكا[2]

« إلى أبٍ . فكُلُّهم ينفيكا »

وإنما أرادَ أبو بكرٍ رحمه الله على أنَّ هـذا مِنَ الَّذين إنِ انتَسَبُوا كانُوا هم والنبي (صلوات الله عليه وآله وسلامُهُ) مِنْ جوْهَرٍ واحدٍ . و « النبي » يُهْمَزُ . ولا يُهمز : فمن هَمَزَهُ أخذه من أنْبَأَ يُنْبِئُ فهو مُنْبِئٌ ونَبِيءٌ فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ . وزَعَم قومٌ : أنه غيرُ مهموزٍ ، واستَدَلُّوا عَلَى ذلك بأنه في الجمع على أنبياء . كَصَفِيٍّ وأصْفياء ، وتَقِيٍّ وأتقياء . قالُوا : ولو كانَ مهموزاً لكان جمعه نُبَآء . كظَرِيفٍ وظُرَفَاء ، وكريمٍ وكُرَماء . ويكونُ مِنَ نبأ ينبو ؛ إذا ارتَفَع . فقيلَ : نبيٌ لارتِفَاعِه وعُلُوِّهِ . و « المُصْطَفَى » مفتعل من الصَّفَا ، وكانَ الأصلُ مصفَى ، ولـكن رُدَّتِ التاءُ طاءً للمجاوَرَةِ وقد ذَكَرْتُ هذا فيما تَقَدَّمَ فكَرِهْتُ إعادتَهُ هَهُنا .

* * *

١٣٠ جَوْنٌ أعارَتْهُ الجَنُوبُ جانباً مِنْها وَواصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصَّبا

(١) لبخدج أو لشريك بن حبان العنبري يهجو ابا نخيلة الراجز .

(٢) اللسان « نخل ، أبي » مع بعض اختلاف .

١٣١ نأى يمانيًا فلمّا انتشرت أحضانُهُ وامتدّ كِسْراه غطا

« الجَوْنُ » ههنا الأسْوَدُ ، والجَوْنُ الأبيضُ، وهو من الأضْداد. ولكنّه إنما أرادَ الأسودَ ههنا ، لأنّه إنما يدعو لهذه المواضع أن يَسقيها سَحابٌ هذه صِفتهُ و « أعارَتهُ » من العاريةِ و « الجَنوبُ » اسمٌ من أسماءِ الرِّياحِ . والرياح أربع : « الشمال » ؛ وهي تأتي من ناحيةِ الشّامِ وذلك عن يَمينِك إذا استقبلْتَ قِبلةَ العِراقِ ، وهي إذا كانت في الصَّيْفِ حارّةً . بارحٌ وجمعُها بوارحُ ، والجَنوب تُقابلُها . و « الصَّبا » تأتي من مَطلِعِ الشّمسِ وهي القَبول . والدَّبُور تُقابلُها ، وكلُّ ريحٍ بينَ مَهبّيْ رِيحَيْنِ ؛ فهي « نكباء » سُمّيَتْ بذلك لأنّها نَكَبَتْ أي عَدَلَتْ عن مهابِّ هذه الأربعِ . و « واصِبٌ » فاعِلٌ مِنَ الوَصيّةِ . و « صَوْبُه » مطَرُه. واستخصَّ الجنوبَ والصَّبا بذلك، لأنّ الجنوب تجلبُ الغَيْمَ والصَّبا تفرّقُهُ . فوَصفَ أنَّ الصَّبا واصبٌ قطرَ هذا السَّحاب ، فقطرُهُ دائمٌ لا ينقطِعُ . وقوله : « نأى يمانيًا » ، أي طلع من ناحية اليمنِ . يقال: نأى فلانٌ بكذا ؛ إذا استقلَّ به . « فلما انتشرت أحضانُهُ » أي نواحيه. وأصل الحضنِ ما دون الإبط إلى الكَشْح ، ومنه الاحتضانُ ، وهو أن تحملَ الشيء وتجعلَه في حِضنكَ كما تحضن المرأة ولدها في أحد شِقَّيْها . والحمامة تَحضُنُ على بيضها و « امتد » أي انبسَطَ و « الكِسران » تثنية كِسْر ، و « الكِسر ؛ الطّنَب، وهذه استعارة. و « غطا » انبسط ويقال: غطا الليلُ يغطو غَطْوًا ، إذا انبسطت ظلمتُه.

* * *

١٣٢ فَجَلَّلَ الأُفْقَ فَكُلُّ جانِبٍ — مِنْها كأَنْ من قطره المُزْن حيا

١٣٣ إذا خَبَتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لهاَ — رِيحُ الصَّبا تَشُبُّ مِنْها ما خبا

قوله : « جَلَّل » أي غطى ، ومنه سُمّيَ جُلُّ الدابةِ جُلاًّ ، لأنها تجلّل به ، أي تُغطّى ، وأنشدوا في هذا [١] :

لا يُبالي عاقلٌ ما لَبِسا — جُلُّ سُوء لا يَعيبُ الفَرَسا [٢]

فكلُّ جانبٍ منها ، أي من هذه المواضعِ « كأَنْ مِنْ قطْرِه » أي ، من صَوْبِه « المُزْنُ حيا » والحيا قد ذكرته أنه الخِصب . وهو مقصورٌ يُكتب بالألفِ . وإنما لم يكتبوه بالياء ، لأنَّ قبلَ آخرِه ياء ، فكرِهوا الجمع بين ياءين . وقولُه : « خَبَتْ برُوقُه » أي طفئت ، من قولهم : خَبَتِ النار تخبو ، إذا سكَن لَهَبُها . فإذا لم يبقَ منها شيءٌ قيل : هَمَدَتْ تَهْمد هُموداً . و « اعتَنَّت » افتعلت ، من عنَّ يعنُّ ، إذا عَرَضَ ، أي إذا خبا البرقُ عرَضت له ريحُ الصَّبا « تشُبُّ منها ما خَبا » أي ، تُوقِد ما سَكَن منها ، من قولهم : شَبَبْتُ النارَ أشبُّها شبًّا ، إذا أوقدتَها . ومنه قول امرىء القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها — مصابيحُ رهبانٍ تُشَبُّ لقفّالِ [٣]

أي تُوقَد لِقفّالٍ ؛ وهم الراجعون من السفَرِ .

* * *

(١) للعجاج

(٢) ٢ / ١٤٨ / ١٤٦ / الأمالي)

(٣) ديوانه ص : ٣١ ، الخزانة ١ / ٤٧

١٣٤ وإنْ وَنَتْ رُعودُه حَدا بها راعِي الجَنوبِ فحدَتْ كما حدا

١٣٥ كأنَّ في أحضانِه وبَرْكِه بَرْكاً تَداعى بينَ سَجْرٍ ووَحى

« وَنَتْ » أي فَتَرتْ وقصَّرت. ومنه قوله عز اسمه : (ولا تنيا في ذكري)(١) أي : ولا تفتُرا ولا تُقصِّرا . و « الحادي » اسمٌ للفاعلِ من حَدا يحدو : وهو السائق الحاضُّ على السَيْرِ . يقولُ : إن فترت رعودُه حضَّها سائقٌ من الجَنوبِ فحدتْ ، أي فعلَتْ كما فَعلَ . وقوله : « كأنَّ في أحضانه وبركه » يعني في أحضانِ هذا الأُفقِ . وإن شئتَ كانَ مردُوداً على السحابِ و « أحضانه » نواحيه من أطرافِه و « البَرْك » الأولُ الصَّدرُ و « البَرْك » الثاني ، الإبل . يقال لجماعةِ الإبلِ : بَرْكٌ . و « تَدَاعى » أي تتداعى ، فأدغمَ التاء في التاء و « السَّجرُ » الحنينُ . و « الوَحَى الصوتُ » . يقول : فكأنَّ في أطرافِ هذا السحابِ ووسطه إبلاً يدعو بعضُها بعضاً .

* * *

١٣٦ لم تَرَ كالمُزنِ سَواماً بُهَّلا تَحْسَبُهـا مَرْعِيَّةً وهي سُدى

١٣٧ فطَبَّقَ الأرضَ فكُلُّ بُقْعةٍ منها تقولُ : الغَيْثُ في هاتَا ثَوى

« السَّوام » الإبلُ الراعِيةُ و « المُسيم » الراعي ، والإبلُ السائمة التي تَسْتَوِمُ الكلأَ سَوْماً ، والرعاةُ يسُومُونَها ؛ إذا رَعَوْها . و « البُهَّلُ » جمع باهِل ؛ وهي المُطْلَقَةُ بغيرِ راعٍ . والرعي : أكلُ الماشية الكلأ . والرِعاية ؛

(١) سورة طه ، الآية : ٤٢

فِعلُ الراعي . وباتَ فلانٌ يرعى النجومَ ؛ أي ينظرُ إليها . وتقولُ : راعِني سَمْعَكَ أي احفظْ ما أقولُ وانظرْه ، و« السُدى » المهملة التي لا راعيَ لها ، وكلُّ شيءٍ مُهمَلٍ فهو سُدى . وقوله : « طبَّقَ الأرضَ » أي غطَّاها بصَوْبِه « فكُلُّ بقعةٍ منها » أي من الأرضِ « تقول : الغيث » أي المطرُ . « في هاتا » أي في هذه « ثوى » أي أقامَ . يقال : ثوى فلانٌ بمكانِ كذا وكذا ؛ إذا أقامَ به . و منه قولُه [١] :

آذنتنا بِبينِها أسماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثَواءُ [٢]

أي مُقيم تُملُّ منه الإقامة .

وَ« طبَّق » يجوز أن يكون « فعَّل » من أطبق إذا غطَّى . ويقال : أطْبَقْتَ الصحْفَةَ وَشِبْهَهَا ، إذا غطَّيتها ، والسمواتُ طِباقٌ بعضُها فوقَ بعضٍ ، وكلُّ واحدٍ من الطِّباقِ ؛ طَبقَةٌ و « الطَّبَقُ » الحالُ . ويقالُ : كان فلانٌ في الدنيا على طَبقاتٍ شتَّى . أي طبقاتٍ وحالاتٍ مختلفةٍ . قال الله تعالى : (لتركبُنَّ طبقاً عن طبَقٍ) [٣] أي ؛ حالاً بعد حالٍ .

* * *

١٣٨ يقولُ للأجْرازِ لمااستوْسَقت ... بِسوْقِـهِ ثِقي بِرِيٍّ وحيا

١٣٩ فأوْسعَ الأحْدابَ سيْباً مُحسِباً ... وطبَّق البُطْنَانَ بالماءِ الرَّوى

---

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكري

(٢) الملقات ص : ١٦٧ وهو مطلع معلقته ، طبقات فحول الشعراء ص ١٢٧

(٣) سوره الانشقاق ، الآية : ١٩ .

قولُه: « يقولُ » يعني الغيث ، و « الأجْراز » جمع جُرْز ؛ وهي الأرض التي لا ينبتُ فيها شيء؛ و « استوْسقت » أي ؛ حملَتْ ما يكفيها من الماء . وقوله : « بسوْقِه » أي بما ساقَ اليها من الخصب . و « ثقي » أي اطمئني . « ريٍّ » أي امتلاء و « حيَا » أي خِصب . وقوله : « فأوْسع الأحدابَ » من قولِهم : أوْسعْتُ فلاناً من كذا وكذا ؛ إذا أعطيته سعةً منه . و « الأحداب » جمعُ حَدْب ؛ وهو ما ارتفع من الأرضِ و « السَيْب » العطاء و « المُحْسِب » الكافي ومنه قوله : حَسْبِيَ اللهُ ؛ أي يكفيني اللهُ . قال الشاعرُ (١) :

إذا كانَتِ الهيْجاء وانشقَّتِ العصاَ ... فحَسْبُكَ والضحاكَ سَيْفٌ مهنَّدُ (٢)

أي يكفيكَ ويكفي الضحاكَ سَيْفٌ مُهنَّد . و « طَبَّق » أي غطى . و « البُطْنَان » ما تطامنَ مِنَ الأرض ، أي غطى البُطنانَ بالماء « الرَّوى » أي الكثير .

* * *

١٤٠ كأنَّما البيداءُ غِبَّ صَوْبه ... بحرٌ طمى تيارُه ثم سَجَا

١٤١ ذاكَ الجدا لا زالَ مخصوصاً به ... قومٌ هُم للأرضِ غيْثٌ وَجدَا

« البَيْدَاء » المفازة؛ وهي الأرضُ التي لا يُوجدُ بها الماء . و « غِبَّ صَوْبه »

---

(١) في الأمالي ٢ / ٢٦٦ أنه جرير . وعلق الاستاذ الميمني في ذيل السمط (٦٥) على ذلك بقوله : إنه لم يعزه أحد إلى جرير ولا وجد في شعره ، وإنما هو من عائر الشعر وأخاف أن أبا علي وهم فيه هنا أه .

(٢) شرح المفصل ٢ / ٥١ ، المغني ٢ / ١٣٥ ، واستشهد به على جواز احتمال نصب الضحاك على أنه مفعول به أو مفعول معه ، الأمالي ٢ / ٢٦٦ ، اللسان « هيج . عصا » .

منصوبٌ على الظرفِ ، وهو من ظروفِ الزمانِ . ومعنى غِبَّ صوبه ؛ آخِرَ صوبه . ويُقالُ : غَبَّتِ الأمور ؛ إذا صارَتْ إلى أواخرها و « الغِبُّ » وِرْدُ يوم ٍ وتَرْكُ يوم ٍ . وتقولُ : زُرْ غِباً تَزْدَدْ حُبا (١) ، قال الشاعر :

إذا شِئْتَ أن تُقْلا فزُرْ مُتواتِراً   وإنْ شئت أن تزدادَ حُباً فزُرْ غِبَّا

ويُقال في غير هــذا المعنى : غَبَّ اللحم غُبوباً وهو غابٌّ ، إذا تغَيَّر و « صَوْبُ » المطر ، ما جادَ منه . يقول : كأنما البيداء آخِر صَوب هذا المطر « بحرٌ طمَى تيَّارُه » أي امتلأ تياره . و « تياره » ما عَظُم من مَوْجه . وقوله : « سَجا » أي سكن . ويقال : يومٌ ساجٍ وسَجْسَجٌ ؛ إذا كان ساكِناً لا حَرَّ فيه ولا برَد ، بل هو ساكن و « والجدا » الأولُ مقصورٌ يكتب بالألفِ ، لأنه من جَدا يجدو ، وأجدى يُجدي ؛ إذا أعطى ، فأما الجَدا الذي في آخر البيت ، فيُحْتَمل أن يكون أراد به الجدا بالمد ؛ الذي هو الغَنَاء . من قول العرب : إن فُلاناً لقليل الجَداءِ عنك ، فقويَ في نفسي لما في تكرير المعنى من العيب و « مخصوص » مفعول ، من خَصَصْتُه بكذا وأخصصْتُه به ؛ إذا أفردْته به دونَ غيره . وقوله : « هم للأرض غَيْث » أي يقومون في الجَدْب بجودهم مقامَ الغيث والكلأ . و «الكلأ» العشب .

* * *

(١) هو حديث رواه البزار ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة ، والبزار والبيهقي عن أبي ذر ، والطبراني في الكبير والحاكم عن حبيب بن مسلمة الفهري .

١٤٢ لَسْتُ إذا ما بهظتني غَمْرَةٌ ... مِمَّن يقولُ بلغَ السَّيلُ الزُّبى

١٤٣ وإنْ ثوتْ بينَ ضُلُوعي زفرَةٌ ... تملأُ ما بين الرَّجا إلى الرَّجا

« بهظتني » أي شقَّت عليَّ . يقال : بهظني هذا الأمر ، أي ثَقُل عليَّ وبلغ مني مَشقة . و « الغمرَة » مرتكب الهَول ، والغمرة أيضاً : الانهماك في الباطل، وفلان في غمرة لهوٍ ، وغَمْرَة الموت شدته ، و « الغمير » : نبات أخضر قد غمره اليبس ، والمغامر : الذي يرمي بنفسه في هَولٍ من الأمر ، والغمْر : الماء الكثير ، وسُمي السيدُ الكثير العطاء ، غَمْراً وفرس غمر ، كثير الجَرْي . وقوله « ممن يقول : بلغ السيل الزُبى » مَثل يقال عند شدة الأمر وبلوغ غايته .

ورُوي أن عثمانَ بن عفان(١) رضي الله عنه كتب إلى عليٍّ عليه السلام حين حُصِرَ : أمَّا بعدُ فقد بلَغ السيلُ الزُّبى ، وجاوَزَ الحزامُ الطُّبْيين ، فإذا أتاك كتابي هذا فأقبلْ إليَّ ؛ عليَّ كنتَ أم لي ، ثم تمثل بقول الشاعر : (٢)

فإنْ كُنْتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ ... وإلا فأدرِكْني ولمَّا أُمزَّقِ

و « الزُبى » جمع زُبية ؛ وهي حُفرةٌ تحفرُ للأسد في مكانٍ عالٍ ، وليس يبلغُها إلاالسيلُ العظيم . ويقال : بلغ السيَّلُ الزبى يبلغ بُلوغاً ، وأبلغْتُه أنا ، وبلَّغْتُه إبلاغاً وتبليغاً . ويُقال : لك في هذا الشيء بلْغة ، أي كفايةٌ ، وشيء بالغٌ ، أي جَيِّد ، والمُبالَغة ، أن تبلغَ جهدَك في العمل . وقوله « ثوَتْ » أي أقامت .

---

(١) زهر الآداب ١ / ٣٤ ، الطبقات : ٢٣٢ ، الكامل ١ / ١١ .

(٢) هو الممزق العبدي ، واسمه شأس بن نهار ، وسمي بالممزق لهذا البيت ، وهو من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر من سعاية بلغته عنه وهي في الأصمعيات : ٤٧

يقول: لستُ ممن يفعلُ ماذكرتُ وإن أقامتْ بينَ ضلوعي زَفرة. و «الزفرةُ» والزفير، هو أن يمتلىء صدرُ الانسان غمّاً فيُكثِرَ الزفير والتأوّه لذلك. و «الرَّجا» الجانبُ، مقصورٌ، وتثنيته رَجَوان، و «الرَّجاء» نقيضُ اليأس ممدود. والإرجاء من قولهم: أرجأتُ الشيء إرجاء، إذا أخّرته. ومنه سُميت المُرجئة، لأنهم أخروا العمل. وزعمَ قومٌ: أن المرجئة الذين تركوا القطعَ لأهل الكبائر إذا ماتوا غير تائبينَ بعذاب أو مغفرة، قالوا: يُرجأ أمرهم، والحكمُ لله تعالى، وزعم قوم: أنّ المرجئة الذين أخّروا عَلياً وأرجأوا أمره، ولم يعدّوهُ تابعاً.

* * *

١٤٤ نَهنَهتُها مكظومَةً حتى يُرى ... مُخضَوضِعاً منها الّذي كان طغا

١٤٥ ولا أقولُ إن عرتني نكبةٌ ... قولَ القنوطِ انقدَّ في الجوفِ السَّلى

«نَهنَهتُها» أي كففتُها. يقال: نهنهتُ فلاناً نهنهةً، إذا كففتهُ وزجرتهُ و «المكظومة» التي كُظِمتْ، يقال: كَظمَ الرَّجلُ غَيظَهُ، إذا تجرعه، وكظم البعيرُ جِرّته، والكظائمُ جروفٌ تُحفَرُ، فيجري فيها الماء من بلدٍ إلى بلدٍ، وكاظمة موضع بالبادية و «مُخضَوضِعاً» مفعوعِلاً من خضَع يخضَع خُضوعاً، إذا ذلَّ وانخضع، والخضوعُ الذُّل، ورجُلٌ أخضعُ وامرأةٌ خضعاء: وهما الراضيانِ بالذلّ. والخَضيعةُ: مَعركةُ القتالِ لأنَّ الأقرانَ يَخضَعُ بعضُهم لبعض. وقيل: هي غُبارُ المعركة، والخضيعةُ: الصوتُ الذي يُسمعُ من بطنِ الدابةِ. وقوله: «طغا» أي جاوزَ القدْرَ. كما طغا الماء على قومِ نوحٍ (النبي صلوات الله على سيدنا محمد

نبيِّنا وعليه) . والطُغْيانُ والطُغوان ، لغتان . يقالانِ لكلِ شيءٍ جاوزَ القَدْرَ والفِعْل منه « طغوت وطغيت » . وقوله « عَرتني » أي غَشِيَتْني وأصابَتْني ، وعَراهُ البَرْدُ ، وعَرَتْهُ الحمَّى ، واعتراهُ الهَمُّ . ومنه قوله عز اسمه : (إن نقول إلا أعتراكَ بعضُ آلهتنا بسوءٍ)[1] أي أصابكَ بخَبلٍ ، وكلُّ ما نابَكَ فقد عَراكَ يعرُوكَ عَرْواً . قالَ الراعي :[2]

قالَتْ خُلَيْدَةُ : ماعَراكَ ؟ ولَمْ تكُنْ بعدَ الرُقاد عن الشؤُون سؤُولا[3]

يريدُ بقوله « ماعراكَ » ؟ ما نَزلَ بكَ ؟ ونحو ذلكَ .

و « النَكْبَةُ » المُصيبَةُ . يقالُ : أصابَتْ فلاناً نكبة ، إذا أصابَتْهُ مُصيبة

و « القَنوط » اليائس ، ومنه قول الله عز اسمه :(لا تَقْنَطُوا من رحمة الله[4]) .

و « انقَدَّ » : أي انشقَّ وانقطَعَ . و « السَّلى » المَشِيمةُ التي تتعلقُ مع الوَلَدِ . فإذا انقَدَّ في البطن ، وبقي منه شيءٌ ، عَسُرَ خروج الولد وخِيفَ على النُفَساء من ذلكَ الهَلاكُ . وقال أبو العباس : سَلى الشاةِ مقصورٌ يكْتَبُ بالياء ، لأنه يقالُ : شاةٌ سَلْياء ، وكتابتهُ على اللفظِ بالألفِ جائزٌ . فأما سَلاَ من السَلوِ ؛ فبالألف لاغير .

* * *

(١) سورة هود ، الاية : ٥٤ .

(٢) هو عبيد بن حصين النجدي كان من وجوه قومه ومن رجال العرب ، وكان يقال في شعره : كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ؛ أي لا يحتذي شعر شاعر ، وقصته مع جرير مشهورة.

(٣) البيت من قصيدة يشكو فيها من السعاة ،أنشدها عبد الملك بن مروان . وهي مذكورة بكاملها في الجمهرة : ١٧٢ - ١٧٦ ، وفي الخزانة ١ /٣٠٤ - ٣٠٥ قال: إن عدتها(٨٩) بيتاً ، وقد ذكر بعضها في الكامل ٢ / ١١٨ ، والطبقات : ٤٣٩

(٤) سورة الزمر ، الاية : ٥٣ .

١٤٦ قَدْ مَارَسَتْ مِنِي الخطوبُ مَارِساً   يُساوِرُ الهَوْلَ إذا الهولُ عَلا

١٤٧ لي التواءٌ إنْ مُعادِيَّ التوَى   ولي استِواءٌ إن مُواليَّ استوَى

« الممارسة » من قولهم : مَارستُ الرَّجل أمارسُه مِراساً ومُمارسة ، اذا صاحبتهُ وشادَدْته . و « والخُطُوب » جمع خَطْب ؛ وهو ما يَمُرُّ على الانسان في عمره من المكاره والأمورِ العظام . والمَرِس ؛ الشديد المِراس . وقوله : « يساور الهول » أي يُعالي الهولَ ويطاوله . ويقال : سُرت كذا ، أي علوْت عليه ، ومنه قوْل الشاعر :

سُرتُ إليه من إعالي السور [1]

أي ، ارتفعتُ . و « الهوْل » المخافَةُ من الأمرِ ما تدري مايهجُمُ عليك منه ، كَهوْلِ البحر وماأشبهه . ويقال : هالَ الأمرُ يَهولُ فهو أمرٌ هائل . ولا يُقال : أمْرٌ مُهول ، والتّهاويل ؛ التّصاوير ، والهَالَة ؛ دارة القمر ، وهالة ؛ اسم امرأةِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلب ، والهـالَةُ الألْيَةُ ونحوها تُذابُ ، والهَيْل ؛ مصدر هَالَ يهيلُ هَيْلاً . و « الالتواء » الافتعالُ من الليّ . يقال : لَوَى يَلوي ليّاً . وأصله لَوْيا ، فقُلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء التي بعدَها فصارت ليّـاً و « المعادي » : المُفاعِلُ من العَداوَة . و « الاسْتِواء » الافتعالُ من السواء ويُقال : استوَى على السرير ؛ إذا جَلَسَ عليه . وأما قولهعزَّ اسمه :(ثم استوى على العرش [2]) فقال قومٌ : معناه استوْلى . فيقال لهؤلاء أيضاً : قد كان

---

(١) الأساس « سور »

(٢) سورة الأعراف ، الاية : (٥٤) .

مُستَوْلياً عليه . وزَعم قومٌ : أنَّ الاستواء هٰهنا حُلول ، والله تعالى مُنَزَّه عن الحُلول ، تعالى عُلواً كبيراً .

والوجْهُ المُختار أن يكون استوى : علا ، وتكونُ صِفة فِعل لم يكُنْ عزَّ وجلَّ يوصفُ بها قبلُ . « الموالي » هو الذي يُوالي على الشي ويُعاقب بفعله .

* * *

١٤٨ طَعْمِي الشَّرِيُّ[١] للعَدُوِّ تارَةً والرَّاحُ والأَرْيُ لِمَنْ وَدِّي ابتغى

١٤٩ لَدْنٌ إذا لُوينتُ سَهْلٌ مَعْطِفي أَلْوَى إذا خُوشِنْتُ مَرْهُوبُ الشَّذا

قولُه : « طَعْمِي » أي مَذَاقِي ، والطَّعم : الذَّوقُ ، والعربُ تقولُ : مُرُّ الطَّعْمِ وحُلُو الطعم . ويقال : طَعِمْتُ وأنا أَطْعَمُ إذا أكلتُ طعاماً و « الشري » شجرُ الحَنظَلِ . والعربُ تَضْرِبُ به المَثَلَ في المَرارَةِ . و « العَدُوُّ : المعادِي » . و « تارة » وقتاً وحِيناً . و « الأَرْيُ » العَسَلُ الأبيَضُ ، والطِّرْمُ والطارِمُ والطِّرِيم ، كلُّها أسماؤُه . ويُقالُ لعَسَلِ الشَّعِير ، النَّدْعُ والنِدعُ بفتح النونِ وكَسْرِها أيضاً . وفي الخبرِ أنَّ عبد الملك بنَ مَرْوانَ كَتَبَ إلى عامِله عَلَى الطائفِ ، أن ابعَثْ إليَّ بعسلِ النَّدْعِ ، حكى ذلك ابن دريد في الجمهرة .

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب « طعميَ شريٌ » بياء غير مشددة ، وهو مما يناسب « الأري » في الشطر الثاني ؛ يقولون : لفلان طعمان أرْيٌ وشرْيٌ .

و « ابتغى » افتعلَ ، من بَغى الشيء يبغيه ، إذا طَلَبه . يقالُ : بغاه وابتَغاه. و « اللَدْنُ » اللَّينُ الذي في نعْمة . يقول : أكونُ ليناً سهلاً إذا لُوينْتُ و « السهل » كلُّ شيء ذاهِب الخُشونةِ . يقال : سَهُل سهُولَةً والسهْلَةُ ، تُرابٌ كالرَّملِ يجيء به الماء ، وأسْهَلَ القوم ، نَزَلوا عن الجبلِ إلى السهلِ ، وأسْهَلَ البطْن ، أنْ يُسْهله دواءٌ أو غيرُه ، وسُهَيْل ، كوكبٌ يُرى بالعراقِ ولا يُرى بخُراسَانَ . ويزعم أصحاب الحديث : أنه كانَ عشَّاراً عَلَى طريقِ اليمَنِ ظلُوماً فمَسَخَهُ اللهُ كوكباً . و « سَهُل مَعْطَفِي » أي انعِطَافِي ومَيْلي . يقالُ : عَطَفَ يعطِفُ ؛ إذا مالَ ، وانعطَفَ الشيء إذا انعوَجَ ومالَ ، وتَعَطَّفَ عَلى ولده ؛ إذا رَحِمَه ، ورَجلٌ عطوفٌ وعطَّاف ، إذا كانَ يعطِفُ عَلَى الناس ، وتَعاطَفَ فلانٌ في مَشْيه ، إذا تمايَلَ ، وتَعطَّفَ بثوبِهِ ، إذا تَوَشَّحَ به ، وظَبْيَةٌ عاطِفٌ ، وهي التي تَربضُ وتَعطِفُ عَلَى ولدِها . وفي كتاب الله عز اسمه : (ثاني عطفه) [1] . و « الألوَى » الشديدُ الخُصومةِ الصَّعْبُ . و « خُوشِنْتُ » فُوعِلْتُ مِن الخشُونةِ ، وهي الصُّعُوبة ، ومكانٌ خَشِنٌ ، أي صَعْبُ المَرامِ ، « والمَرْهُوب » المَفْزُوعُ منه . يقالُ : رَهِبْتُ الشيء رَهْباً وَرَهْبَةً أي ، خِفْتُ منه ، وأرْهَبْتُ فُلاناً ، أفْزَعْتُهُ ، والتَّرَهُّبُ ، التَعَبُّدُ في صَوْمَعةٍ ، والرَّجلُ راهبٌ . قال الشاعر [2] :

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٩

(٢) هو النابغة الذبياني

لو أنّها عَرَضت لقِبلةِ راهبٍ عبدَ الإله صرورةٍ متعبد(١)
لرنا لِبهْجتِها وحسنِ حديثِها ولخالَه رَشَداً وإن لم يَرْشدِ

و « الشذا » حدُّ كلِّ شيءٍ من سيفٍ أو غيرِه مقصورٌ و « الشذا » من الأذى مقصور . وأصْلُهما واحدٌ .

* * *

١٥٠ يعْتَصِمُ الحِلْمُ بِجَنْبيْ حبْوتي إذا رِياحُ الطَّيْشِ طارَتْ بالحُبىٰ
١٥١ لا يطَّبيني طمعٌ مُدنَّسٌ إذا استمالَ طمعٌ أو اطَّبىٰ

« يعْتَصِمُ » يفتعل من العِصْمَة ؛ وهو التَّعلُّقُ بالشيء والإمساكُ به ، وعِصامُ الدَّلوِ ما يُعلَّقُ به ، و « الحُبْوَة » بالضَّمِ يُرادُ بها المصدرُ ، وبالكسرِ يرادُ بها الاسمُ . وأنشدَ عمارَةَ بنُ عقيلٍ(٢) :

قُتِلَ الزُّبيرُ وأنت عاقدُ حبْوَةٍ قُبحاً لحبوتِكَ التي لم تُحللِ(٣)

(١) ديوانه ص : ٤٦ - ٤٧ ، مختار الشعر الجاهلي ١ / ١٨٦ من داليته في وصف المتجردة ومطلعها

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

وفي مختار الشعر الجاهلي :
لو أنها عرضت لأشمط راهب
(٢) البيت لجرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق .
(٣) ديوانه ص : ٤٤٥ الكامل : ١١٢

و « الحُبَى » جمعُ حِبْوَةٍ. و « الطَّيْشُ » خِفة العقلِ . يقال : طاش السهمُ يَطيشُ طَيْشاً ، إذا لم يقصدِ الرَّمِيَّةَ . ومنه قول الشاعر [1] :

لو كان لي قِرناً أناضِلهُ ما طاشَ عندَ حفيظةٍ سهمي [2]

ومنه قول آخر :

رَمتْني أمُ عيَّاش بِسَهْمٍ غيرِ طَيَّاشِ

وقوله : « لا يَطَّبيني طَمَعٌ » لا يَستَميلُني ولا يدعُوني ، وأَصْلُ اطَّبَى اطْتَبى فأُبدِلَتْ من التاءِ طاء ، وأُدْغِمَتْ فيها الطاء . وقد ذكَرْتُ هذا فيما مضى من الشرح. و « الطَّمَعُ » طَمَعك في الشَّيء ، وامرأةٌ مِطاعٌ تُطْمِعُ في نفسها ولا تمكِّنُ ، والطَّمَعُ ؛ ما طَمِعْتَ فيه، والمَطْمَعَةُ ما طَمِعْتَ من أجله . و « المُدَنَّسُ » المُوَسَّخُ يقالُ : فُلانٌ دَنِسُ الثوبِ والعِرْضِ ؛ إذا كانَ ذا عَيْبٍ . يقول: لا يَسْتَميلُني طَمَعٌ إذا استمالَ غيري . ومعنى « اطَّبى » ؛ استمال . وحَسُنَ التكرار لمَّا اختلفَ اللفظان .

* * *

١٥٢ وقد علت بي رُتَباً تَجارِبي

أَشْفَيْنَ بي منهـــا عَلَى سُبْلِ النُّهى

١٥٣ إذا امرُؤٌ خِيفَ لإفراطِ الأذى

لم يُخْشَ مِني نَزَقٌ ولا أذى

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى .

(٢) مر هذا البيت في قصيدة سبقت ص : ٢٤

« الرُّتَبُ » جمع رُتْبة ؛ وهي الدرجة، والمَرْتَبَة ؛ الدرجةُ عندَ الملوك ونحوها والرَّتَبُ ؛ ما أشرف من الأرض و « التَّجارِبُ » جمع تَجْرِبة . وقوله « أشْفَيْن بي » أي أشْرَفْنَ .يقال: أشفى به على كذا وكذا، إذا قارَبَ به ذلك . وزَعَم قومٌ : أن معنى أشفين بي ، أي بلغْنَ بي الشَّفى ، أي الغاية . و « السُّبْلُ » الطُّرُقُ . والقياسُ سُبُل ،فخفِّفَت لأنَّ جمعَ فعيل في أقلِّ العَدَدِ على « أفْعِلَة » نحو رَغيف وأرْغِفَة . وفي الكثيرِ على « فُعُل » ؛ نحو رُغُف، وكذلك سَبِيل وسُبُل ، وخَفَفَتِ العربُ ذلك بتسكينِ الضمَّة ، وقالت : سُبْل. والنُّهى جمعُ نُهْيَةٍ ، وهي اللُّبُّ والعَقْلُ . ومنه قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : (إن في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهى)[1] يعني أولي العقول . ونَهيٌّ الغدير حيث تحوم السيل في الغدير فيوسع والجمع النِهَا ممدود . وتَنهية الوادي ، حيث تنتهي إليه السيول ، والجمع التناهِي. والنِهاية ، الغاية حيث يَنتهي إليه الأمر. والنَّهي عن الأمر . تقول : نَهيتهُ عنه ، وقومٌ يقولون : نَهوْتُه عنه . وقولُه: « إذا امرؤٌ خِيف » يقالُ : امرُؤ . وأنشدُوا في هذا :

بأبي امرؤٌ والشَّامُ بيني وبينَه أتتني ببشرى رُسلُه ورسائِله

و « الإفراط » العجَلة ، يقالُ : أفرَط فلانٌ في أمرِه ، إذا عَجِل فيه ، وجاوز القَدْر . والسحابة تفرط الماء في أول الوَسمِي ، إذا عجلته . وفَرَّطَ إلينا من فلانٍ خيرٌ وشرٌ، إذا عجِل . والإفراط ، إعجالُ الإنسان في أمر قبلَ التَّثَبُّت. كما قال الله عزَّ اسمُه : (إننا نخافُ أن يفرُط علينا أو أن يطغى)[2] والفَرْط ، الحين من

(١) سورة طه ، الآية ٥٤

(٢) سورة طه ، الآية : ٤٥

الزمان . تقول : لقيتُه الفرطَ بعد الفرطِ . والفرَطُ : ما سبقَ من جمل وولد يكونُ لك أجرُه ، يُقال : فرطٌ وولد ، ومنه الدعاء في جنازةِ الطفلِ : اللَّهم اجعله لنا فرطاً وسلفاً صالحاً ، ومنه قول النبي صلوات الله عليه : (أنا فَرَطُكم على الحوضِ)[1] أي : مُتقدمهم ، قال الشاعر :

فَأَثَارَ فَارِطُهُمْ غَطَاطاً جُثَّماً أَصْوَاتُها كَتَرَاطُنِ الفُرْسِ

يَعني : أنه لم يجد في الركية ماء ، وإنما وجد غَطاطاً ، وهو القطا وجمع الفارِط : فُرّاط . وأنشدوا في هذا[2] :

فَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنَا كَمَا تعجَّلَ فُرّاطٌ لِوُرّادِ[3]

والفارطان ، كوكبان مُتتابعان أمامَ سريرِ بناتِ نعشٍ . « لم يخشَ مني نَزَق » والنزق ، الخفَّة . يقولُ : إذا خِيف امرؤٌ لسرعته في الأذى لم يُخَف مِني مثلُ ذلك .

* * *

١٥٤ من غيرِ ما وَهْنٍ ولكنّي امرؤٌ أَصُونُ عِرضاً لم يُدنِّسْهُ الطَّخا

١٥٥ وَصَوْنُ عِرضِ المرْءِ أن يَبذُلَ ما ضَنَّ به مما حَواه وانتَصى

« الوَهْنُ » الضَّعفُ . ومنه يقال : أصابَ فلاناً واهِنةٌ ، وهو أمرٌ يُوجِب ضَعفَه ، والوَهْن والمَوْهن ، من نصف الليل . تقول : أتيتك بعد وَهْن وبعد موهن

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، وأحمد في مسنده .

(٢) البيت للقطامي واسمه عمير بن شييم شاعر إسلامي مقل :

(٣) ديوانه ، وإصلاح المنطق ص : ٧٩ ، والصحاح للجوهري « فرط » .

من الليل . و « أصُون » من الصِيانة وهو : إحرازُ الشيء . و « العِرْض » هو : نفسُ الرجل . والعامّة تذهب إلى أن العرض سَلَف الرجل من آبائه وأجداده ، وان القائل إذا قال : شتمَ فلان عِرضي ، انه إنما يعني : شتم آبائي وأهل بيتي ، والذي يدل على أنّ العرض يراد به الإنسانُ نفسُه قول النبي صلوات الله عليه وسلامه ، وذكرَ أهلَ الجنة ، فقال: (لا يبولون ولا يتغوّطون إنما هو عَرَق يجري من أعراضهم مثلُ ريح المسك) . وقوله : «لم يدنسه » من الدّنَس : وهو مالصق بالإنسان من الوسخ . و « الطَّخا » ههنا : العيب وهو ممدود ، وقصَره لأن الشاعر له أن يقصر الممدود في الشعر . وأصل الطَّخا : الغيم الرقيق ، لأنه لم يرد ههنا الغيم. ولكن جعل مايدنس العرض طخاً ، وشبهه بذلك . والطَّخا ، ثقل وغشيٌ يتغشى القلب ، ومنه قول النبي ﷺ : (إذا وجد أحدكم طخاً على قلبه فليأ كل السَّفرَجل) وكل منْ ألبس شيئاً فهو له طخاً . يقال : مافي السماء طخاً ، أي سحاب وظلمة . قال النابغة :

فلا تذهب بعقلك طـاخيات ... من الخيلاء ليس لهن باب (١)

ويُروى طافيات بالفاء ، والخاء أجود في المعنى . يقول : ما ألبسك من الزهو والكبر فلا يذهب بك .

وقوله : « وصون عرض المرء » أي ان الذي يصونُ به المرء عرضه ، أن يبذلُ ماضنّ به ،أي ما بخل به . يقال : فلان ضنين على كذا ، إذا كان بخيلاً

(١) ديوانه ص : ٢٤ ورواية الديوان طاميات .

عليه . وقُرئ : (وما هو على الغيب بضنين)[1] أي بخيل . و « حَواه » حازه وملكه . و « انتَصى » اختار . يقال : انتصاه ينتصيه ، واعتماه يعتميه ، واُجتَباه يجتبيه ، إذا اختاره .

* * *

١٥٦ والحَمْدُ خيرُ ما اتَّخذتَ عُدَّةً وأَنفَسُ الأذخارِ مِنْ بعدِ التُّقى

١٥٧ وكلُّ قَرْنٍ ناجمٍ في زَمَنٍ ، فهو شَبيهُ زَمَنٍ فيه بدَا

قوله « والحمد خير ما اتخذت » أي ان الحمدَ خيرُ ما اتخذت عُدّة ، كما يتخذ المالُ عُدّة للدهر . « و » هو « أنفس الاذخار » أي أرفعها وأشرفها . و « القرنُ » الأمة . يقول : كلُّ قرن من الناس نَجمَ في زمان ، أي ارتفع . « فهو شبيه زمن فيه بدا » مأخوذ هذا من الحديث النبوي (الناس بزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم) و « ناجم » فاعل من نَجم ؛ إذا ارتفع ، ونجم النبت من هذا ومنه سُمي النجمُ نجماً : لارتفاعه ، و « القرن » في غير هذا : الوقت من الزمان وزعم قوم : انه أربعون سنة . وزعم قوم أنه ثمانون سنة . وقال قوم : مائة سنة . واختارَ بعضُ أهل الحديث هذا ؛ لما جاء في الحديث عن النبي ﷺ (أنه مسحَ على رأس غُلام وقالَ له : عِشْ قرْناً فعاش مائة سنة) و « بَدا » أي : ظهر ، يقال : بدا يبدُو ؛ إذا ظهر ، ورُوي أن بعضَ الرؤساء من النحويين قال في مجلس للأصمعي : أصبحتُ أعلمَ الناس بالنحو واللُّغة فغفل الأصمعي عنه ساعة ، ثم قال : كيف تروي هذا البيت ؟

---

[1] سورة التكوير ، الآية : ٢٤

قد كُنَّ (١) يخبأن الوجوه تستراً   فاليوم حين بدون للنظَّار

أترويه بدأن ام بدين ؟ فقال : بدأن ، فقال أخطأت ، إنما هو بَدَوْنَ ، لأنه من بدا يبدُو إذا ظهر .

* * *

١٥٨ وَالنَّاسُ كالنَّبتِ فَمِنْهُمْ رائِعُ   غَضٌّ نضيرٌ عُودُهُ مُرُّ الجنى

١٥٩ وَمِنْهُ ماتقتَحِمُ الْعَيْنُ فإنْ   ذُقْتَ جَنَاهُ انْساغَ عَذْباً في اللَّها

« الرَّائع » الذي يروعُك في حُسنه وجماله . ويُروى : فمنه رائق ؛ وهو الذي يروق ، أي يعجب بقول الناس كالشجر ، فمنه رائق حسن ولا طيب لثمره ، وكثير من الناس من هو ذو هيئة ولا كرم فيه ولا معروف يرجع إليه . و « الغضّ » الطريّ و « النضير » الناعم الريان . ومنه قول الله عز وجل : (وجوهٌ يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (٢) فالأولى من النضارة : وهي النعمة . والثانية من النظر . و « الجنى » ما اجتني من الثمار وغير ذلك . و « منه ما تقتحم العين » أي ؛ أنَّ مِنَ النبت ما تقتحمه العينُ ، أي تعدوه إلى غيره ، وتتركه كراهية له : « فاذا ذقته انساغ » أي سهل بلعه ، و « العذْبُ » الطَّيب . يقال : عذُب الماء يعذُب عذوبةً ، وأعذَبَ القومُ إذا عَذُب ماؤُهم ، واستعذبوا ؛ إذا استقوا وشربوا عذباً .

---

(١) في الأصل : « قد كنت » . تصحيف . والبيت للربيع بن زياد من مقطوعة يرثي مالك بن زهير ، أوردها أبو تمام في الحماسة ٢ / ٩٩١ - ٩٩٧ شرح المرزوقي .

(٢) سورة القيامة ، الاية : ٢٣

و « اللَّهى » جمع لَهاة ؛ وهي أقصى الفم ؛ وهي لحمة مُشرفة على الحلقِ ، وهي من البعير شقشقتهُ ، ولكلِّ ذي حلق لَهاةٌ والجمع : لَهواتٌ ولَهى ، واللُّهى بالضم جمع لُهوَة ، وهو ما يجعلُه الطاحن في فم الرحى ليطحن .

* * *

١٦٠ يُقوِّمُ الشارخُ من زيغانِه ، فيستوي ما انعاجَ منه وانحنى

١٦١ والشيخُ إن قوَّمتَهُ من زيغهِ لم يُقِمِ التَّثْقيف منه ما التوى

« الشّارِخُ » الحدَث السِّنِّ ، وشَرْخُ الشباب ؛ أوله . قال الشاعر :[1]

إن شَرْخَ الشبابِ والشَّعَرَ الأسـ ـود ما لم يعاص كان جنونا[2]

و « الزيغان » مصدر زَاغَ يَزيغ زَيغاً وَزَيغاناً . و « انعاج » انعطف ، يقال عجته فانعاج ، أي عطفته فانعطف . ومعنى البيت أنه يقول : إن الحدَثَ إذا قوَّمته بالأدب استقام زَيْغُه ، واستوى انحناؤه وطاع . و « التثقيف » من ثَقَّف إذا أقام العوَج . ويقال : ثقفتُ الرُّمح : إذا أقمتُ اعوجاجَ عودِه . والثقاف ، حـديدةٌ تـكون مـع القوَّاس والرَّماح يُقوِّم بها ماتعوَّج له مِنَ العود . قال الشاعر :[3] .

---

(١) هو حسان بن ثابت

(٢) ديوانه ص ٤١٣ ، والكامل ٢ / ٧٩ ، والعقد ٢ / ٣٢٤ ، ومالم يعاص معناه : ما لم يعص .

(٣) هو عمرو بن كلثوم التغلبي .

إذا عضَّ الثِّقافُ بها اشمأزت   وولتهم عَشَوْزَنةً زَبُونا (١)

وتقول في غير هذا: ثقفتُ فلانًا بمكان كذا وكذا؛ إذا وجدته فيه. ومنه قول الله عز اسمه: (واقتلوهم حيث ثَقِفتُموهم) (٢) وثقيف، حي من قيس، وخَلٌّ ثقيف، إذا كان شديد الحموضة. ومعنى البيت أنه يقول: إن الشيخ إذا رُمت تقويمه من ميله لم يقم التثقيف منه ما التوى، أي عَسُر ذلك عليه، إذا كان قد مرَّ الدهر عليه على حال واحدة، فنقله عنها شديدٌ.

* * *

١٦٢ كذلك الغُصنُ يسيرٌ عَطْفُهُ   لدنًا شديدٌ غَمزُهُ إذا عَسَا

١٦٣ من ظَلَمَ الناسَ تحاموا ظُلمَهُ   وعَزَّ عنهم جانباه، واحتمى

قوله: «كذلك الغصن» ضرب هذا مثلاً لما تقدَّم من ذِكر الشابِّ والشيخ يقول: الشابُّ إذا رُمت تقويمَه سهُل عليك، ويعسُر تقويم الشيخ، وكذلك الغُصنُ سهل عليك عطفُه لَدْنًا في حالِ نعمته وتثنيه، ويعسر إذا عتَى، أي اشتدَّ وصلُب، ويروى عتا وعسا، ومعناهما واحد، و«الغَمز» اللَّمْس باليدين،

---

(١) من معلقته، المعلقات: ١٣٧، مختار الشعر الجاهلي ٢ / ٣٦٩ وقبله

فإن قناتنا يا عمرو أعيت   على الأعداء قبلك أن تلينا

إذا عض ... البيت

والعشوزنة: الصلبة الشديدة. والزبون: الدفوع. وأصله من قولهم: زبنت الناقة حالبها: إذا ضربته بثفنات رجليها، أي بركبتيها.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩١

والغمز في غير هذا ، الإشارة بالعين ، والغامزُ ، العائب ، ويُقال : ما في هـذا الأمر مَغْمَز ، أي مَطْمَع ، وقوله : « من ظلم الناس » أصلُ الظُّلم ، وضعُ الشيء في غير موضعِه ، والعربُ تقول : مَنْ أشْبَه أباه فما ظلم ، أي فما وضعَ الشَّبَهَ في غير موضِعه والأرض المظلُومة ، التي حُفِرَت ولم يكن فيها أثرُ حَفرٍ ، والظليم ، تراب القبر إذا حُفِر في غير موضِع حَفْرٍ ، والظليم ، اللبن الذي يُشرب قبل أن يروبَ . ومنـه قول الشاعر :

وقائلةٍ : ظلمتُ لـكم سِقاءً ... وهل يَخْفَى على العَكَرِ الظليم

والعَكَر ، أصل اللسان . وزُبْدٌ وزُبْدَةٌ مظلومة ، إذا مُخِضَ السِّقـاء فأخرج الزُبْد قبل أن يدرك ، وسِقاءٌ مظلومٍ ، إذا جُعل فيه اللبن قبل أن يطيب . والظَّلِيم ذكرُ النَّعام وزعم قومٌ : أن الظُلم إنما هو أخذُ الإنسان بما ليس له ، وهذا يرجِـع إلى ما قُلنا : إنه وضعُ الشيء في غيرِ موضِعه .

و« تحامَوْا ظُلمه » أي تباعدوا عنه ، وامتنعوا منه . وهو تفاعلُوا ، من حَماه يحميه إذا منعه و « عزَّ عنهم » أي ، امتنع . يقال : عز كذا وكذا ، إذا امتنع فلم يُقدرْ عليه ، والعِزة ، القُوة والشدة ، ومنه إذا عزَّ أخوك فهُنْ . ومنه قول الله عز وجل : (ليخرجن الأعز منها الأذل)[1] والأعزُّ ، العزيز ، والأذل الذليل والعَزاز ، أرض صُلبة ، والعَزُوز ، الشاة التي لا تَدرُّ فتحلبَ إلا بجهْد ، و « احتمى » افتعلَ من حمى يحمِي ، إذا امتنعْ ، يقول : إذا كان الإنسانُ ظلوماً لم يَطمَعْ فيه طامِـعٌ ، وحماه ظُلْـمه : منعه مِن أن يُظلَم .

* * *

(١) سورة المنافقون ، الآية : ٨

١٦٤ وَهُم - لِمَنْ لانَ لهُم جانِبُهُ - أظْلَمُ مِنْ حَيَّاتِ أنْبَاثِ السَّفَى

١٦٥ عَبِيدُ ذي المَالِ، وإنْ لم يَطْمَعُوا

مِنْ غَمْرِهِ في جَرْعَةٍ تَشْفِي الصَّدَى

و « هم لمن لان لهم جانبه » يقول : الناسُ لمن لانَ لهم أظلمُ من الحية ، وهذا مَثَل ، وحُكِيَ عن أبي زيد : أنَّ العرب تقولُ : فلان أظلم من حية ، و « الأنباث » ما كان من التراب المُستخرَج من البئر ، يُقال : نَبَثَ يَنْبُثُ ، إذا حفر . والسفا ، التراب بعينه ، والسفا ، شَوْكُ البُهمَى أيضاً . وقوله « عبيد ذي المال » يقول: الناسُ عبيدٌ لكل ذي مالٍ ، وإن لم يطمعوا من مالِه في شيءٍ ، و « غَمْره » عطاؤه ، يقال : فلانٌ سيدٌ غَمْرٌ ، إذا كان سيداً مُعطياً ، والغَمرُ ، الماء الكثير ، وقد ذكرته و « الجرعة » ما يتجرَّعُه الإنسان من الماء ، وهي مثلُ الحسوة ، و « الصَّدى » العطَشُ مقصورٌ يُكتب بالياء ، لأن تثنيته صدَيان ، وكذلك الصدى الذي يُجاوبُك إذا كنت عند جبل أو بيت خالٍ ، ويقال : فلان صدى مال ، إذا كان حسنَ القيام عليه ، والصدى ؛ اسم طائر ، وهو الذي تُسميه الأعراب : الهامة .

والعربُ تزعم أنَّ المقتول إذا قُتِلَ فلم يُؤخذْ بثأره ، خرجَ من رأسه طائر يقال له : الهامة ، فلا يزال يَصيح على قبره : اسقوني ، حتى يؤخذَ بثأره ، وأنشد قول ذي الأصبع العَدْواني :[1]

يا عمرُو إلاّ تدعْ شتمي ومنقصتي أضربْك حيث تقول الهامة: اسقوني[2]

---

(١) واسمه حرثان السموأل ، ولقب ذا الاصبع ، لأن حية لسعت إصبعه .

(٢) المفضليات ص : ٣٢٣ ، الكامل : ٣٢٦ ، الخزانة ١ / ٣٧٢ العيني ٣ / ٢٨٧ ، الشعراء : ٤٤٥ ، أمالي المرتضى ١ / ١٨٢ اللآلي : ٢٨٩ الأمالي ١ / ٩٣ .

وزعم بعضُ أهل اللغة أنَّ معنى هذا البيتِ ليس على هذا ، وقال : العطش معظم حده في الهامة . يقول : إن لَمْ تَدعْ شتمي ومنقصتي أضربك موضعَ العطش وأنشد .

قد علمت أيُّ مروٍ هامَها .

* * *

١٦٦ وَهُمْ لِمَنْ أَمْلَقَ أعْداءٌ وإنْ شارَكَهُم فيما أَفادَ وَحَوَى

١٦٧ عاجمتُ أيامي وما الغِرُّ كَمنْ تأزَّرَ الدهرُ عليه وارْتَدَى

« أَملقَ » أي افتقر . ومنه قولهُ جلَّ وعزَّ (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق (١)) أي ، خشية فقر وحاجة . ويقال أيضاً : أملق الرجلُ يُملق إملاقاً ؛ إذا كثُر إنفاقُه بمالِه ومنه أنَّ امرأةً سألت ابنَ عباس : أأنفق من مالي ماشئت؟ فقال : أملقي من مالك ماشئت . والمَلَق : الدُّعاء والتضَرُّع . ومنه قولُ العجاج .

إليك أدعو فتَقَبلْ ملقِي

أي دُعائي وتضرُعي . و « أفاد » أي ، كَسَبَ . يقال : أفاد الرجلُ المالَ يُفيده إفادةً ، واسمُ ما أفاد فائدة . و « حَوَى » أي مَلكَ وجَمعَ . يقال حَواه يحويه ؛ إذا صار مُلكه ، وحوى البيتُ فلاناً ؛ إذا ضَمّه .

وقوله « عاجمتُ أيّامي » أي عركَتْني وعركتُها ، وأصله ؛ أن يلوكَ الإنسان التمرةَ بنواها . يقولُ : علكتُ التمرة ، وعجمتُها ؛ إذا لكتُها ، والثور يَعْجُمُ قَرنَه ؛ إذا دلكَه على نحره لِيُنَظِّفَه . ويقال للرجل العزيز النفس : إنه

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣١

أصْلَب المُعْجَمْ ، إذا عجمته الأيامُ ووجدته متيناً ، والعَجَم الذين ليسوا من العرب ، والعَجْماء كل دابة وبهيمة ، والمذكر أعجم . وفي الحديث (مَنْ ذَكَرَ اللهَ تعالى في السُوق كان له مِنَ الأجْر بعدد كل فصيح فيها وأعجم) ورجل عَجَمي ، منسوب إلى العَجَم ، وإنْ كان فصيحاً ، وأعْجَميٌ ؛ إذا كان لا يُفصح ، وإن كان نازلاً بالبادية ، وكتاب مُعْجَم ، وتَعْجِيمُهُ نقطهُ لِتَستَبِينَ عُجْمته .

و « الغِرُّ » الذي لم يُجرِّب الأمور . ويقال : جارية غِرَّة وغريرة ؛ إذا كانت غافلة غيرَ مُجرَّبة وأنشدوا[1]

يارُبَّ مِثْلِكِ في النساء غَرِيرةٍ   بيضاءَ قد مَتَّعْتُها بطلاقِ[2]

و « الغُرة » بالضم ، بيـاض في الوجه ، والنعت أغَرّ . يقال : فَرَس أغَرُّ للمذكر والمؤنث غراء ، وهذه غُرَّة من غُرَر المتاع ، وغُرَّة النبات ، رأسه ، وغُرة الهلال ، بَدوُه ، والغَرير ، ثلاث ليالٍ من أول الشهر ، والغَرَرُ ، الخطر ، وغرَّرتُ بالقوم تغريراً ، وغَرَّر بماله ، إذا حَمَلَه على خَطر ، والغُرُور بالضم ، مصدر غَرَّه يغُرُّه غروراً ، والغَرور بالفتح ، الشيطان . قال الله جل اسمه : (ولا يغرنـكم بالله

(١) لأبي محجن الثقفي، واختلفوا في اسمه فقيل : عبد الله بن حبيب ، وقيل : عمرو ، وقيل : مالك . وقيل أبو محجن، وهي كنيته . شاعر مخضرم فارس شجاع معدود في أولي البأس والنجدة .

(٢) شرح المفصل ٢ / ١٢٦ ، وأنشده سيبويه

وقد استشهدوا به على دخول رب على مثلك . ورب لا تدخل إلا على نكرة .

غريرة : مغترة بلين العيش غافلة عن صروف الدهر . متعتها بطلاق : أعطيتها شيئاً تستمتع به عند طلاقها ، وكأنه يهدد زوجته بذلك .

الغَرور(1) . والغِرار ، النقصان من قولهم : ناقةٌ مُغارٌ ، في لبنها غِرار ، أي نُقْصان وفي الحديث : (لا غِرار في صلاة ولا تسليم) يعني في ركوعها وسُجودها وطُهورها . وأمّا الغِرار في التسليم ، بأن يقولَ : السلامُ عليك ، أو يردَّ ، ويقولَ : وعليكم ، ومن كلام الزهري رضي الله عنه : (كانوا لا يرون بغرار النوم بأساً) يعني أنَّ قليلَ النوم لا يَنقُض الوضوء : قال الفرزدق في مرثية الحجاج بن يوسف :

إن الرزية من ثقيف هالك ترك العيون ونومهن غرار

أي قليل ، والغِرار ، المثال الذي تُطبع عليه نِصالُ السهام ، والغِرار ، حدُّ الشفْرةِ والسيفِ ، وكلُّ شيء له حد فحده غِرار ، ومعنى قول أبي بكر ابن دُريد أنه يقول : جرَّبتُ أيامي ؛ ليس الغرُّ كمن جرَّب الدهر ، وتأزر به ، وارتدى .

* * *

١٦٨ لا يَنفَعَ(2) اللُّبُّ بلا جَدٍ وَلا يَحُطُّكَ الجَهْلُ إذا الجَدُّ عَلا

١٦٩ مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبَراً أَيّامُهُ كانَ العَمى أَوْلَى بِهِ مِنَ الهُدى

« النفع » ضد الضر . يقال : نفع ينفع نفعاً ، وأبو نافع ، كنية الحمار ، والحمارة ، أم نافع و « اللُّب » العقل . و « الجد » النحت(3) يقول : لا ينفع العقل إذا لم

---

(1) سورة فاطر ، الاية : ٥

(2) كذا في الأصل ، وفي رواية أخرى : لا يرفع ، وهي الأليق ، لأنه يقول في الشطر الثاني : ولا يحطك وهو ما يقابله : يرفع ، لا ينفع .

(3) كذا في الأصل .

يـكن جدّ يرفع الإنسان .وقوله :و « لا يحطك الجهل »يقول : ولا ينفعك اللب بغير جد ، ولا يضرك الجهل مع الجد . و «الجهلُ » ضد العلم . يُقال : جَهل فلان حق فلان ، وجهل هـذا الأمر . والجَهالة : أنْ تفعل فِعلا بغير علم ، والجاهلية الجَهْلاء ، زمان الفترة ، وإذ لا إسلام . و « عَلا » ارتفع ، يُقال : علا يعلو إذا ارتفع . وقوله : « مَنْ لَمْ تفدِه » يعني ، من لم تُـكسِبه ، مأخوذٌ من أفاد يُفيد ، إذا اكتسب . و « العِبَر » جمع عِبْرة ، والعبرة ، الاعتِبار بما مَضى ، وعَبْرَة الدمع ، جريه ، والدمع نفسُه يُسمى عَبْرَةً ، والعبير من الطيب ، وعبر الرؤيا يعبرُها ، وعَبَرت النهر أعبُره ، والمِعْبَرة ، السفينة يُعبر عليها ، وعَبَرتُ عن فلان إذا عَيِيَ بحُجَّته فتكلمت بها عنه . وقوله : « كان العمى أوْلى به من الهدى » يقول : مَنْ لم يعتبر بالأيام وتصرُّفها ، وما يحدُث من الحالات في الخَلْق ؛ كان العمى — الجهل — أقربَ إليه من الهدى . والعرب تُـكنيّ عن الجهل بالعمى وتقول : رجل أعمى عن الحق ، أي جاهل ،فـكأنه من جهله لا يُبصر شيئاً . قال الله جل اسمه :(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْي)[1] فجعلهم عُمياً إذا كان الجهل فيهم يمنعُهم من البَصيرة والنظر في أمر الآخرة . و « الهدى » نقيض الضلالة ، يقال : هدى الله المسلمين فاهتدَوْا ، والدليل يهدي القومَ فيهتدُون ، ويُسمىَ الدليلُ هادياً والهـادي ، العنق ، والهـاديات ، المتقـدمات من الوحش . قال امرؤ القيس ابنُ حجر :

كأنّ دماء الهاديات بنَحرِه   عُصارةُ حِنَّاء بشيْبٍ مُرجَّل[2]

---

(١) سورة البقرة ، الاية : ١٨ .
(٢) ديوانه ص : ٢٣

وكل شيء قاد شيئاً ، فهو هادٍ له ، وتسمى العصا هادياً ، لأنها للأعمى بمنزلة القائد . قال الأعشى :

إذا كانَ هادي الفتى في البلا د صدور القناة أطاعَ الأميرا [١]

وقد يكون إنما سُميت العصا هادياً ، لأنه يُمسكها بيده ، فهي تهديه ، أي تتقدمه ، والهدى : السكون يقال : لا أهداهم ، أي لا أسكن تعبهم ونصبهم والهَدِيُّ ، الأسير . قال المتلمس يذكُرُ طَرَفة ومقتل عَمرو بن هند إياه بعد أن كان سجنه :

كطُرَيْفَةَ بنِ العبدِ كان هَدِيَّهُم ضربوا صميم قذاله بمهند

وأظن أن المرأة إنما سميت هدياً لهذا المعنى ، كالأسيرة عند زوجها قال عنترة :

ألا يا دارَ عبلة بالطَوِيِّ كرجع الوَشْم في كفِّ الهَدِيِّ [٣]

وقد يجوز أن تكون سُميت هَدِيّاً لأنها تُهدى إلى زوجها فهي هَدِيٌّ « فَعيل » في موضع « مفعول » فقال : هَديٌّ يزيد مَهْدِيّة ، يقال منه : هَدَيتُ المرأة إلى زوجها أهديها هِداء بغير ألف . قال زهير بن أبي سُلمى :

---

(١) ديوانه ، ومختار الشعر الجاهلي ٢ / ١٣٤ والكامل ص : ٢٨٦ .

(٢) المتلمس لقبه ، واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبدالله ، وهو خال طرفة بن العبد ، وكانا ينادمان عمرو بن هند فهجواه ، فكتب إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز ، وهو قد أمره فيهما بقتلهما ، وفي الطريق فتح المتلمس كتابه ، فعرف ما فيه ففر إلى الشام ، وأبى طرفة أن يفتح كتابه فوصل إلى أمير البحرين فقتله .

(٣) ديوانه ص : ٧٨

فإن تكن النساء مخبآتٍ   فحقٌ لكلِّ محصنةٍ هِداء[1]

يعني ؛ أنْ تُهدى إلى زوجها ، وليس هذا من الهَدِيَّة في شيء . لا يقال من الهَدية : إلا أهديت بالألف إهداء ، ومن المرأة هَديت . وقد زعم بعض الناس أن في المرأة لغة أخرى « أهديت » والأول أفشى بها في كلامهم وأكثر، والهَدْيُ يُخفف ويُثقل ، وهو ما أهدى الإنسان إلى مكة ، وكل شيء تهديه من مال أو متاع فهو هَدْي .

* * *

١٧٠ مَنْ لَمْ يَعِظْهُ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعْهُ ما
راحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ غَدَا

١٧١ مَنْ قاسَ ما لَمْ يَرَهُ بِمَا يَرَى
أَراهُ مَا يَدْنُو إِلَيْهِ مَا نَأَى

قولُه : « من لم يعظه الدهر » أي من لم يَتعِظْ بصروف الدهر وما يمر عليه من الحوادث ؛ لم ينفعْه ما راحَ به الواعظُ . والرَّواح ؛ أنْ يروحَ الإنسان إلى ما يريده بالعَشيِّ ، وقد ذكرتُه فيما قبل . يقول : فإذا لم يتعظ بصروف الدهر لم

---

(١) ديوانه ، ومختار الشعر الجاهلي ١ / ٢٧١ وروايته فيه :

فإن قالوا النساء مخبآتٍ

وهو من قصيدة يهجو فيها بني علي ، وقبله :

وما أدري وسوف إخال أدري   أقومٌ آل حصن أم نساء

ينفعه وعظُ واعظٍ ، و « القياس » ردُّ الشيء مِن الحوادث إلى نظيره ،يقول: مَنْ مَثَّلَ ما لم يره ، وقاسه بما رأى ؛ يُمَثِّلِ الغائبَ بالحاضرِ ، وهذا هو حقيقةُ الاستدلال أنْ يقاسَ الغائبُ على الحاضر . يقول :مَنْ فعلَ ذلك أنكشفَ له ما استتَرَ عن غيره مِمَّنْ لا يقيسُ كما قاس ، « وأراه ما يدنو إليه » أي ؛ ما يقرُب منه ، « ما نأى » أي ؛ ما بَعُدَ ، يقال : نأى ينأى ، قال الله جلَّ اسمُهُ : (وهم ينهَوْن عنه ويَنْأَوْنَ عنه) [1] أي يبعدون .

* * *

١٧٢ مَنْ مَلَّكَ الحِرْصَ القِيَادَ لَمْ يَزَلْ
يَكْرَعُ مِنْ مَاءٍ مِنَ الذُّلِّ صَرَى

١٧٣ مَنْ عَارَضَ الأَطْمَاعَ بالْيَأْسِ دَنَتْ
إِلَيْهِ عَيْنُ الْعِزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَا

« الحِرْص » الاجتهاد في طلَب كل مرغوب فيه مع كَثْرة الموانع . يقال : حَرَصَ يَحْرِص فهو حرِيص . والعربُ تقول : فلانٌ حريص عليك ، أي حريص على نفعك ، وقوم حِراصٌ . ومنه قول امرىء القيس :

تجاوزتُ أحْراساً وأهوالَ معشَرٍ عليَّ حِراص لو يسرُّون مَقتَلي [2]

وقوله : « يَكْرَع » أي يَخُوض ، يقال : كَرَعَ في الماء يكرع ، إذا

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٢٦

(٢) ديوانه ص : ١٣ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٢٦ وفيه : يشرّون بدل يسرون : ومعناها : يظهرون .

خاضه ، ويقال أيضاً : كَرَعَ الإنسان يكرع كروعاً ، إذا تناولَ الماء بفيه ، وكَرَع في الإناء ، إذا أَمالَ نحوه عُنقَه فشربَ منه ، والمرأة تكرع إلى الفحل ؛ إذا اشتدت غُلْمَتُها نحوه ، و « الصَّرى » الدائم الّذي قد طال مكثه ، ويقال : صَرَى الماء وصراه في ظهره ؛ إذا حَبَسَ الماء في ظهره سنين لا يتزوجُ ، قال الراجز (١) :

رأتْ غُلاماً قد صَرى في فِقْرَتِه ماء الشباب عنفوانَ شرته (٢)

ويقال : هذا ماء صَرَىً وصِرَىً بفتح أوله وكسره ، وكتابته بالياء في الوجهين ، لأنه من صرى يصري ، والصِراء ممدود ما اصفر من الحنظل ، واحدته صَرايَة وقوله : « مَنْ عارض الأطماع » أي قابل ، و « الأطماع » جمع طَمَع و « اليأس » نقيضُ الرجاء ، يقال : يئِست من فلان ، إذا انقطع رجاؤك منه وقوله : « رَنَتْ » أي نظَرت وأدامتِ النظر ، ويقال : فلانٌ رانَ فلانة ؛ إذا كان يديم النظر إليها حيثما ذهبتْ ، وفلان يرنو الأماني ، أي هو صاحب أمنية ومتوقعها ، ويقال : ظَلَّ فلان رانياً إلى فلان ، أي مادّاً إليه بصرَه ، يقولُ : مَنْ عارَضَ الأطماعَ باليأسِ لم يَزَلْ عزيزاً إذا نَظَرَ ناحيةً قابلَه فيها عِزٌّ ، فكأنَّ عينَ العِزِّ تنظرُ إليه مِنْ حيث نَظَر .

* * *

(١) هو الأغلب العجلي .

(٢) في الصحاح للجوهري :

رب غلام قد صرى في فِقْرَتِه ماء الشباب عنفوانَ سنبته

١٧٤ مَنْ عطَفَ النَّفسَ عَلَى مَكْرُوهِهَا
كَانَ الْغِنيٰ قرِينَهُ حيْثُ انتوى

١٧٥ مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ
تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الْخُطَا

« مَنْ عطَفَ النفسَ على مكروهِها » أي وهي كارِهة ، فعطفها على مكروهها عمّا تريد ، وقيلَ : من عطف النفس على مكروهها ، معناه ثناها عمّا تكرهُه ، لأن النفس حُبّبَ إليها الشهوات ، وبُغّضت إليها الطاعات ، يقولُ : من عطف النفس على مكروهها مِن سائرِ المنافع التي تنفرُ منها النفس لصعوبتها « كانَ الغِنى قرينَه حيث أنتوٰى » و « الغِنى » ضد الفقر ، و « القَرين » المُقارِنُ في الشيء ، والصاحبُ عليه و « انْتوٰى » ، افتعل من النِيَّة ؛ وهي القَصْد ، وقيل : انتوى من النَّوى ، وهي البُعاد ، يقول : مَنْ عطف نفسه على المكروه كان غَنِيّاً حيث بعُد من الأرض ، وقوله : « مَنْ لم يقِفْ عند اُنتِهاءِ قَدْره » أي ؛ عند بلوغ قدره ، فلا يجاوِزه ، « تقاصَرَتْ عنه فسيحاتُ الخُطَا » ، و « الفسيحات » الواسعات ، ويقال : مَفازَة فسيحة ، أي واسعة ، و « الخُطا » جمع خُطوَة كمُدْية ومُدى .

* * *

١٧٦ مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ جَنىٰ لِنَفْسِهِ نَدَامَةً أَلْذَعَ مِنْ سَفْعِ الذكا

١٧٧ مَنْ نَاطَ بِالْعُجْبِ عُرىٰ أَخْلاقِهِ
نِيطَتْ عُرىٰ الْمَقْتِ إلىٰ تِلْكَ العُرىٰ

« ضَيّع » أي ؛ تَرَكَ ، يقال : ضيع فلان عِياله ؛ إذا تركهم ، وفرّط فيهم ، و « الحَزْمُ » الاحتراس في الأفعال ، و « جنى لنفسه » أراد ؛ جَعَلَ الندامةَ جنىً لنفسه ، يقال : جَنَى فلان الثمرة يجنيها فهو جانٍ ، والثمرة مَجْنيَّة ، ويجوزُ أن يكون جَنىً من الجناية ، وتكون « اللام » بمعنى « على » أي جَنىً على نفسه نَدامةً « ألذعَ » ؛ أي أحْرَقَ . و « اللّذْعَة » الحرقة من النار وكذلك الشَّفع . وقيل : هو ههنا لَوْن اللَّهب ، والسفعة قد ذكرناها قبلَ هذا . والذَّكا ، التِهاب النار مقصور يُكتب بالألفَ لأنه من بَنات الواو ، يقال : ذَكَتِ النار تذكو ، والذَّكاء من الفَهم ممدود ، وكذلك الذكاء من السِّن ، قال زهير بنُ أبي سُلمى :

يفضِّلُه إذا اجتهَدا عليه ... تمامُ السِّنِّ منه والذَّكاءِ (١)

وذُكاء ؛ مضموم الأول ممدود اسمٌ من أسماء الشَّمس ، ويقال للصبح : ابن ذُكاء قال الشاعر (٢) :

وَرَدْته قَبْلَ انْبِلاجِ الفَجْرِ ... وابْنُ ذُكاء كامِنٌ في كَفْرِ (٣)

أي ؛ في الليل .

وقوله : « ناط » أي علق . يقال : ناط فلان الشيء بالشيء ينوطُه نَوْطاً ، إذا شده وعلقه به ، والنِّياط عِرق غليظ قد عُلّق به القلب من الوَتين ، فإذا جمعت قلت : أنْوِطَة ، فتَرُدّ الياءَ إلى الواو لأنها في النِّياط مبدلةٌ من الواو . و « العُرى » جمع

---

(١) ديوانه ص : ٦٩ وروايته « اجتهدت » . الكامل ص : ٣٣٩ رواه بضمير التثنية

(٢) هو حميد الأرقط : بن مالك بن ربعي ، سمي بالأرقط لآثار كانت بوجهه . وهو راجز شاعر ، ويعدونه أحد بخلاء العرب الأربعة .

(٣) إصلاح المنطق ص : ١٤٣ ، واللسان « كفر » وروايته فيه فوردت .

عُرْوَة . و « الأخلاق » جمع خُلُق ، وخلق الإنسان ، ما يتخلق به من طباعه . وقوله : « نيطت » أي شُدَّت ، وقرنت عُرى المَقت . و « المَقْت » أشد البغض والمُبالغة فيه . يقول : مَنْ كان ذا عُجْب ، وقرَن ذلك بأخلاقه ، قُرِن ذلك بشدة البُغض له .

* * *

١٧٨ مَنْ طَالَ فَوْقَ مُنْتَهى بَسْطَتِهِ أَعجزَه نيلُ الدُّنا بَلهَ القُصا

١٧٩ مَنْ رَامَ مايَعجزُ عنه طَوْقُه م العِبْءِ يوما آضَ مجزولَ المَطا

« من طال فوق منتهى بسطته » يقول : مَنْ بَلَغ بنفسه فوق حقها ، فرفعها إلى غيرِ مَرْتبته و « البَسْطَة » القدْرة والفَضيلة ؛ يفضلُ بها الانسانُ على غيره. ومنه قول الله جلّ اسمه : (وزاده بَسْطة في العلم والجسم[1]) يقال : فلان يَبْسُط الينا يدَه بالخير والشر . وقوله : « أعجزَه نيلُ الدُّنا » أي تَعجزَ عن طَلَبه وإدراكه ، و « العَجْز » نقيض الحزم ، والعجُوز ، المرأة الشَّيْخة ،وأعجاز الأمور أواخرها . ومنه قول امرىء القيس :

فقلتُ له لمَّا تمطَّى بجوزه وأرْدَف أعجازاً وناء بكَلْكَل[2]

والعَجيزة ، عجيزة المرأة . ويقال : امرأة عَجزاء ، إذا كانت عظيمة العَجِيزة والعَجْزُ : الحفا الذي يأخذ الدابة ، فتنعل لذلك . و « النيل » مصدر نَال يَنال نَيْلاً . يقول : مَنْ جاوز قدْره تَعجز عن نيل الدُّنا ، وهو جمع . وقياس واحده أن

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٧

(٢) ديوانه ص : ١٨

يكون دُنيا و « القُصا » جمع قصوى . وقيل : قُصيا . وقوله : « بَلْه » حرف بمعنى « دَعْ » في الأمر ، ولذلك كان الاختيار النَّصبَ في الإستِثْنَاء إذا قلتَ : جاء القوم بَلْهَ زيداً ، كأنك قلت : دَعْ زيداً ، وأنشد النحويون :[1]

تذر الجماجمَ ضَاحِياً هاماتُها بَلْه الأكفَّ كأنها لم تُخلقِ[2]

وكذلك معنى قول أبي بكر ، أيْ فهذا يَعْجِز عن نَيْل الدُّنا ، دَع القُصَا ، أي لا يبلغ القريبَ دع البعيدَ ، و « الطَّوْق » هو الطاقة ، والطَّوْق أيضاً في غير هذا حَلْيٌ يُجعل في العُنُق ، وكلُ شيء استدار ، فهو طَوْق . وأنشد الخليل بنُ أحمد رحمه الله :

لقد وَجَدْتُ الموت قبلَ ذوقِه والمرءُ يأتي حتفه من فوقه
كلُ امرىءٍ مجاهدٌ بطَوْقِه كالثَّور يحمي أنفَه بِرَوْقِه

أي هو مجاهدٌ بما استدارَ به . وقوله : « مِلْعِبْءِ » أرادَ من العبء فلمّا كانت اللام تُقارب النون في المَخرج ، حذفوها استخفافاً لأنهما حرفان متقاربان .

---

(١) لكعب بن مالك الخزرجي ، وهو صحابي بدري عقبي

(٢) البيت من قصيدة قالها في غزوة الخندق وفي أولها

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الإباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها بين المزاد وبين جزع الخندق

وقبله :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق

ويستشهد بالبيت على عمل « بله » فيروون « الأكف » بالخفض والنصب .

شرح المفصل ٤ / ٤٨

وأيضاً فإن الحرفين اتصلا ساكنين ، ولا يجوز أنْ يُحرك واحد منهما ، فحذفَ النون لبُعدها من اللام . والعرب تقول : بلْحارث وبلْعَنْبر يريدون ، بني الحارث وبني العنبر ، فحذفوا على أصل ماذكرنا . و « العبء » الثقل ، والهمزة في أكثر لغة العرب إذا كان قبلها ساكنٌ لم يُكتب لها صورة .

و « آض » ، أي عاد . و « والمَجزُول » هو المقطوع . يقال : جزَلْتُ الصيدَ بين اثنين ، إذا قطعته و « المطَا » الظهْر . يقول : مَنْ رام مالا يقدر عليه رجَع مقطوع الظهر .

* * *

١٨٠ والناسُ ألفٌ منهمُ كواحدٍ ؛ وواحدٌ كالألف إنْ امرٌ عَنا

١٨١ ولِلفتى مِنْ مالِهِ ماقدّمتْ يَداهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لا ما اقتنى

يقولُ : الناسُ في النوائب رُبما كان منهم ألفٌ كواحد لا يُغنون لقلة بصرِهم وحَزْمهم ، وإن كانوا ألفاً في العَدَد ، فهم كواحدٍ في الحَزْم ، وربما كان واحدٌ في النوائب كالألف لِشدَة حزمه وكَثْرة بصره . وقوله : « إن أمرعنا » أي أمر شقّ يقال : عناني كذا ، أي شقّ عليّ . وقيل : عَنا ، أي قَصَد . ويروى : « إنْ أمرعَتا » وهومن العُتو ، أي إنْ أمر عَظُمَ وصَعُب . وقوله : « وللفتى من ماله » أي إنّ للفتى من ماله ماجادَ به وما أخْرجه في ذاتِ الله جلّ اسمه ، والذي أراد به وجهَ الله لأنه يجدُه في الآخرة . و « اقتنى » افتعل من القنية ، وهي حِفْظُ المال . يقال : اقتناه يقتنيه اقتناء ، وهو أنْ يتخذه لنفسه لا لِلْبيع .

* * *

١٨٢ وَإنَّمَا ٱلْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَى

١٨٣ إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرَيْهِ فَقَدْ أَمَرَّ لِي حِيناً وَأَحْيَاناً حَلا

« المرء » : الانسان . « حديث بعده » ، أي إذا ذهب وبقي ذكره وصار حديثاً إما خيراً وإما شراً « فكن حديثاً حسناً لمن وعى » . أي حفظ . يقال : وَعا العلم يَعيه إذا حفظه . ويقال : وعى عظمهُ إذا انجبَرَ بعدَ كسْرٍ . ويقال : أوْعَيْتُ الشيء ، إذا أدخلتَه في الوعاء ، والواعية ، الصُراخ على الميت . وإذا أمرت من وعى يعي قلت : ع ياهذا ، وعِهْ في الوقف ، وذلك أنَّ فاء الفعل معلولة والفعل على فَعَل يَفعِل ، فكان الوجه إذا أمرْتَ منه أن تأتيَ بألفِ وصل مكسورة ، فتقولُ : أوع ، ثم تَقلِبُ الواوَ ياء لانكسار ما قبلها ، فتقولَ : إيع ، فكرِهوا توالِيَ الكسْرات ، واستثقلوه ، فأسقطوا الياء وألفَ الوصل ، وبقِيَتْ العين وَحدها ، فقلتَ في الوصل : ع يا هذا ، وفي الوقف عِهْ ، فجئْتَ بالهاء لِتقِفَ عليها .

وقوله : « إني حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرَيه » هذا مثل ، يقول : مرَّت عليَّ صروفه من خيره وشره وذُقْتُ بؤسَه ونَعيمَه . والدليلُ على ما قُلنا قوله : « فقد أمرَّ لي حِيناً وأحياناً حلا » . و « شَطْرَيْه » أي ، نِصْفَيه ، وشَطَرْتُ الشيء ، أي جعلته نصفين والشَطْر القصد ، ولا يُستعمل فعل من الشَطْرِ الذي هو القَصْد ، وهو قوله عز وجل : (فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام)[1] أي ، تلقاءه ونحوه . قال الشاعر :

أقول لأم زنباع أقيمي صُدور العيس شَطْرَ بني تميم

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤

أي تِلقاء بن تميم . ويقال : شاة شَطُور ، وهو أنْ يكون أحد طُبْيَيها أكبرُ من الآخر ، وحيٌّ شَطِير ، أي بعيد ، ورجل شَاطِر ، وقد شَطَر شُطُوراً وهو الذي أعيا أهلَه خُبْثاً .

* * *

١٨٤ وَفُرَّ عن تَجْرِبَةٍ نَابي فَقُلْ   في بَازِلٍ رَاضَ الخَطُوبَ وامْتَطَى

١٨٥ والناسُ للدَّهْرِ خَلاً يُلسُّهُمُ   وقَلَّما يبقَى عَلَى اللَّسِّ الخَلا

قوله : و « فُر عن تجربة نابي » يقول : كُشف عن أمري . وهذا مثَل مأخوذٌ من قولهم : فر عن الدابة ، إذا فتح فاها لينظر سِنَّها ، ويعرِفَ صِغَرها من كِبَرِها و « البازل » من الإبل الذي قد بَلَغَ كَمال العمُرُ . و « راضَ الخطوب » أي أذلّهَا ، من قولهم : رُضْت الفرس أرُوضه رياضة ، إذا ذَلّلتَهُ ، واسم الفاعل رائض ، والدابة مروضة ، وأنشدوا :

وتَرُوض عِرسَكَ بعدما هَرِمَت   ومِنَ العناء رياضةُ الهَرِم [1]

و « الخُطوب » الأمور الصِعَاب ،الواحد خَطَب . يقول : فقُل في بازل ذَلَّل الخطوب ، ثم ركب مَطاها قُدْرة عليها وتجربة منه لها . و « الخلا » الحشيش . و « اللسّ » نَتفُ الدَّوابِّ الحشيش بأسنانها . وزعم الخليل : أن اللَّس تَناولُ الدابة الحشيش بجحفلتها إذا شَفَتْهُ ، والخلاية : المِخْلاة سُميت مخلاةً لأنهم كانوا يَختلون للدواب فيها ، والواحدة من الخَلَى خَلاة ، ومنه حديث النبي صلى الله

(١) البيان ١ / ٣٦ : حماسة البحتري ص ٣٤٠ ، العيون ٢ / ٣٧٩ العقد ٢ / ٢٤٢ ، اللآلي ١٠٦ وروايته فيه « أتروض » وهو غير منسوب .

عليه وآله وسلم وذكر مكة فقال : (لا يختلى خلاها ولا تحلُّ لُقطتها إلا لمنشد)[1] .

* * *

١٨٦ عَجِبْتُ مِنْ مُسْتَيْقِنٍ أَنَّ الرَّدَى إذا أتاه لا يُدَاوَى بالرُّقَى

١٨٧ وَهْوَ مِنَ الغَفْلَةِ في أَهْوِيَةٍ كَخَابِطٍ بَيْنَ ظَلَامٍ وَعَشَى

يقول : « عجبت » ممن أيقن أن الموت إذا أتاه لايداويه برقية ولا يدفعه بدواء . و « الرَّدَى » الهلاك . ويقال : رَدِيَ يردى ردى وهو رادٍ ، إذا هلك و « الغَفْلَة » فَعْلَة ، من غفَل عن الشيء يغفل غفلة وغُفُولاً ، والتغافل التعمد ، وأغفلت الشيء ، تركته وأنت له ذاكر ، والمُغفَّلُ ، مَنْ لا فِطْنَةَ له والغُفْل سَبْسَبٌ بعيد لاعلامة فيه ، ورجل غُفْل ليس يعرف ماعنده . ويقال : هو الذي ليس يعرف له حسب . والجمعُ منهما جميعاً أغْفَال . و « الأهوية » الحُفَر التي يضيق أعلاها ويتَّسع أسفلها . و « الخَابط » الذي يَخبط ورقَ الغضى والطلْح وغيره ، أي يضرب به بالعصا حتى يتناثرَ ويعلفه للابل ، والشيطانُ يتخبط الإنسان ، إذا مسَّهُ بأذىً . ومنه قوله جلَّ اسمهُ : (الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس[2]) والمَسُّ : الجنون . يقال : رجل ممسوس أي مجنون . و « العَشَى » ضَعْفٌ في البصر . وفي التنزيل : (وَمَنْ يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً[3]) معناه : يُظلم بصرُه عن ذكر الرحمن

---

(١) ورد في صحيح مسلم بلفظ : لا يختلي شوكها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦

كأنَّ عليه غشاوة . ويقال : عَشَوْتُ إلى النار أعْشو فأنا عاشٍ ؛ إذا استدللتُ إليها ببصر ضعيف . ومَنْ قرأ يَعْشَ بفتح الشين معناه ؛ يَعْمَ عنه . يقال : عشي الرجل يعشى عَشىً فهو عَشٍ ، والمرأة عَشْواء ؛ إذا لم يبصر بالليل . وقيل : معنى (يَعْشُ عن ذكر الرحمن) أي يُعرض عنه .

* * *

١٨٨ نحْنُ وَلا كُفْرانَ للهِ كَما — قَدْ قيلَ لِلسَّارِبِ اَخْلَى فارْتَعى

١٨٩ إذا أحسَّ نَبْأةَ ريعَ ، وَإنْ — تطامَنَتْ عَنْهُ تمادَى وَلَهَا

قوله : « نحن ولا كُفران لله » أي ولا جَحْدَ لله . و « الكُفران » الجَحْد ، والكُفر ؛ التَّغطِيَةُ . ومنه سُمي الكافرُ كافراً لأنه ستر ما يجب أن يظهر ومن هذا قولهم : كَفَر فلان نِعمةَ فلان ، معناه أنه عرَفها وكتَمها . وقيل لليل : كافرٌ لأنه يستُر بظلمته كل شيء . قال لبيد بن ربيعة :

حتى إذا ألقتْ يداً في كافِرٍ — وأجَن عَوْراتِ الثُّغور ظَلامُها[1]

وقال آخر[2] :

فتذَكَّرا ثَقَلاً رَثيداً بعدَما — ألقتْ ذُكاءُ يمينَها في كافِرِ[3]

---

(١) المعلقات : ١١٩

(٢) هو ثعلبة بن صعير المازني ، شاعر جاهلي .

(٣) المفضليات : ٢٥٨ ، اللآلي : ٧٦٨ ، المقاييس ٢ / ٤٨٧ ؛ اللسان « كفر » . إصلاح المنطق : ٣٧٤ وهو من أبيات يصف ناقته :

كأن عَيْبتَها وفضل فِتانِها — فننان من كنفي ظليم نافر —

ويسمى الزارعُ كافراً ؛ لأنه أكفر البذر في الأرض ، أي ستره وغطّاه . قال الله جل اسمه : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته [1]) والكفار ههنا الزُّراع . ويقال : جاء فلان في ألفٍ مُكَفَّرٍ . يقول : ممن غطّى عليه السلاح . ويسمى طَلْعُ النخل كافراً ، لأجل استتاره في أغطيته ، وأحسن ماقيل في قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وسلم : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض [2]) أي لا يَتَكَفَّر بعضكم لبعض في السلاح . و « السَّارِب » الظاهِرُ بماله من الماشيه والإبل ، وكُلُّ مُتَصَرِّف في حَوائِجه ، فهو سارب . ومنه قول الله جل اسمه : (ومن هو مُسْتَخْفٍ بالليل وسارب بالنهار [3]) قال الشاعر [4] :

وكل أناس قارَبُوا قيدَ فحلِهم ، ونحن حَلَلْنا قيدَه [5] فهو سارِب [6]

أي ، ذاهب .

وقوله « أخلى » أي دخل في الخلاء ، وهو الحشيش . وقد ذكرته كما

— يبري لرائحة يساقط ريشها مَرَّ النجاء سِقاطَ ليف الآبر

فتذكرا ... البيت

يصف الظليم والنعامة ورواحها الى بيضها عند غروب الشمس ، ويحتمل أن يكون أراد الليل وذكر ابن السكيت ، وكذلك اللآلي أن لبيداً قد أخذ هذا المعنى فقال :

حتى إذا القت ... البيت

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٠

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٣) سورة الرعد : ١٠

(٤) هو الأخنس بن شهاب التغلبي ، شاعر جاهلي .

(٥) في «الصحاح» : ونحن خلعنا قيده

(٦) المفضليات : ٢٢٥ ، الحماسة ٢ / ١٢٣ ، الأمالي ٢ / ٢٤٧

يقولُ : أظلَمَ ، أي دخل في الظَّلام ، وأصبح ، دخل في الإصْباح ، وأمسى دخل في الإمساء . و « اُرْتعى » افتعل من الرَّعْي . يقول : نحن كهذا السارب الذي هو في خَلْوَة ، والخَلِيَّة من النوق ، التي تكون معقولة ثم تُطْلَق من عِقالها ، والخَلِيَّة من السفن ، التي لا يسير بها مَلاَّحها ، ولكنَّها تسير بنفسها . وقوله : « احسَّ » أي ، وَجَدَ وعَلِمَ يعني السارِب ، يقال : هل أحسَسْتَ الخَبَرَ ؟ أي ، هل عَرَفته وعَلِمته ؟ ويقال : أحَسْتُ في معنى أحْسَسْتُ . ويقال حَسَيْتُ بالشيء، إذا علمته وأنشد الأصمعي :[1]

سوى أنَّ العتاقَ من المَطَايا أَحَسْنَ به ، فهُنَّ إليه شُوْسُ[2]

وأما حَسَسْتَ بغير ألف ، فمن غير هذا . يقال : حَسَّهُم السلطانُ ، إذا قتلهم ، وَجواد مَحْسُوس ، إذا قتله البَرْدُ . ومنه قوله جل وعز : (إذ تحَسُّونهم باذنه[3]) أي تقتلونهم . و « النَبْأة » الصوت . و « ريعَ » أي ، فَزِع . وقوله : نحن كالسارب أخلى ، فارتعى ، فاذا أحسَّ صوتاً فَزع منه وإذا ذهب عنه تمادى في رَعْيِه . وإنما ضرب هذا مثلاً لما يمرُّ به من الحوادث في الدهر ، وما يُراع به من الحوادث في الدهر ، وما يُراع به منها عند نزولها ، ثم إذا ذهب نَسِيَه ، ولها عنه ، « وتَطَامَنَتْ » عنه يَعني النَبْأة ، أي سكنت .

* * *

---

(١) لأبي زبيد الطائي ، اسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم كان نصرانياً ، واختلفوا في إسلامه ، واحتجوا لذلك برثائه لعثمان وعلي .

(٢) اللسان « حسّ »

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢

١٩٠ (١)

١٩١ نُهالُ للشيءِ الذي يَرُوعُنا ، وَنرتَعي في غَفْلَةٍ إذا انْقضَى

١٩٢ إنَّ الشَّقاءَ بالشَّقيِّ مُولعٌ لا يَملِكُ الرَّدَّ لَهُ إذا أتَى

« نُهال » نفزع ، مأخوذ من الهَوْل . وقوله : « للشيء » أي ، من أجل الشيء . والعرب تقول : فعلت هذا لِذِمامك أي من أجل ذمامك . و « يَرُوعُنا » يُفزِعُنا . و « نرتَعِي » نفتعل من الرعي « في غَفْلَةٍ » أي في تَرْكٍ لما كنا فيه من الفزَع ، وقد ذكرت الغفلة في بيت قبل هذا . وانقضى أي ذهب وفرَغت مُدَّته . والشَّقاء والشِّقْوة والشَّقاوة واحد . ومنه قوله عز اسمه : (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا)[٢] وقُرئت شقاوتنا . و « المُولَع » المتعلقُ بالشيء الملازم له لا يكاد يُفارِقُه . يقول : « إن الشَّقاء بالشقي مُولَع » أي مُتَعلق لا يملك الردَّ له إذا أتى ، أي إذا أتاه لا يستطيع دفعه ، فهو متعلق به .

* * *

١٩٣ وَاللَّوْمُ لِلْحُرِّ مُقيمٌ رَادِعٌ وَالْعَبْدُ لاَ يَرْدَعُهْ إلاَّ العصَا

١٩٤ وَآفَةُ العَقلِ الْهَوَى ، فَمَنْ عَلاَ على هَوَاهُ عَقْلُهُ ، فَقَدْ نَجَى

(١) كَثُلَّةٍ ريعت لِليث فانزوت حتى إذا غاب اطمأنت أن مضى

الثلة : بالفتح الجماعة من الغنم ، وبالضم الجماعة من الناس . قال الله تعالى «ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين» : سورة الواقعة ، الآيتان : ٣٩ — ٤٠ ريعت : فزعت ، وانزوت : انقبضت . والليث : الأسد وجمعه ليوث .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠٦

« اللَّوْم » من الملامة ، واللؤم بالضم الشحُّ ، ومهانةُ النفس ، ودَناءةُ الآباء ، والحُر ، الخالص النسب ، والحر الخالص من كل شيء ، يقول : إن اللَّوم مُقيم للحُرِّ مُصلح ما كان فيه من العوَج ، ورادعٌ كافٌ . يقال : رَدَعْته فارْتدع أي كَفَفْته فكفَّ عن نظرة كانت مِني أو نحوها لاباليد . والرَّدْع أن تَرْدَع الجاريةُ ثوباً بالزَّعْفران ، وكذلك تَرْدع صَدْرها . ويقال للرجل إذا أراد عملاً فزال عنه لِكلامك : ارْتدَع ، وأنا رَدَعْته ، والرُداع ، وجع في الجسد . قال الشاعر[1] :

فيا عجباً وعاودني رُداعي [2]

أي ما كنت أجد من الوجع . والمرْدُوع : المنكوس عقلُه .

فقد نجَا ، أي مَنْ مَلَكَ عقلُه هواه ؛ فقد نجا من كل دَنَسٍ و « الهوى » من هوى النَّفس . مقصورٌ يكتب بالياء . والهواء ما بين السماء والأرض ممدود ، والهوى اسم مذموم ، والحُبُّ أحسن منه عند أهل المَحبة ، لأنه اسم محمود . وقد ذَكَر الله جل اسمُهُ أقواماً ، فأخبر أنه (يُحِبهم ويُحبونه) [3] .

* * *

(١) هو قيس بن ذريح ، صاحب لبنى .

(٢) وتمام البيت :

فيا عجباً وعاودني في رُداعي ... وكان فراق لبنى كالجَداع

ديوانه ص ٤٣ ، الأغاني ٨ / ١١٤ ، العقد الفريد ٦ / ١٢٥ ، الاساس واللسان «ردع» ويروى : « فوا كبدي » و «فوا أسفي» و « فياحزنا » بدل « فياعجبا » . والجداع : الموت.

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

١٩٥ كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلاَقُه

أَصْفَيْتَـــهُ الودَّ لِخُلْقٍ مُرْتَضَى

١٩٦ إذا بَلَوْتَ السَّيْفَ مَحْمُوداً فَلاَ

تَذُمُّهُ يَوْماً أَنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَا

« مسخُوطة » مفعُولة ، من سَخِط يَسْخَطُ سُخطاً وسَخَطاً ، كما يقال : سُقْم وسَقَمٌ ، وعُدْم وعَدَم ، وهو نقيض الرِّضا ، يقول : كَمْ مِنْ أخٍ لا تُرضى أخلاقُه أصفَيْته الودَّ بخلق مُرتَضىً منه ، ومُرتَضى : مفتعل ، من رَضِيَ يرضَى رضى وقوله : إذا بلوتَ السيف ، أي إذا جرَّبتَ السيفَ واختبرته ، فوجدتَه محموداً فلا تَذُمُّه يوماً أنْ تراه قد نَبَا ؛ « أنْ » في موضِع نصب لأنه مفعول به ، وبعضهم يقول: مفعول من أجله . ويقول : فلا تَذُمُّه يوماً من أجلِ أن تراه قد نبا ، وأنْ وما قبلَ نبا من الفعل بمنزلةِ المصدر ، ومعناه ، فلا تذمه يوماً من أجل رُؤْيةِ نَبْوَة و « نبا » ارتفع عن المضروب ؛ ولم يقطعْ منه شيئاً .

* * *

١٩٧ وَالطِّرْفُ يَجْتَازُ المدَى وَرُبَّمَا

عَنَّ لِمَعْدَاهُ عِثَارٌ فَكَبَا

١٩٨ مَنْ لَكَ بِالمُهَذَّبِ النَّدبِ الَّذِي

لاَ يَجِدُ العَيْبُ إلَيْـــهِ مُخْتَطى

« الطِّرف » من الخيل ؛ العتيق الكريم ، وهو نَعت للذَّكر خاصةً ، وهو مكسورُ الطاء ، وأما الطَّرْفُ بالفتح ؛ فهو العين ، ومنه قولُ الأعشى :

يزيد يغُضُّ الطَّرف عَني كأنما زَوى بين عينَيه عليَّ المحاجِمُ (١)

فلا ينبَسِطْ مِنْ بَيْنَ عينيك ما انزوى ولا تلقَني إلا وأنفُك راغِمُ

« يجتَاز » يفتَعل ، من جاز يجُوز ، يقول: إن الفرس العتيق يجوز المدى ، وهو الغاية التي يجري إليها ، ورُبَّما عَنَّ ، أي عَرَض ، من عَنَّ لك كذا ؛ إذا عَرَض ، وقد ذكرتُه متقدماً ، ومَعْدَاه أي عَدْوُه ، وهو ضَرْبٌ من جَرْيه . يقال : عَدَا يعدو عدواً ؛ إذا جَرى. و « العِثار » من قولهم : عَثَر الفرس يَعْثُر عِثاراً ؛ إذا هَجَم على أمرٍ لم يهجُم عليه غيرُه ، وأعْثَرْتُ فلاناً على كذا ، أي أطْلَعتُه عليه ، والعِثْير ؛ الغُبار الساطع ، والعِثْير ؛ الأثر الخَفي ، يقال : ما رأيت له أثراً ولا عثيراً ، وقوله « كبا » أي سقط لوجهه و « المُهذَّب » الذي هُذِّب من عيوبه ، أي ، خَلَص من عيوبه . و « النَّدب » المندوب لكل حاجة يحْسُن تصرُّفُه فيها ، وقيل : الندب ، الرجل الخفيف في الحاجة ، والنَّدْب ، أن تَدعُو النادِبَةُ الميتَ بحُسن الثناء عليه ، واسم ذلك النُّدْبة ، وهي مأخوذة من النَّدْب ، وهو أثَر الجرح ، فكأن معنى نَدَبت الميت ، شكوت ما بقلبي من آثار الجراح عليه ، والنَّدب ؛ أن تَنْدُب قوماً في الحرب أو غيرها فينتَدِبون ، أي يُسارعون . والنَّدَب ، الخَطَر ، يقال : قام على نَدَب ، أو نَدَب بنفسه ؛ إذا خاطَر و « المختطى » مفتعل من

(١) ديوانه ص ٥٨ ، اللآلي ص ٤٥١ .

حطـا يخطو . يقول : مَنْ لك بالمُهذَّب الذي لا يجد العيب إليه مَوْضِعَ خُطْوَةٍ ؟ وهذا مثل .

* * *

١٩٩ إذَا تَصَفَّحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ ‏ ‏ تُلْفِ امْرأً حازَ الكَمالَ فَاكْتَفَى

٢٠٠ عَوِّلْ عَلَى الصَّبْرِ الجَمِيلِ إنَّهُ ‏ ‏ أَمْنَعُ ما لاذَ بِهِ أُولوا الحِجا (١)

٢٠١ وَعَطِّفِ النَّفْسَ عَلَى سُبْلِ الأَسا

إذَا أَستفزَّ القَلْبَ تبريحُ الجَوى (٢)

٢٠٢ والدهر يكبو بالفتى وتارةً ‏ ‏ يُنْهِضُهُ مِنْ عَثْرةٍ إذا كَبا (٣)

٢٠٣ لا تعجبَنْ من هالكٍ كيفَ هوى ‏ ‏ بل فاعجبن من سالمٍ كيف نجا (٤)

« التَّصفح » البحث عن الشيء . يقول : إذا سألتَ عن أمورِ الناس

---

(١) عول على الصبر أي ارجع إليه واعتمد عليه إنه أمنع ، أي : أحمى وأقوى . لاذ : لجأ وركن واستتر . والحجا : العقل ، فأولو الحجا اولوا العقول .

(٢) وعطف النفس على : ردها . وسبل : طرق واحدها سبيل ، والأسا : التصبر ، إذا استفز : استخف والتبريح : الشدة وجمها تباريح ، والجَوى مقصور مفتوح الجيم : والجوى يكتب بالياء لأنه يقال جَوِي يجوى جوى ، ويروى تبريح الأسى . والأسى بفتح الهمزة الحزن .

(٣) والدهر يكبو أي : يعثر . يقال : كبا يكبو بمعنى عثر يعثر . وتارة ، أي : مرة وحينا . ينهضه : يقيمه ، إذا كبا : سقط وعدا — كبواً واسم الفاعل كاب

(٤) والمصدر هوى : سقط يقال : منه هوي يهوى هويا . ونجا : خلص

وبحثت عن ذلك لم تجدْ أحداً كاملاً . و « تلفي » أي ؛ تجد ، وأَلفَيتُ ؛ وجدت . وأنشدوا :

حَفِظْتَ الذي أَلفيْتَ شيخَكَ قد بنى وأَسَّسْتَ بُنْيَانًا له ليس يُهدم

و « حازَ » صار في حِيازَتِهِ . و « الكمال » التمام . يقال : كَمل الشيء يَكْمُلُ كَمالاً .

* * *

٢٠٤ إنَّ نُجُومَ المَجْدِ أمسَتْ أُفَّلاً وَظِلَّهُ القَالِصُ أَضْحَى قَدْ أَزَى

٢٠٥ إلاَّ بَقَايَا مِنْ أُنَاسٍ بِهِمُ إلىٰ سَبيلِ المَكْرُمَاتِ يُهْتَدَىٰ

« النَّجم » يقع على الثُّريا وعلى كل منزل من منازل القمر ، وسُمي نجماً لارتفاعه ، ويقال : نَجَم النبت ؛ إذا ارتفَعَ وطَال . وقوله : « أُفَّلاً » جمع آفل . يقال: أَفَل النجم يأْفل أُفولاً ؛ إذا سقط ، واسم الفاعل يأتي في جمعه على فُعَّل وفُعَّال . مثل نائِم ونُوَّم ونُوَّام ، وقائِم وقُوَّم وقُوَّام . و « ظِلُّه القالِص » المجتمع . ويقال : قَلَص ؛ إذا انضم ، وفرس قالِص ؛ طويل القوائم . منضم البطن ، وإذا انضم يقال : أزى الشيء إلى الشيء يأزي أَزْياً ؛ إذا انضم إليه . فكأنه قال : إن نجوم المجد قد أفلَت ، وظِلّه المُنضم قد انضم ، أي ازداد انضِماماً . وهذا وجهه عندي لا أعرف له وجهاً ، كما تقول : قلَّ القليل من نائل فلان ، أي قلَّ عليَّ فكأنه ازداد قلَّةً . وزعم قوم : أن أزى ، ظهر . وليس لهذا وجه ههنا . وقوله « إلا بقايا من أناس » يقول : إن نجومَ المجد قد أفلَت وذهب الكرام إلا بقايا من أناس « بهم إلى سبيل المكرُمات يقتدى » ، ويُروى : يُهتدى لأنه لما ذكر

النجومَ وأُفولَها ، وذكر مَنْ بَقِيَ ، جعلهم يُهتدى بهم كما يُهتدى بالنجوم في الفَلَواتِ . و « السبيل » الطريق . ومَنْ رَوَى يُقتدى ، فهو قريبٌ من هذا . يقال : اقتدَيْتُ بفلانٍ في فعله ؛ إذا فعلتَ فِعلاً احتذَيتَ فيه بفعله .

* * *

٢٠٦ إذَا الأَحَادِيثُ اقتَضَتْ أَنْبَاءَهم
كَانَتْ كَنَشْرِ الرَّوْضِ غاداهُ السَّدى

٢٠٧ (١)

٢٠٨ مَا أَنعَمَ العَيشَةَ لَوْ أَنَّ الفَتَى يَقْبَلُ مِنْهُ الموتُ أَسْنَاءَ الرُّشَا

قوله : « إذا الأحاديث اقتضت أنباءهم » أي طلبت الأحاديثُ أخبارَهم . و « الأنباء » الأخبار ، الواحد نَبأ ، ويُروى : انتضَت ، وهو افتعلت ، من نَضَا ينضُو ، إذا ظَهر ، فيكونُ المعنى ؛ إذا الأحاديث أظهرت أنباءهم ، وكأن التقدير كانت الأنباء كنشر الرَّوْض و « غاداه » من الغُدُو ، و « السَّدى » الطَّل ، وأحسنُ ما تكون الرَّوْضة وأزْكَى إذا سقط الطَّلُّ على نُوَّارِها وانتشرت رائحتها ، وقوله : « ما أنعم العَيشة » يقول : الحياةُ طيبةٌ لو أن الموتَ يقبلُ رشوةً على البقاء ، و « أَسْنَاء الرُّشا » أرفعُها .

* * *

---

(١) لا يسمع السامع في مجلسهم هُجراً إذا جالسهم ولا خنا

الهجر بضم الهاء : القبيح من القول ، وكذلك الخنا في الفعل يقال : قد اخنى الرجل في منطقه وفعله يخني .

٢٠٩ أَوَلَوْ تحلّى بالشَّبابِ عُمْرَهُ		لم يَستلبْهُ الشَيْبُ هاتيكَ الحُلى

٢١٠ هيهاتَ مَهْما يُستعرْ مُستَرجَعٌ		وفي خُطوبِ الدَّهرِ للناسِ أُسىً

« تحلّى » تفعّل من الحَلْي و « الحَلي » كُل شيء حَلّيتَ به امرأةً أو سيفاً وقَدْ تحلّت المرأة ، إذا اتخذَت حَلْياً ، وحَلّيْتُها أنا أُحلّيها تحلية إذا البستها الحَلي ، قال الله عزَّ اسمُهُ : (يُحَلَّوْنَ فيها من أساوِرَ من ذَهَبٍ)[1] والحُلِيُّ الجمع ، ويقال : امرأة حَالِيَة ، مُتَحَلِّيَة ، و « الشباب » أول العُمُر ، و « يَستلبه » يفتعل من سَلَبَ يَسْلب ، وقوله : « يَسْتَعِرِ » يستفعل من العَارِيَة و « في خطوب الدهر للناس » أي فيما يَمرُّ على الناس من الخُطوب و « الخُطُوب » جمع خطْب ، وهو سَبَب الأمر ، تقول : ما خَطْبُك ؟ أي ، ما أمرك ؟ وتقول : هـذا خَطب جَليل ، أي أمر جليل ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : (الخَطْبُ يَسير وقد اجتهدنا) و « الأُسى » جمع أُسْوَة ، وهو أن يَتَأسى الإنسان بما يَحِلُّ بغيره ، وقد ذكرته فيما تقدم .

* * *

٢١١ وَفِتْيَةٍ سامَرَهم طَيْفُ الكَرى		فَسامَرُوا النومَ وَهُمْ غِيدُ الطُّلى

٢١٢ والليلُ مُلْقٍ بالمَوامي بَرْكَهُ		وَالْعِيسُ يَنْبُشْنَ أَفاحِيصَ القَطا

« سامرهم طيف الكرى » السَّمَر ، الحديث بالليل ، لأنهم كانوا يجلسون ويتحدثون ، ولا يقال : « سمر » بالنهار . وقولهم : هذا كتاب السَمَر ، أي ؛ كتاب

(١) سورة الكهف ، الآية : ٣١

الدهر ، والعرب تقول : لا أفعله ما سَمَر ابْنَا سَمِير ، أي ما اختلف الليلُ والنهارُ .

والسُّمَّار ، المتحدثون ، واحدهم سَامِر ، والسامِريُّ ، منسوب إلى سامِرة ، وهي بلدة ، وقوله : «سامَرَهم طيفُ الكرى» ، أي حادَثهم ، و « الطيف » مايراه الإنسان في المنام و « الطَّائِف » التي بالغَوْر ، إنما سميت طائفاً بالحائطِ الذي كانوا بنَوْا حولها في الجاهلية ، وحَصَّنها ، قال أمية في ذلك [1] :

نحنُ بَنَيْنـــا طائِفاً حَصِيناً نُقارِعُ الأعداء عن بَنِينا [2]

و « غِيد الطُّلَى » أي ، مَائِلوا الأعنـــاقِ و « الأغيد » المائل المُتَثَنِّي والمَوامِي ، المَفَاوِز ، واحدها موماة ، وأنشدوا [3] :

وما تُهَيِّبُني المَوْمَاةُ أركَبُهـا إذا تجاوَبَتِ الأصداءُ بالسَّحَرِ [4]

يريد ما أتهيَّبُ المَوْمَاةَ .

و « البَرْك » كَلْكَلُ البعير ، وهو صدره ، فجعل لليل بَرْكاً على الاستعارة والبرك ، القطعة من الإبل ، وأنشد الخليلُ بن أحمد [5] :

وبرك هجودٍ قد أثَرْتُ مَخافَتي بواديها أمشي بعضب مُهَنَّدِ [6]

---

(١) هو أمية بن أبي الصلت ، واسمه عبد الله بن أبي ربيعة ، شاعر جاهلي أدرك الإسلام ومات كافراً ، ويكنى أبا عثمان .

(٢) ديوانه ص : ٦٨

(٣) البيت لابن مقبل .

(٤) شواهد المغني : ٣٢٨ .

(٥) البيت لطرفة بن العبد البكري .

(٦) من معلقته المعروفة ومطلعها :

لخولة أطـــلال ببرقة ثهمد تلوح كبا في الوشم في ظاهر اليد

مختار الشعر الجاهلي ١ / ٣٢١ ، اللسان « برك » ، ورواية البيت في الموضعين :

وبرك هجود قد أثارت مخافتي بواديهـا أمشي بعضب مجرَّد

وقوله : و « العِيس يَنْبِشْن » أي يُخْرُجْنَ من النَّبيثَة ، وهي التراب الذي يخرج من البئر أو النهر ، والجمع النبائث ، و « الأفاحِيص » جمع أُفْحُوص ، وهي للقَطَاةَ كالعُشِّ للطائر . وقيل له : أفحوص ، لأنها تَفْحَصُه بصدرها ، وهذا مثل .

يقول : هذه الفتيةُ سامَرَهم هذا الطَّيْفُ ، والليل على ما وصف ، والعيس ، وهي الإبل البيض ، يَنْبِشْنَ بأرجُلِها أفاحيصَ القطا ، أي تَتْرُك في المَوامي إذا وُطِئَت مثلَ أفاحيصِ القطا .

* * *

٢١٣ بحَيْثُ لا تَهْدي لِسَمْعٍ نَبْأَةً … إلاَّ نَئِيمَ البُومِ أَوْ صَوْتَ الصَّدَى

٢١٤ شَايَعْتُهُمْ على السُّرى حتى إذا … مَالَتْ أَدَاةُ الرَّحْلِ بالجُبْسِ الدَّوَى

يقول : سامَرَهم طيفُ الكرى بهذه المَوامي التي لا تَهْدي لسمعٍ نَبْأَةً بها إلا نئيمَ البوم ، وهو صوته ، و « البوم » طائر قبيح الصوت ، وقوله : أو صوت الصدى ، يقول : لا يسمع بها صوت إلا نَئِيم البوم أو صوت الصدى ، وهو ما يَسمعُ مجاوباً له إذا صاح ، قال الشاعر (١) :

أجِزْني إذا أُنْشِدتَ مَدْحاً فإنما … بشِعري أتاك المادحون مُرَدَّدا (٢)

ودَعْ كلَّ صوتٍ بعدَ صوتي فإنني … أنا الصائحُ المحكيُّ والآخرُ الصدى

(١) لأبي الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

لكل امرىء من دهره ما تعودا … وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

الديوان (طبعة عزام) ص ٣٦١ ، شرح العكبري ٢ / ٢١١ ، الوساطه ص ٢٢٢ .

والصَدَى في غير هـذا ، ما يعلو السيفَ قبل الصِقال ، يقال صَدَى يَصْدَى صَدًى وأنشدوا :

فيا سائلي عنـه هو الذهبُ الذي وَجَدْناه لا يَصْدَى وإنْ قَدُمَ الدَّهر

وقوله : « شـايعتهم » على السُرى ، أي تابعتُهم ، والمُشايعَة ، مُتابعَتك الإنسـان على أمره ، و الشيعة ، قوم يتشيعون ، أي يُحبون قوماً و يُتابعونهم ، وشيَّعْت فلاناً ، خرجت معه وودَّعتُه و « السّرى » سَيْر الليل ، وأداة الرَّحْل . قِطَع الأكسية وما أشبه ذلك من الجلس والبرذعة . و « الجِبْس » الرجل الضعيف و « الدَّوى » أي الأحمق ، وهو مقصور . و « الدَّواء . الذي يُتداوى به ممدود . يقول : شايعت هذه الفتيةَ على سَيْر الليل حتى إذا مالَتْ أداة الرَّحل بالضعيف الأحمق لـكسله ونُعاسه .

* * *

٢١٥ قُلْتُ لهم إنَّ الهُوَيْنا غِبُّها وَهْنٌ فجدوا تحمَدُوا غِبَّ السُّرى

٢١٦ ومُوحِشِ الأقطارِ طامٍ ماؤه مُدْعَثِرِ الأعْضادِ مَهزُومِ الجَبا

« الهوينا » الإبطاء في السير والتهاون به . و « غِبُّها » ما يجيء بعدها . و « وَهْن » أي ضَعْف . فجدُّوا ، أي اجتهدوا . « تحمدوا غِبَّ السّرى » أي، ما يجيء بعدَ السُّرى . و « السُّرى » سير الليل يقول : اجتهدوا تحمَدوا ما بعد الليل ، أي إذا أصْبحتُم قَطعتُم المسافة حَمِدْتُم حمدكم . وهذا القول مأخوذٌ من قول خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو باليمامة : (عند الصباح يَحْمَدَ القومُ السُّرى[1])

---

(١) مجمع الأمثال : ٢ / ٨

وذلك لمّا بعثَ إليه أبو بكر رضيَ اللهُ عنه وهو باليمامة ، أنْ سِرْ إلى العراق ، وأراد سُلوك المَفاوز ، فقال له رافع : قد سلكتُها في الجاهلية ، وهي خمسٌ للإبل الواردة ، ولا أظنُك تقدر عليها إلا أن تحمِل الماء . فحمل الماء واشترى مائة شارفٍ من الإبل ، فعطّشها ، ثم سقاها حتى رَوِيَت ، وكعم أفواهها ، ثم سلك المفاوز . حتى إذا مَضى يومان ، وخاف العطش على الناس والخيل ، فخشي أن يذهبَ الماء من بطون الإبل فنحرها ، واستخرج ما في بطونها ، فسقى الناسَ والخيل ، ومضى فلما كانَ في الليلةِ الرابعةِ قال رافع : انظروا هل ترون سِدراً لطافاً ، فإن رأيتموه وإلا فهو الهلاكُ . فنظر الناسُ ورأوا السِدْر ، فاخبروه ، فكبّرَ ، وكبّرَ الناس معه . ثم هجموا على الماء فقال خالد رضي الله عنه :(١)

لله درُّ نافعٍ أنى اهتدى فوّزَ من قُراقِرٍ إلى سُوى (٢)

خِمساً إذا سار بها الجِبْسُ بكى ما سارَها من قبلِهِ انسٌ برا

عِندَ الصّباحِ يحمَدُ القومُ السُّرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى

وقوله و « موحِش الأرجاء » أراد حوضاً أو قليباً . و « الأرجاء » النواحي أي موحش النواحي ، بعيد العهد بالأنس . وقوله : « طام ماؤه » أي : مرتفع . و « المُدعثر » المهدُوم . و « الأعضاد » صفائحُ من حجارة ينُصَبْنَ حولَ شَفير الحوض و « الجَبا » مفتوح الأول ؛ وهو ماحول البئر والحوض ، مقصورٌ .

* * *

(١) البيت لأحد المسلمين ولم يذكر من هو .

(٢) البيتان الأول والثاني في الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٨٠ ، والبداية والنهاية ٧ / ٦ ، ومعجم البلدان « قراقر » « سوى » والبيت الأول في الاشتقاق لابن دريد ص ٣٨٩ . ورافع دليل خالد المذكور ،هو رافع بن عميرة من رجال طيء .

٢١٧ كأنما الريشُ على أرجائه		زُرْقُ نِصالٍ أُرْهِفتْ لِتُمْتَهى

٢١٨ ورَدْتُه والذئبُ يَعْوي حَوْلَه		مُستَكَّ سَمِّ السَّمْعِ مِن طُولِ الطوَى

قوله « كأنما الريش » على أرجائه ، أي على نواحي هذا الحوض ، وذلك أن الطير تَرِدُه ، فتشرَب منه ، ويتساقَطُ ريشها عليه ، فكأنه على نواحيه « زُرق نصالٍ » وهي ههنا السِّهام . و « أُرْهِفت » أي ؛ رُقِّقت . يقال : أرهفتُ السهم ، وهو سهم مرهَف . وتُمْتَهى تُفْتَعَلُ من أَمْهيت السكين ، إذا سَقَيْته بالماء . وأصل الماء مَوْه ، وتصغيره مُوَيه . ويقال : ماهَت السفينة ، وهي تَمُوه وتَماه ؛ إذا دخل فيها الماء . قوله : « وردته » أي وردت الماء . و « الذئب يَعوي حوله » من شِدَّة جوعه وبُعده من الأنيس . ومعنى « يعوي » أي ؛ يصيح . وقوله : « مُسْتَكٌّ سَمِّ السمع » مُفْتَعَل من سَكَّ سَكَكاً ؛ إذا صَغُر ثقبُ أُذُنه وضاق صِماخُه . وقد يُوصف به الصَّمَم . يقال : استكَّ سمعه . توصف به القَطَاة قال الشاعر : (١)

أما القطاةُ فإني سوف أنعَتُها		نعتاً يوافقُ نعتي بعضَ مافيها (٢)

سكاءُ محفوظةٌ في ريشها طرَقٌ		حُمْرٌ قوادمُها سودٌ خَوافيهـا

والطَّوى ؛ الجوع ههنا ، والطَّوى ، خَمَص البَطن .

* * *

(١) هو عليل بن الحجاج الهجمي على الأكثر .

(٢) ذيل الأمالي ص ٢١١ – ٢١٢ ، وهما البيتان الأولان من قصيدة كثر مدعوها . حتى مايدرى لمن هي ، وكان أبو عبيدة يصححها لعليل . ورواية البيت الثاني :

سكا ومخطومة في ريشها طرق		سود قوادمها صفر خوافيها

٢١٩ ومُنْتَجٍ أمُّ أبيه أُمُّهُ   لم يَتَخَوَّنْ جِسْمَه مسُّ الضَّوى
٢٢٠ أفْرَشْتُه بنتَ أخيه فانْثَنَتْ   عن وَلَدٍ يُورَى به ويُشْتَوى

قوله « مُنتج » فيه قولان : أصحهما أن يكونَ مفتعِلاً من النَّجْوَة ، وهو المكان المرتفع ، فيكون الأصل « مُنْتجِواً » فوقعت الواو في مَوْضِعِ حركةٍ ما قبلَها مكسور ، فسكنت ، وقلبتْ لكسرة ما قبلها فصارت ياء ساكنةً دخل عليها التنوين فسقطت الياء للساكنين فقلبت و « منتج » . و « الواو » بمعنى رُبَّ والمعنى ؛ رُبَّ غُصن فوق نَجْوَة .

والوجه الثاني وهو الضعيف أن يكونَ مُنتجٍ « مُفْتَعِل » من النتاج ، فيكون غَلَطاً في النحو لأنه إنما يقال : نُتِجَتِ الناقةُ ، ونَتَجها أهلُها . فمحال أن يأتيَ من الثلاثي اسم المفعول على مُفْعَل ، وإنما يكون على مفعول، كما تقول: ضُرِب فهو مَضروب . ويأتي مُفْعَل من الرباعي ، كقولك : أكرمْتُه فهو مُكْرَم . غيرَ أن أبا اسحق الزجاج حكى أنه يقال : نُتِجت الناقة وأُنْتِجت بمعنى واحد فهو على هذا جائز ، وإنما معناه كما حدثنا به أبو العباس اسماعيل النحاس ،قال : سمعت عليَّ بنَ سليمان يقول : نُتِجَتِ الناقة ؛ إذا ظهر نِتاجُها . ولا يُعرف لها وجهٌ غير هذا ، وإنما جاء عن العرب نُتِجَت لا غير . ومعنى البيت على هذه الرواية ، رُبَّ غُصن مولودٍ . وهو على الاستعارة . ثم قال : « أمُّ أبيه أُمُّه » يَحْتمِلُ وَجْهَيْن : يجوز أن يريد بأم أبيه التي هي أمه : الأرضَ ، فكأنه وَصَفَ غصناً نَبَتَ من غصن قُطِعَ من شجرة ، فالأرض أم الغصن وأم الغصن الذي نبت منه ، فقد صارت أمُّ أبيه أُمَّه .

ويجوز أن يريد غصناً قُطِـع من فرعٍ من شجرة ، فتلك الشجرة أم الفرع والفرعُ جعله للغصن بمنزلةِ الأب على الاستعارة . والشجرة أمُ الفرع وأمُ الغصن لأنه منها ، فصارت أم أبيه أُمّه .

وقوله : « لم يتخوّن جسمه مسّ الضّوى » يتخوّن ، يتعاهَدُ . يقال : فلان يتخوّنه الخبل ، يتعاهده ، والتخوّن ، التنقّصُ . ويقال : خانَ فلاناً قدمُه ، أي أتاه الضّعف من قبله ، وخانته رجلاه ، أي أتاه الضعف من قبلهما . ويروى : لم يتخوّرْ جسمه بالراء ،وهو تفعّل من الخور ، وهو الضعف . ومنه يقال : رجل خوّار أي ضعيف . و « الضّوَى » الرقـة والهزال . يريد : أن هـذا الغصن لم يتعاهدْه الضعف والرقة ، وإنما يَصِف الزّنْد الأعلى ؛ وهو عود يؤخذ من المَرْخ وغيره ، ثم يُؤخذ عودٌ آخر ، وهو الزّندة السفلى ، فيفرضُ فيها فُرْضَـة ، ثم يُحَكّ حتى يُخرِجَ النارَ . فهذا الذي عناه بقوله : ومنتج ، يعني الزّند الأعلى . ثم قال : « أمُ أبيه أمهُ » على ما بينا . وإنما نحا في هذا نحوَ قولِ ذي الرُّمة في قوله حيث ذَكَر ناراً ، فقال :

وَسِقْطٍ كعين الديك نَازَعْتُ صبحتي ‏ ‏ ‏ أباهـا وهيّأنا لموقعهـا وَكْرَا(١)

يعني النارَ ، فجعلها سقطاً بمنزلة الولد ؛ إذ كانت على الزّند وَلَدت . ثم قال :

مُشمّرةٍ لا تَمكّن الفحل أمها ‏ ‏ ‏ إذا هي لم تمسك بأطرافها قسراً(٢)

---

(١) ديوانه ص : ١٧٥ .

(٢) ديوانه ص ١٧٥ ، وروايته :

مشهرةٍ لا يمكن الفحلُ أمّها ‏ ‏ ‏ إذا نحن لم نمسك بأطرافها قسرا

وقوله : « أمها » يريد أم النار ؛ وهي الزّندة إذا لم تمسك بأطرافها لم تقدح ولم تور النار . يقول : قدحت من بعض جوانبها ابنها ، فكأن الفرضة التي خرجت منها النار مرة عواناً ، من جنب إلى جنبها ، بكر لم يخرج منها نار قبلها ، ثم قال :

أخوها أبوها والضَّوى لا يَضيرُها   وَساقُ أبيها أمُّها عقرت عقرا[1]

يقول : أخو هذه الزندة أبوها . وزعم بعض الرواة : أن هذا أكبر من هذا وهما من شجرة واحدة . وقوله : «وساق أبيها أمها» . يقول : إن ساق هذه الشجرة التي قطعت منها هذه الزّندة هو ساق الغصن الذي قطعت منه . يقول : صار ساق أبيها أمها ، أي هما من شجرة واحدة . وقوله : عقرت عقراً ، أي « كسرت كسراً » .

وقوله : « أفْرَشْته بِنت أخيه » يعني الزّندة . وجعلها له بنتَ أخيه يحتَمِلُ وجهين : إذا جعل الأمَّ الأرضَ كما ذكرنا ، كان المعنى انّ هذه الزّندة من غصنٍ هو أخو ذلك الغصن الذي أخذ منه الزّندة ، لأن الأرض أمها جميعاً . فهذه الزّندة بنتُ أخي هذا الزند .

وإن جعلتَها من شجرة واحدة ، كان معنى بنتِ أخيه ، أنه يعني الزّندة . وأنها من غصن غُرِس هو والغصن الذي قُطع منه الزّندُ من شجرة واحدة . فصارت هذه الزّندةُ بنتَ أخي هذا الزّند إذا كانت الشجرةُ التي قطعها منها أمّاً . وقوله : « يُورى به » أي يستضاء به . ومنه يقال : وَرَتْ بك زنادي أي ظهر منها نار يستضاء بها . و « يُشْتَوى » يُفْتَعَل من شَوى يَشوِي .

* * *

(١) ديوانه ص : ١٧٥

٢٢١ ومَرْقَبٍ مُخلَوْلِقٍ أرْجاؤُه مُسْتَصْعَبِ الأقذافِ وَعْرِ المُرتقى

٢٢٢ (١)

٢٢٣ أوْفَيتُ والشَّمسُ تمجُّ رِيقَها والظِّلُّ مِنْ تحتِ الحِذاءِ مُحْتَذَى

« المَرْقَب » الجبل ، والمرقب مَجلِس الرقيب ، وهو الحارس الذي يُشرف على مَرقَبه ليحرُسَ . و « المُخْلولِق » الأملس . و « الأقذاف » جمع قذف ، والقذف : الناحية . والأقذاف النواحي من كل شيء . و « المُرتقى » : مُفْتَعل من رَقَى يرقى رُقياً ؛ إذا صَعِد ، ويُروى . « وعر المرتبى » وهو مُفْتَعل من ربا يربو إذا ارْتفع . والربوة : أرض مرتفعه ، وفيها لغات : رُبوة ورَبوة ورَباوة والجمع الرُّبى ، وقوله عز اسمه (وآوَيناهما إلى رَبوة ذاتِ قرارٍ ومَعين [٢]) وزعم قوم : أنها البيت المُقدَّس . وقال قوم : هي دَمشق . وقوله : « أوفيت » أي أتيت ووصلت . و « الشمس تمُجُّ ريقَها » أي هي في غاية ارتفاعها وشدة حرِّها . وإذا اشْتَدَ الحرُّ ظهر على وجه الأرض شبيهٌ بالزجاج الأبيض تُولده شدة الحر ،فجعله للشمس رِيقاً . و « تمُجُّه » أي تلقيه ، من قولهم : مجَّ الشراب يمجّه مجّاً ؛ إذا ألقاه ، وقد ذكرته فيما تقدم . وقوله : و « الظِّل » يعني ؛ ما يَستُر من الشمس من ظله ، والظِّلُّ في كلام العرب ؛ السِتر . ومنه قولهم : أنا في ظِلِّ فلان ، أي

---

(١) والشخصُ في الآل يرى لناظرٍ ترمُقُه حيناً وحيناً لا يرى

الشخص هنا : هو الشيء المرتفع، مأخوذ من شخص : إذا ارتفع . الآل : السراب . ترمقه : تنظره . حيناً : وقتاً .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٠ .

في سِتره . ومنه : ظِلُّ الجنة ؛ إنما هو سِترُها، وظِلُّ الليل ؛ سواده ،وسِترُه كلَّ شيء . والعامة لا تكاد تُفرق بين الظِلِّ والفَيْء ،وبينهما فرق ، لأن «الظِلَّ» يكون في أوقات و « الفَيْء » إنما يكون بعد الزوال ، وسمي فيئاً ،لأنه فاء من جانب إلى جانب ، أي رَجَعَ . ومنه قول الله عز اسمه : (حتى تفيء إلى أمر الله[1]) أي ترجع ، وقوله : « من تحت الحِذاء مُحتذى » يعني أن ظِلَّ الإنسان قد صار نعلاً ، ولم يبقَ منه شيء وذلك أشدُّ ما يكون من الهاجرة . ومُحتذى : مُفتَعَل من الحِذاء و « الحذاء » هو النعل . أي صار ظِلُّه كأنه حُذِيَ مع النعل .

* * *

٢٢٤ وَطارِقٍ يُؤْنِسُه الذئبُ إذا ... تَضَوَّرَ الذئبُ عِشاءً وأَنضوى

٢٢٥ آوى إلى نَارِي وَهْيَ مَأْلَفٌ ... يَدْعُو العُفاةَ ضَوْءُها إلى القِرى

قوله : « وطَارِقٍ » يعني ضيفاً طَرَق ليلاً ، وكل من أتى أحداً ليلاً فقد طَرَقَه . وسُمِيَ النجمُ طارقاً ، لأنه في الليل يطلُع ومنه قول جرير[2] :

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٩

(١) لم نعلم أحداً نسبه لجرير ، وهو من أبيات تنسب لغير واحد ، وقد استشهد به في «المغني» ٢ /٩ ؛ على الاعتراض بجملة الاختصاص ، ولم ينسبه ، وفي « حاشية الأمير» قال : هو لهند بنت عتبة زوج أبي سفيان تحرض به المشركين يوم أحد قبل إسلامها . وقيل: لهند بنت بياضة بن رياح بن طارق الايادية ، قالته في حرب الفرس لإياد بالجزيرة ، وكان رئيس اياد بياضة الأيادي ، فتمثلت به المرأة يوم أحد ، وقيل غير ذلك ، أخرج البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام قال :عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ? فقمت ، فقلت : أنا . فأعرض عني ثم أعاد القول ، فقام أبو دجانة فقال : أنا آخذه بحقه ، فما حقه ? قال : ألا تقتل به مسلماً ولا تفر به عن كافر ، وكان إذا أراد القتال أعلم بعصابة فقلت: لأنظرن اليوم اليه كيف يصنع ، فجعل لا يرتفع إلى شيء إلا هتكه حتى –

نحن بناتُ طارقُ نمشي على النمارق

أي نحن بنات النَّجم في عُلُوه وشرفه .

وقوله : « يؤنسه الذئب » يعني أن الذئب قد كَثُر صياحه في هذا الوقت لِكَلَب الزمان . وقوله : « تضوّر » الذئب أي ؛ صاح لشدة ما به من الجوع . يقال : فلان يَتَضَوَّر لما هو فيه ، أي هو في قَلَق شديد . و « عوى » أي صاح أيضاً . يقول : رُبَّ طارق طَرَقني في مثل هذا الزمان وشدته ، فأوى إلى ناري ، فوجدها مَأْلَفاً . وقد بيَّنَ هذا بقوله : آوى إلى ناري . يقول : رُبَّ طارقٍ آوى إلى ناري وهي مَأْلَف ، أي أكثر ما توقد للزُوّار ، فصارت لهم مَأْلَفاً . وقوله : « يدعو العُفاة » وهم طُلَّاب القِرَى والمعروف . يقول : إن ضَوْءَها يدعوهم إلى القِرى . والكرام من العرب يُوقِدُون النار لِيُسْتَدَل بضَوْئِها على أمكنتهم . قال حاتِم يُخاطِبُ غُلاماً له (١) .

أَوْقِدْ فإن الليلَ ليلٌ قَرٌّ والريحَ يا واقد ريحٌ صِرٌّ

أَوْقِدْ يَرى نارك مَن يَمُرُّ إن جلبتْ ضيفاً فأنت حُرّ

ويقال : قراه يَقْريه إذا أضافه ، فكأنه يقول : ضوء هذه النارِ يدعُو الأضيافَ إلى الضِيافة .

* * *

- انتهى إلى نسوة في سفح الجبل معهن دفوف فيهن أمرأة وهي تقول : نحن بنات طارق نمشي على النمارق : والمسك في المفارق : والدر في المخانق : إن تقبلوا نعانق ونبسط النمارق : أو تدبروا نفارق فراق غير وامق . فأهوى بالسيف إليها ثم انكشف عنها ، فقلت له : لم لا تضربها ؟ قال : والله إني أكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل به أمرأة .

انظر المغازي للواقدي : ١٦١ - ١٦٣ ، ١٧٦ - ١٧٧ .

(١) العقد ١ / ١٩٧ ، ديوانه ص : ٢٠ وقد أسقط فيه البيت الثاني

٢٢٦ لِلّهِ ما طَيفُ خيالٍ زائرٍ   تَزِفُّهُ لِلقلبِ أحْلامُ الرُّؤى

٢٢٧ يَجُوبُ أجْوازَ الفلا مُحْتقِراً   هَوْلَ دُجى اللّيل اذا اللّيلُ انبرى

قوله : « لِلّه » اللام في هذا الموضع للتعجب . يقال : لِلّه زيدٌ ما أجملَه في جميع حالاته ، وقوله : « ما طيف خيال زائر » ما زائدة ، والتقدير لِلّه طيفُ خيالٍ و « الطَّيْف » : ما يراه الإنسان في النوم ، وفيه لغتان : طَيْف وطائف ، و « تزفُّه » تحمِله وتوصله ، من قولهم : زَفَفْت العرُوس إلى زوجها أزُفُّها زفّاً ، وزَفَّ الطائر بجناحيه زفيفاً ، إذا ترامى بنفسه ، وقوله : « يجُوب » أي ؛ يقطع ، يقال : جُبت البلادَ أجوبُها جوْباً إذا قطعتها ، و « الأجواز » : الأوْساط ، واحدها جوْز ، و « الفلا » : جمع فلاة ، وهو القفر من الأرض ، و « محتقراً » أي مُستصغراً لِهوْل دجى الليل . و « انْبرَى » : انفعَل مِن برَى فلان لفلان ، إذا عرض له ، فهو يَبْري له برْياً ، والمُباراة ، أن يُباري بجوده الغيث ، أي يصنعُ بجوده ما يصنعُ الغيثُ .

* * *

٢٢٨ سائِلْه ان أفْصَحَ عن أنبائِهِ   أنَّى تسدَّى الليلَ أمْ أنَّى اهْتدى

٢٢٩ أوْ كانَ يدْري قبلَها مافارِسٌ   وما مَوارِميها القفار والقُرى

قوله : « سائِلْه » يعني الخيال . يقول : سائِلْ هذا الخيالَ عن أنبائِه إن أفصح أي ؛ أبانَ : يقال : أفْصَح الأعجمي وفصُح اللّحان . والانباء : جمع نبأ ، و « النَّبأ » الخَبَر ، والفعل منه : أنبأ يُنْبِئ ، واسم الفاعل مُنبِئ . وقوله : « أنى

تَسدّى الليل أم أنى اهتدى » معنى أنىَّ : من أين، كما قال الله عز اسمه : (أنى لك هذا [1]) أي من أين لك هذا . فكأنه قال : من أين تَسَدَّى الليل ، أي من أين قطعه . يقال : تَسَدَّيْتُ الوادِي إذا قطعته ، وقيل : تسدى ، أي ركب . يقال : تسديت الشيء أتَسَدَّاه تَسَدِّياً ، إذا ركِبْته وعَلَوْت عليه . ومنه قول امرىء القيس بن حجر :

فلمّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُها فثوباً نَسِيتُ وثوباً أجُرُّ [2]

وكذلك « أم أنىَّ اهتدى » أي من أين اهتدى إلى زيارَتنا على بُعد ما بيننا وبينه . و « اهتدى » افتعل من هَدَى يهدي ، إذا دَلَّ على طريق الحق والرشد . وقوله : « أو كان يدري قبلها »، أي قبل هذه الرؤْيَة أو الفعل ، ثم أَضْمَر وجاء بالمُضْمر ، لأن سِياق الكلام يَدُلُّ على الضمير . و « فارِسٌ » معروفٌ

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٧

(٢) ديوانه ص : ١٥٩ . ويروى في معظم كتب اللغة

فأقبلت زحفاً على الركبتين فثوب نسيت وثوب أجر

بضم « ثوب » المغني ٢/٩٤ ، وشرح ابن عقيل على الألفية ١ / ١٨٩ ، الخزانة ١ / ٢٥٣ ، كما استشهد به سيبويه والشاهد : جواز الابتداء بثوب وهو نكرة لأنه قصد به التنويع في رأي ابن عقيل ، وقال الأعلم : ويجوز عندي أن يكون نسيت وأجر من نعت الثوبين فيمتنع أن يعمل فيه ; لأن النعت لا يعمل في المنعوت فيكون التقدير : فثوباي ثوب منسي ، وثوب مجرور .

وفي المغني : ومما ذكروا من المسوغات ; أن تكون النكرة للتفصيل نحو : فثوب . . . البيت ، وفيه نظر ، لاحتمال نسيت وأجرّ الوصفية ، والخبر محذوف ، أي فمن أثوابي ثوب نسيت ومنها ثوب أجره ، ويحتمل أنهما خبران وثم صفتان مقدرتان ; أي فثوب لي نسيته وثوب لي أجره ، وإنما نسي ثوبه لشغل قلبه ، وإنما جر الآخر ليعفي الأثر على القافة ولهذا زحف على الركبتين اه .

والنصب كما يرى ابن الانباري في شرح المفضليات مفعول لما بعده .

وكان أبو بكر رحمه الله قال هذه القصيدة بعد خروجه من البصرة وهو بأرض فارس، مدح بها ابن ميكال وابنه . وقد ذكرت ذلك فيما تقدم . و « المَوامِي » جمع مَوْماة ، وهي أرضُ القفر . و « القُرى » جمع قَرْية . يقول : سائله عن قفرها ومُسكُونها كيف اهتدى إليه ؟

* * *

٢٣٠ وسَائِلي بِمُزعِجِي عن وَطَنِي　　ماضاقَ بي جَنابُه ولا نَبا

٢٣١ قُلتُ القَضاءُ مالِكٌ أَمرَ الفَتى　　من حيثُ لا يَدْرِي ومن حيثُ دَرَى

و « سائلي » معناه وسائل لي ، فأضاف وهو يريد الانفصال ، وذلك أنه جعله نكرة ، لأن الواو بمعنى رُبَّ . ومما أضيف ومعناه الانفصال قول الله عز اسمه : (كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ[1]) وكذلك قوله عز اسمه : (هَدْياً بالغَ الكعبة[2]) والتقدير ذائقةٌ الموتَ وبالغاً الكعبةَ . وقوله : « بمُزعِجي » كأنه قال : وسائلي عن مزعجي . والعرب تقول : رب سائل بِزَيْد ، أي عن زيد . ومنه قول الله عز اسمه : (فاسْأَلْ به خَبيراً[3]) أي عنه . وأنشدوا :

فإن تَسْأَلوني بالنساء فإنني　　بصير بأدْواء النساء طبيبُ[4]

« يريد عن النساء . و « الازْعاج » نقيض القرار . ويقال : أزْعَجْتُه عن بلده ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٥

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٥٩

(٤) سبق ذكره

إذا حركته وأخرجته . و « الجناب » ما قَرُب من المكان . و « نبا » بفلان منزله ؛ إذا لم يأخذْه فيه قرار ، وَ كَرِهَه . وقد ذكرت أصل القضاء في اللغة بما يغني عن إعادته .

* * *

٢٣١ لا تَسْأَلَنِّي وَاسْأَلِ ٱلمِقْدارَ هَل يَعْصِمُ مِنْهُ وَزَرٌ وَمُدَّرَى

٢٣٢ لا بُدَّ أَنْ يَلقَى ٱمْرُؤٌ ماخَطَّه ذُو العَرْشِ مِمَّا هُو لاقٍ وَوَحَى

قوله : « لا تَسْأَلَنِّي » يخاطِب السائل الذي حكى عنه سؤاله عن ازعاجه عن وطنه . و « المِقدار » والقـدَر واحـدة ؛ وهو ماقُدِّر على الأنسان من خير وشر . يقول : لا تَسْأَلَنِّي وَسَلْ المِقْدار ، أي أنا مُتَّبِع لما قُدِّر عليَّ . ثم قال : « هل يعصِمُ منه » أي من القدَر . و « يَعْصِم » يمنع . ويقال : ما يَعْصِمُني هذا من الجوع أي ما يَمنَعُني منه . ومنه قول الله عز اسمه : (والله يَعْصِمُك من الناس [1]) وقوله : (لا عاصِمَ اليوم من أمر الله إلا من رحم [2]) أي لا معصوم من أمره ، وهو فاعل بمعنى مفعول . و « الوَزَرُ » الموضـع الحصين الذي يُلْجَأ إليه . ومنه سُمي الوزير ؛ لأنه يُستعان به . وبعض أهل اللغة يغلط في هذا ، ويزعم : أنَّ الوزير مأخوذ مِنْ الأزْر ، وهو القوة . ويقول : معنى وزير أي يَقْوى به الملكُ على أمره . وهذا فاسد ، لأن فاء الفعل من وزير « واوٌ » ، و « فاؤه » من الأزْر « همزة » . و « مُدَّرَى » مُفْتَعَل من الدُّرى ، وهي

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧

(٢) سورة هود ، الآية : ٤٣

رؤوس الجبال ، وهي بالذال معجمة ، ثم لمَّا بنيت منها مفتعلاً كان الأصل مُذتَرى بالذال والتاء ، ثم أَبْدَلْتَ من التاء ذالاً لمجاورة الذال وأدغمتَ فيها الذالَ فقلتَ : مُذَّرَى كما تقولَ : مُذَّكِّر . والأصل مُذْتَكِر ، ثم وقع البَدَل والإدْغام على ما ذكرنا . وقوله : « لا بد أن يلقى أمروٌ ماخطَّه ذو العرش » أي لابد أن يلقى الإنسان ما قُضِي عليه من خير وشر . وقوله : « ما خطَّه ذو العرش » أي ، في غيبِهِ . وقيل : كَتَبَه في اللوح المحفوظ . وقوله : « مما هو لاقٍ » أي مما هو لاقيه . و « وحى » أي كتب . يقال : وَحَى يَحي وَحْياً ، إذا كَتَب . اهـ ، واسم الفاعل : واح . ومنه قول رؤبة بن العجاج :

بِقَدَرٍ كان وَحاهُ الواحي (١)

وقال : مِنْ رَسْم أطلالٍ كَوَحْي الواحِي

ويقال أيضاً : وحى في معنى أوحى . ومنه قول العجاج :

وَحَى لها القَرارَ فاستقرت (٢)

ومعنى « الوحي » ههنا الإلهام ، وقيل : التسخير أي سخَّرها لأن تستقِر ، فاستقرت .

* * *

(١) الأساس والصحاح « وحى » وروايته « لقدر » وقبله :

حتى نحاهم جدنا والناحي

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب استقرت كما في الصحاح « وحى » والشطر الثاني من البيت :

وشدَّها بالراسيات الثُبَّتِ

٢٣٣ لا غَرْوَ أنْ لَجَّ زمانٌ جائرٌ فاعْتَرَقَ العَظْمَ المُمِخَّ وانتقى

٢٣٤ فقد يُرى القاحِلُ مخضراً وقد تَلْقى أخا الإقتارِ يوماً قد نمى

قوله : « لا غرو » يقول لا عَجَب . و « لجّ » عَرَض . يقول : لا عَجَب أن عَرَض زمانٌ جائرٌ . و « أُعْتَرَقَ » افتعل من عَرَقْتُ العظم إذا أَكَلْتَ ما عليه من اللحم . و « انتقى » : افتعل من النِّقْي ؛ وهو المُخّ . يقال : أُنْتَقيت العظم أنتقيه انْتِقاء ، وذلك إذا استخرجت النِّقْيَ منه . يقـال : بعير منْقٍ وناقة مُنْقِيَة ، إذا كثر فيهما المُخّ ،ومنه قول الأعشى :

حامُوا على أضيافِهِم وشَوَوْا لهم من لحم مُنْقِيَةٍ ومِنْ أكبادِ (١)

و « القاحِل » اليابِس . يقال : سِقاء قاحِل ، أي يابس ، وشيخ قاحل ، وقد قَحَل يقْحَلُ قُحولاً . يقول : إنْ فَعل الدهر كذا وكذا فلست بآيسٍ أن يعطف عليّ ، فقد يُرى اليابسُ أخضراً ،وقد يُلقى أخو الإقتار ، أي أخو الفقر قد نَمى ،أي ازداد ماله . يقال : نمى المال ينمي ؛ إذا زاد ، وكذلك الحب ، ومنه قول الشاعر :

يا حُبَّ ليلى لا تبيد (٢) وازدد وانم كما يَنْمِي الخِضابُ في اليد (٣)

* * *

(١) مختار الشعر الجاهلي ٢ / ١٦٥ . المقاييس ٥ / ٤٦٥ وروايته في مختار الشعر الجاهلي :

حجروا على أضيافهم وشووالهم من شطٍّ منقية ومن اكباد

والشط من السنام : جانبه أو نصفه . والمنقية : السمينة .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب لا تبيدن .

(٣) وروي هذا البيت في اللسان « نمي »

ياحب ليلى لاتغيَّرْ وازدد وانم كما ينمو الخضاب في اليد

بـ « لا تغير » بدل « لاتبيد » ، و « انم كما ينمو » مكان « انم كما ينمي » —

٢٣٥ يا هؤُلَيَّا هل نَشَدْتُنَّ لنا رَافِعَةَ البُرْقُعِ عن عَيْنَيْ طلا
٢٣٦ ما أنصفتْ أمُّ الصَّبِيَّيْن التي أَصْبَتْ أخا الحِلْمِ ولمَّا يُصْطَبِي

ياهؤُلَيَّا: تصغيرُ يا هؤُلاء. وقوله: هل «نَشَدْتُنَّ» طلبْتُنَّ. يقال: نَشَدْتُ الضالةَ إذا طَلَبْتُها. وأنْشَدْتُها؛ إذا عرَّفتها. وقوله: «رافِعةَ البُرْقُعِ عن عَيْنَيْ طَلا» والطَّلا؛ ولد الظبية وولد البقرة. وقوله: «ما انصفت» نفَى عنها النصفة. و «أم الصبيين» لفظ يقوله العربُ تمدح به المرأة الكاملة العقلِ. وقوله: «أصْبَتَ أخا الحِلْمْ» من الصبا. ويقال: صَبَا فلان يصبو. إذا فعل كفِعل الصِّبيان و «لمَّا» بمعنى لم. ويُصطبي يُفْتَعَل من الصِّبا قال الشاعر:

يَصُبُّ إلى الحياة ويشتهيها وفي طول الحياة له عناء

وقال آخر[1]:

تصابى وأمسى عَلاه الكِبَرْ وأمسى كخمرة خلٍ غَرَرْ[2]

* * *

— قال ابن سيدة: والرواية المشهورة: «وانم كا ينمي» «ونمى الخضاب: ازداد حمرة وسواداً. والبيت أيضاً في المقاييس ٥ / ٧٩؛ والاساس «نمى»

(١) هو النمر بن تولب، صحابي يعد من المخضرمين، وينسب الى «عُكْل» أمه، وكان تزوجها عوف بن قيس، فولدت له ثلاثة بنين ثم مات، فحضنتهم عكل فنسبوا إليها. والنمر شاعر جواد واسع العطاء كثير القرى، وهاب لماله وكان أبو عمرو يسميه الكيس لجودة شعره وكثرة أمثاله. وكان شاعر الرباب في الجاهلية ولم يمدح أحداً ولا هجا. وفد على النبي عليه السلام مسلماً وهو كبير. وذكر في المعمرين أنه عاش مائتي سنة وخرف.

(٢) الأساس «غرر» ورواه «وأمسى لجمرة حلّ غرر».

٢٣٧ استبح بيضاً بين أفوادك أن
يقتادك البيضُ اقتيـــادَ المُهتدَى

٢٤٠ هيهاتَ ما أَشنعَ هاتا زلّةً   أطَرَباً بعد المَشيبِ والجَلا

« استبح بيضاً » يُخاطب نَفْسه ، يقول : استبح من بِيض ، يعني الشيب . « بين أفوادك » والأفواد جمع فَوْد ، والفَوْدان : جانبا الرأس . و « يقتـادك » يفتعل ، من قادَ يقُود . و « البِيض » ههنا : الجوارِي . و « المُهتدَى » الأسير . وقوله : « ما أَشْنَعَ » أي ما أَقْبَحَ . و يُروى : « ما أشنَعها نازلةً » أي ما أشنع هذه النازلةَ نازلةً . و « هاتا » للمؤنث بمنزلة هـذا للمذكر . ثم قال : أطرَباً فَنصبَ على المصدر ، كأنه قال : أنطربُ طرَباً بعد المشيب . و « الطرَب » ههنا : الفرَح في هذا الموضع ، والعامة تذهب إلى أن الطرب في الفرح دون الجزَع ، وليس كذلك . إنمـا الطرَب خِفـة تُصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزَع .

قال الشاعر [1] :

وأراني طَرِباً في إثرِهم   طَرَبَ الوالهِ أو كالمُختَبَل [2]

وقال آخر [3] :

يقلن لقد بكيت فقلت كلاّ   وهل يبكي من الطرب الجليد [4]

---

(١) هو النابغة الجعدي .

(٢) الصحاح « طرب » .

(٣) هو بشار بن برد ، ويكنى أبا معاذ ، شاعر مبرز ، ولد أعمى ، وكان ضخماً عظيم الخلق والوجه ، جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر ، سابط اللسان ، شرس الخلق ، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بها سنة ١٦٧ هـ .

(٤) الأغاني ٣ / ١٣٥ وهو من مقطوعة -

و « الجلا » انحِسار الشعر من الجَبهة إلى نِصف الرأس . فأولُ ذلك الأَنْزَعُ ، وهو الذي انحَسَر الشعر عن جانبيْ جبهته ، فإذا زاد قليلاً فهو أَجْلَح ، فإذا بلغ النِّصف فهو الجَلا ، ثم هو أجله ، والجَلا أيضاً : ضرب من الكحل ، ومن روى : هيهات ما أَشْنَعها نازلةً ، أراد ، الإشارة إلى الفعلة .

* * *

٢٤١ يارُبَّ لَيلٍ جمعتْ قطرَيْهِ لي بنتُ ثمانين عَرُوساً تُجتلى

٢٤٢ لَمْ يَمْلِكِ الماءُ عليها أَمْرَها وَلَمْ يُدَنِّسْها الضِّرامُ المُخْتَضى

٢٤٣ حيناً هي الدّاء(١)

٢٤٤ قد صانها الخمار(٢)

٢٤٥ فهي تُرى من طول (٣)

— شكوت إلى الغواني ما ألاقي وقلت لهن ما يومي بعيد
فقلن ... البيت
ولكني أصاب سواد عيني عويد قذى له طرف حديد
فقلن فما لدمعهما سواء . أكلتا مقلتيك أصاب عود

(١) حيناً هي الداء وأحياناً بها من دائها ، إذا يهيج ، يُشتفى

(٢) قد صانها الخمارُ لمَّا اختارها ضَنّاً بها على سواها واختبى

قد صانها الخمار : حفظها . وضناً : بخلاً . واختبى وخبى : ستر

(٣) فهيَ تُرى من طولِ عهدٍ إن بدَتْ في كأسها لأعينِ الناسِ كَلا

كلا : عمى . يعني أنه يعمى من نظر إليها ، فكيف من شربها .

قوله : «جمعت قطريه لي» القطران : الناحيتان ، وهما ههنا الطرفان . و «بنت ثمانين» يعني الخمرة . وإنما جعلها بنت ثمانين ، لأن من شربها وجب عليه ثمانون جلدة . و «تجتلى» : يفتعل من جلا يجلو. ومعنى جمعت قطريه لي : كأنها جمعت بين طرفيه . والعرب تصف أن ساعة اللذات قصيرة . فكأن هذه الخمرة قد قصرت هذا الليل بما فيها من اللذات . وقوله : «لم يملك الماء عليها أمرها» يقول : هي غير ممزوجة ، لم يملك الماء صولتها ، ويكسر حدتها . فيكون كأنه ملك أمرها . وقوله : «لم يدنسها الضرام ، يعني أنها غير مطبوخة ، وأنها خمرة خالصة . والخمرة : عصير العنب . و «الضرام» ما تشعل به النار : وهو الحطب الرقيق الذي يوقد به الغليظ . و «المختضى» مفتعل من خضأت النار وخضيتها : إذا حركتها بعود ليزداد اشتعالها .

***

٢٤٦ كأن قرن الشمس في ذرورها
بفعلها في الصحن والكأس اقتدى

٢٤٧ نازعتها أروع لا تسطو على ... نديمه شرته إذا انتشى

«قرن الشمس» شعاعها وإشراقها . وقوله : «في ذرورها» أي ، في طلوعها ، ومنه قولهم : لا أكلمك ماذر شارق ، أي ماطلع نجم . و «الصحن» الواسع من الآنية التي يشرب فيها . ومنه قول عمرو بن كلثوم التغلبي .

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ... وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا (١)

و « الكأس » القَدَح إذا كان فيه شراب ، ويذكر ويؤنث ، ولا يُسمى كأساً إلا وفيه خمر . يقول : كأن شعاعَ الشمس اقتدى بفعلها في الكأس . إشراق كأن الشمس تقتدي به . وقوله : « نازعْتُها أي حادَثْت عليها ، وهي المنازعة في الخصومة ، وهي المجادلة ، وهو التنازُع ، فإذا هَويت النفسُ شيئاً قلت : نَزَعت إليه نِزاعاً . وإذا كف الإنسان عن أمر قلت : نَزَع عنه نُزُوعاً والنزائع : النساء اللواتي تَزَوَّجن في غير عشائرهن . ونَزَع إلى أعمامه ، أي أشبهَهم ، والنزوع ، الحنين إلى الشيء . و « الأَرْوَع » الذي يَرُوع بجماله . و « السَّطْو » الطَّيش . و « الشِّرَّةُ » النشاط . و « النَّديم » صاحب الإنسان على الشَّراب . قال الشاعر : (٢)

إذا ما نَديمي علَّني ، ثم علَّني ... ثلاث زجاجاتٍ لهن هديرُ (٣)

خَرجت اجرُّ الذَّيْل خلفي كأنَّني ... عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

ويقال : نديم ونَدْمان ؛ لغتان . قال الشاعر (٤) :

ونَدْمَان يَزِيدُ الكأسَ طِيباً ... سَقَيتُ وقد تغوَّرت النجومُ (٥)

---

(١) الطبقات : ١٢٧ ، الأمالي ٢ / ٨ ، المعلقات : ١٢٦ ، الخزانة ٢/٣٢٤ والبيت مطلع معلقته .

(٢) هو الأخطل .

(٣) الديوان .

(٤) هو برج بن مسهر من بني جديلة ، جاهلي معمر .

(٥) مختصر التهذيب ص : ١٣٦ ، الحماسة (شرح ، المرزوقي) وروايته هناك : إذا تعرضت النجوم . وفي شرح التبريزي : إذا تعرضت النجوم : إذا أبدت عرضها للمغيب .

وقال آخر :

فإن كنتَ نَدْماني فبالأكبر اسْقِنِي ... ولا تَسْقِني بالأصغر المُتثلَّم

لعلَّ اميرَ المؤمنين يَسُرُّه ... تنادُمُنا بالجوسَقِ المتهدِّمِ

والجمع نُدامى ؛ مثل سَكْران وسُكارى . قال الأعشى يمدح رجلاً :

جالِسٌ حولَ النَّدامى فما يَنفكُّ ... يُؤتَى بمزهرٍ مَنْدُوف (١)

وإنما سُموا نَدامى ، لأنهم اصطَحَبُوا على مايُنْدَم عليه من إتلافِ المال . و«انتَشَى» أي سَكِر . يقول : نازَعْتُ هذه العَروس أَرْوَعَ لا تسطو : شِرَّته على نديمه إذا سَكِر ، أي هو في سُكْره كما هو في صَحْوه لا تخاف زلته .

* * *

٢٤٨ كأنَ نَوْرَ الرَّوض نَظْمُ لفظِه ... مُرْتجلاً أو مُنْشِداً أَوْ إن شَدَا

٢٤٩ مِنْ كلِّ ما نالَ الفتى قد نِلْتُه ... والمرءُ يبقى بعده حُسْنُ الثَّنَا

« نَوْر الرَّوْض» زَهْره . يقول : كأن لَفظ هذا النديم زهر الرَّوض . ثم قال مرتجلا ، أي في حال ارتجاله ، وهو أن يأتيَ بما يَخطُر على باله على الرَّوية بغير استعْدادٍ له . وقوله : « أوْ مُنشِداً » في حال إنشاده الشِّعْر . « أو إن شدا » تعلَّمَ

---

(١) كذا في الأصل ، والبيت هكذا ملفق من بيتين وهما :

قاعداً حوله الندامى فما ينـ ... ـفك يؤتى بموكر مجدوفِ

وصدوح إذا يهيجنا الشر ... ب ترقت في مزهر مندوف

وموكر معناها : مملوء ، ومجدوف : مقطوع ، وترقت : ارتفع بالغناء صوتها : والمزهر : العود ومندوف ، مضروب على أوتاره . أنظر مختار الشعر الجاهلي ٢/ ٢٩١ .

شيئاً من العلم إذا تعلمه . و « النثا » ما يذكر به الإنسان من خير وشر مقصورٌ يُكتب بالألف . يقال : نَثَا عليه كلاماً حسناً ينثوه نَثْواً .

* * *

٢٥٠ فَإنْ أَمُتْ فَقَدْ تَنَاهَتْ لَذَّتِي   وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الحَدَّ انْتَهَى

٢٥١ وَإنْ أَعِشْ صَاحَبْتُ دَهْرِي عَالِمًا   بِمَا انْطَوَى مِنْ صَرْفِهِ وَمَا انْسَرَى

قوله : « فإن أمت فقد تناهت لذّتي » أي إن أَمُت وقد نِلت ما نِلت فقد تناهت لَذَّتي . و «تناهَت» : بلغتِ النهاية . وقوله: « وكلُّ شيء بلغ الحد انتهى » أي انتهى إلى غايته . و « انطوَى » :أي استَتَر. و « انسرى » : أي انكشف ، أي جرّبت خيره وشره . يقول : وإن أَعِشْ صاحبتُ دهري عالما بجميع تَصَرُّفه .

* * *

٢٥٢ حَاشَا لِمَا أَسْأَرَهُ فِيَّ الحِجَا   وَالحِلْمُ أَنْ أَتْبَعَ رُوَّادَ الخَنَا

٢٥٣ أَوْ أَنْ أُرَى لِنَكْبَةٍ مُخْتَضِعاً   أَوْ لِابْتِهَاجٍ فَرِحًا وَمُزْدَهَى

« أَسْأَرَه » أي ابقاه ، مأخوذٌ من السُؤْر ؛ وهو البقية .و « الِحجا » : العقل. و « الِحلم » : التغافل عن كلِ مكروه . و « الرُوّاد » : جمع رائد ؛ المتقدم أمام القوم . و « الخنَا » الفُحْش من القول . يقول : حاشا لما أبقاه فيّ الحجا والحلم أن أكون تابعاً لرُوّاد الخنَا مساعداً لهم .وقوله : «أو أن أُرى مُختَضِعاً» أي مُتذلِلاً ، وهو مفتعل من الخضُوع . و « النَّكْبَة » ما يُصيب به الدهرُ من الحوادث .

و « الابتهاج » : الافتعال من البَهجة ؛ وهو إظهار السرور و « مُزْدهى » مفتعل من الزَّهو وهو الكِبْر . يقول : وحاشا أن أُرى خاضعاً ، أو يستفزّني ابتهاج أو لَهْو . والدال في مزدهى مُبدَلة في التاء على نحو ماتقدم في نظائرها وأخواتها فاعلم ذلك وقس عليه إن شاء الله تعالى .

تمت المقصورة بشرحها بعون الله وحسن توفيقه ، وله الحمد والمنة ، وصلى الله على نبي الامة محمد وآله الطاهرين .

هَذَا شرحُ المقصورة الدريْدِيَّةِ الصُّغْرى
للأُسْتَاذِ العلامة الشيخِ أبي بكرٍ محمدِ
ابنِ الحسن بن دريدٍ الازديّ البصري
المولود سنة ٢٢٣ والمتوفى سنة ٣٢١
رحمه الله تعالى آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني ، عن الشيخ ابي الحسن علي بن مترف بن مسلم الأنماطي ، عن الشيخ أبي الحسن عبد الباقي بن فارس المقري ، عن أبي مسلم الكاتب ، عن ابن دريد — رحمه الله — قال :

باب مايفتح أوله ويقصر ويمد والمعنى مختلف

لا تركنَنّ إلى الهوى　　　واحذر[1] مفارقة الهَواء

يوما تصير إلى الثرى　　　ويفوز غيرك بالثراء

« الهوى » في البيت الأول مقصور ، وهو هوى النفس ، وتثنيته : هويان ، وكتابته بالياء ؛ ومنه قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى[2]) و « الهواء » بالمد ؛ مابين السماء والأرض ؛ قال الله تعالى : (وافئدتهم هواء[3]) أي منحرفة لا تعي شيئاً .

---

(١) في الديوان : واذكر ، ولعله هو الأولى .

(٢) سورة النازعات ، الآية : ٤٠

(٣) سورة ابراهيم ، الآية : ٤٣

وقوله في البيت الثاني: « تصير » من الصيرورة ، و « الثرى » مقصور : التراب الندي وتثنيته : ثريان ، وكتابته بالياء . و « الثراء » ممدود المال ؛ ومنه قولهم في حاتم الطائي ، وقيل : هو القائل [1] .

أماويّ مايغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر [2]

كم من حفير في رجى بئر لمنقطع الرجاء
غطى عليه بالصفا أهل المودة والصفاء

قوله في الأول « رجى » الرجى مقصور : جانب البئر وتثنيته : رجوان ، وكتابته بالألف ، قال الشاعر :

فـلا يُرَمى بيَ الرجوانِ أنيّ أقلُّ القوم من يُغني مَكاني [3]

و « الرجاء » الثاني ، ممدود . وقوله في البيت الثاني : « الصفا » مقصور ،

---

(١) البيت لحاتم من قصيدته المشهورة

أماويّ قد طال التجنب والهجرُ وقد عذرتنا عن طلابكم العذر

(٢) خزانة الأدب (المطبعة السلفية والمنيرية) ٤/ ١٥٨ . العقد الفريد (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١ / ٢٩٠ المثل السائر (طبعة محي الدين عبد الحميد) ٢ / ٩٦

وجاء في الخزانة : أورد صاحب الكشاف هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : (كلا إذا بلغت التراقي) على إضمار النفس قبل الذكر ، لدلالة الكلام عليها ، كما أضمرها الشاعر في «حشرجت» والحشرجة : الغرغرة عند الموت وتردد النفس .

(٣) في الأصل :

فلا يرى بي الرجوان أنى أقل القوم من يغنى مكاني

والصواب ما أثبتناه

ورمى به الرجوان ، معناه : استهين به ، فكأنه رمي به هنالك ، أرادوا أنه طرح في المهالك . انظر اللسان « رجا »

الحجارة « العراض » واحدتها صفاة ، وتثنيتها : صفوان ، وكتابتها بالألف
و « الصفاء » ممدود ، اخلاص المحبة من الشيء الصافي ، من كل شيء خلص وصفا

ذهب الفتى عن أهلهِ　　اينَ الفتيُّ مِنَ الفتاء
زال السنا عن ناظريـــه وزال عن شرفِ السناء

قوله في البيت : « الفتي » هو واحد الفتيان ، وكتابته بالياء ، وتثنيته : فتيان . و « الفتاء » ممدود : مصدر ؛ قال الربيع بن ضبع الفزاري .

إذا عاشَ الفتىَ مائتين عاماً　　فقد ذهب المسرةُ والفتاء (١)

يقال : انه لفتى بَيِّن الفَتَاء والفُتُوَّة ، كله الكرم .

وقوله في البيت الثاني : « السنا » مقصور الضوء من البرق وغيره ، وتثنيته : سنوان ، وكتابته بالألف ، والسناء ، ممدود : المجد .

ما زال يلتمسُ الخَلَى　　حتى توحَّد في الخلاء
قطع النَّسَا منه الزَّما　　نُ فلمْ يُمَتَّعْ بالنَّساء

قوله في البيت الأول : « يلتمس » من الالتماس ؛ وهو الطلب . و « الخلى » هو العشب الرطب ، وتثنيته خليان ، وكتابته بالياء و « الخلاء » ممدود ، من الخلوّ ، مصدر خلا يخلو خلاء .

---

(١) رواية البيت في اللسان والصحاح « فتا »

إذا عـاش الفتى مائتين عاماً　　فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وفي البيت الثاني « النسا » مقصور ، وهو عرق مستبطن الفخذ ، وتثنيته : نسيان ونسوان ، و « النساء » الممدود ، تأخير الشيء .

وأرى العشا في العينِ إ كـ ـثر ما يكون من العَشَاء

وأرى الخوى يُذْكي عقو ل ذوي التفكُّرِ في الخواء

« العشا » الأول ؛ شيء يشبه العمى يحدث في العين ، يقال منه : عشا يعشى عشاء ، وهما يعشيان في التثنية ، حملوا التثنية على الواحد ، إذ كان أصله عشو ، فأبدلوا الواو ياء لانكسار [ماقبلها][1] وكتابته بالألف ، يقال : رجل أعشى وامرأة عشواء ، وامرأتان عشواوان وقولهم :عشا يعشو ؛ إذا قصد النار ببصر ضعيف ، وظهور الواو في المؤنث يدلك على ان اصل الاعشاء من الواو ، و « العشاء » ممدود وهو الاكل. و « الخوى » في البيت الثاني مقصور ، وهو الجوع ، يقال : خوى يخوي ، وخوى شديداً ، و « الخواء » الثاني ممدود : الفراغ ؛ وهو المكان الخاوي . قال ابو النجم في الجمع بين المعنيين المقصور والممدود[2]

يبدو خواء الأرض من خَوائِهِ[3] .

ولرب ممنوع العرَى ولسوف ينبذ في العراء

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) اللسان (خوا) ولا يدل على الجمع بين معنى المقصور والممدود كما ذكر الشارح .قال في « اللسان » : خواء الأرض ، ممدود : براحها ، ويقال : دخل فلان في خواء فرسه : يعني ما بين يديه ورجليه ، وأبو النجم وصف فرساً طويل القوائم .

مَنْ خافَ من ام(١) الحَفا فليجتنبْ مَشيَ الحَفَاء

« العرَى » الأول ، مقصور ، وهو ماحول الدار والعسكر . وكتابته بالياء وتثنيته عروان و « العراء » الثاني ممدود ؛ المكان الخالي . ويقال في المثل : « ما يطور بعراه احد (٢) » ويقال أيضاً : عراها يعروها عرواً ؛ إذا اعترض عراها . ويقال في الثاني أيضاً : تركته بالعراء ،أي الأرض التي لا شجر فيها ولا جبل .

« الحفا » الأولى من البيت الثاني ، الألم والوجع مقصور ، وهو وجع يأخذ برجلي الانسان ، ويكتب بالألف ، وأصله بالواو ، و « الحفاء » ممدود ؛ المشي بغير خف والله أعلم .

كَمْ مَنْ توارَى بالنَّقى بعد النظَافة والنَّقَاء

وأخو الغرى من لا يزا ل بما يضرك ذا (٣) غراء

« توارى » من التواري ؛ وهو الاستتار . « النقى » الأول مقصور ، الرمل

---

(١) في الديوان : ألم ، ولعله هو الصواب

(٢) جاء في اللسان « طور » : طار حول الشيء يطور طوراً وطوراناً : حام ،والطوَار مصدر طار يطور .

وفي اللسان أيضاً :

وفلان لا يطورني : أي لا يقرب طَواري ؛ (الطوار من الدار ما كان ممتداً معها من الفناء) وفلان يطور بفلان ، أي كأنه يحوم حواليه ويدنو منه ، ويقال : لا أطور به : أي لا أقربه .

(٣) رواية البيت في الديوان :

وأخـــوا الغرا من لايزا لُ بما يضرُّ أخا غراء

وكتابته بالياء والواو ؛ يقال : نقيان ، ونقوان . و « النقاء » الثاني ، ممدود ، وهو مصدر الشيء النقي .

و « الغرا » الاول من البيت الثاني : ولد الحمارة الوحشية ، وقيل : ولد البقرة الوحشية ، وكتابته بالألف ، وتثنيته : غروان . و « الغراء » ممدود ؛ الكلف بالشيء غراً [1] ؛ إذا ولعت به ، زعم ذلك الفراء والله أعلم .

إنّ الحياةَ معَ الحَيَا   وأرى البهاء[2] مع الحياء
عقلُ الكبيرِ من الوَرَى   في الصالحات من الوراء

« الحيا » الأولى من البيت الأول ، مقصور الغيث . والخصب[3] وكتابته بالألف لمكان الياء . و « الحياء » الثاني ممدود ؛ ضد القحة . « الورى » الاول من البيت الثاني ، مقصور : الخلق . « الوراء » الثاني منه ، ممدود : ضد الامام ؛ قال تعالى : (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون [4]) وقال جل وعلا : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا [5]) وحكي عن الشعبي ـ وكان

---

(١) كذا في الأصل ، وفي الكلام سقط ، ولعله : « من غريت ، تغرى ، غراً ... »
(٢) الكلمة في الأصل مطموسة ، وما أثبتناه من الديوان .
(٣) في الأصل « الخصيب » تصحيف ،صوابه ما أثبتناه
(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠٠
(٥) سورة الكهف ، الآية : ٧٩
الأرجح في تفسير الآيتين الكريمتين ؛ أن وراء بمعنى أمام ، وهو من الأضداد .
جاء في اللسان « وري » وقوله عز وجل : « وكان وراءهم ملك » أي أمامهم »
وعلى هذا يفهم قول لبيد :

أليس ورائي إن تراخت منيّتي   لزوم العصا تحنى عليها الأصابع ـ

وراءه[1] ابن ابنه ـ قال هو ابني من الورا[2]

لو تعلمُ الشاةُ النَّجا منها لجدَّتْ في النَّجاء

« النجا » الأول مقصور ؛ إلقاء الثوب عن الجسم ، وهو ماسلخته عن الشاة والبعير أيضاً ، ونجوت عنه كذا وكذا ؛ إذا ألقيته عنه . و « النجاء » الثاني ، ممدود وهو السرعة في الذهاب والهرب .

وأرى الدَّوى طولَ السقا م فلا تفرِّطْ في الدَّواء

واذا سمعت وحى الزما نِ فلاتقصرّ[3] في الوحاء

ـ وجاء في تفسير هذه الآية من « الكشاف » ٢ / ٥٧٨

« وراءهم » أمامهم ، كقوله تعالى « ومن ورائهم برزخ » وقيل ؛ خلفهم .

وجاء في التفسير الكبير للرازي : « وكان وراءهم » فيه قولان : الأول ، أن المراد منه وكان أمامهم ملك يأخذ ، هكذا قاله الفراء وتفسير قوله تعالى : « من ورائهم جهنم » أي أمامهم .. والقول الثاني ، يحتمل أن يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه ، وكان مرجع السفينة عليه .

ومن هذا يتبين ان الأرجح في تفسير « وراء » في الآيتين الكريمتين هو ماذكرناه . وإليه ذهب الطبري في التفسير ، وكذلك قال قتادة .

وقد روي أنه كان في القراءة : « وكان أمامهم ملك » وذكر أن ابن عباس قرأ ذلك . وللطبري في تفسير وراء تفصيل لا نحتاج هنا إليه . انظر تفسير الطبري (طبعة الحلبي الثانية) ١٦ / ١ . وانظر أيضا الآية في « البحر المحيط » لأبي حيان ، فثمة كلام حسن في الموضوع .

(١) في الأصل « ورائه » وهو خطأ .

(٢) قال في اللسان « وري » : والوراء أيضاً : ولد الولد . ثم أورد حكاية الشعبي ؛ أنه قال لرجل رأى معه صبياً : هذا ابنك ؟ قال : ابن ابني ، قال : هو ابنك من الوراء ؛ يقال لولد الولد : الوراء .

(٣) في ذيل شرح المقصورة الدريدية : تفرّط

« الدوى » الأول في البيت مقصور ؛ الرجل المريض الطويل . يقال : يوم دوى ومساء دوى ؛ وإذا قلت : رجل دوى ثنيت وجمعت ، وزعم الفراء ان « الدوى » الأحمق ، وقيل « الدوى » المرض نفسه . و « الدواء » الثاني من البيت الأول ، ممدود ، مايتداوى به من المرض .

« الوحى » الأول من البيت الثاني مقصور ، الصوت والجلبة . و « الوحاء » الثاني ممدود ، السرعة . والوحي ؛ الكتاب ، والكتابة ؛ والرسالة والالهام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك وحي ، والله أعلم .

فلربما ساق[1] السَّفَا ... نحو السَّفَا أهل السفاء

يا ابن البرىَ إن البريْـ ... ـةَ لاتجيئك[2] بالبراء

« السفى » الأول من البيت الأول مقصور ، وهو التراب ، وكتابته بالياء . و « السفى » أيضاً : ما سفته الريح ، أي ماسفت عليه الريح من التراب ، وفعل الريح السفى من التراب ، سفى بمعنى مسفى ، و « السفى » أيضاً السحاب ، و « السفاء » ممدود : الخفةُ والطيش يكون في الرجل . « البرى » الأول مقصور ، التراب ، ويكتب بالياء . و « لاتجيئك » يروى بدله : يؤذنونك[3] من إلا يذان والبرى بالمد : التبري من الشيء ؛ يقال : قوم براء وبرآء . والله أعلم .

وأراكَ قد مال العمَى ... ما بينَ عينك والعَماء

فانظرُ لعينك في الجلا ... إن خفتَ من يوم الجَلاء

(١) في الديوان . وذّى .
(٢) في الديوان :

يا بنَ البري إن الأحبـ ... ـبة يوذنونك بالبراء

(٣) في الأصل : « لاتؤذنك » والصواب ما أثبتناه

« العمى » الأول مقصور ، هو عمى البصر . وكتابته بالياء ،لأن المؤنث عمياء ، و « العماء » ممدود ؛ السحاب و « الجلا » الأول من البيت الثاني مقصور ؛ ضرب من الكحل يجلو البصر ، وكتابته بالألف . و « الجلاء » ممدود ؛ الخروج من الوطن . رجل أجلا وامرأة جلواء ؛ من الجلاء ، وهو انحسار مقدم الرأس عن الشعر قال الله تعالى : (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء [1]) والله أعلم .

وكل [2] الفنا إن لم تجدْ   حالا [3] فانك للفناء [4]

فلربما أدّى [5] الفضى   متزوديه إلى الفضاء

« الفنا » الأول مقصور ، وهو عنب الثعلب ، وكتابته بالألف ؛ قال زهير :

كأن فتات العهن في كل منزل   نزلن به حب الفنا لم يحطم [6]

و « الفناء » الثاني ممدود ، النفاد ؛ ومنه فني يفنى فناء ، و « الفضى » الأول

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ٣

(٢) في الديوان : فكل .

(٣) في الديوان : حلاً .

(٤) في الديوان : في الفناء . ورواية البيت في ذيل شرح المقصورة الدريدية :

وكل الفنا إن لم تجد   حالاً فأنت إلى الفناء

(٥) في الديوان : ودّى

(٦) في الأصل : « الفناء المحطم » وهو خطأ من الناسخ ، لأن « الفنا » (وهو شجر ثمره حب أحمر فيه نقط سود ، أو عنب الثعلب كما يقول الفراء ، وكما اختار الشارح) مقصور ، ولأن التشبيه كله يبطل إذا قلنا : المحطم ؛ لأن فتات العهن (وهو هنا الصوف المصبوغ) شبه بالفنا ذي اللون الأحمر ، وهو إذا حطم ذهب عنه ذلك اللون .. ورواية البيت في كل ما اطلعنا عليه « لم يحطم » انظر المعلقات العشر ص ٨٩ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ١١٠ ، ومختار الشعر الجاهلي ١ / ٢٢٩ ... الخ .

من البيت الثاني مقصور يكتب بالياء ؛ وهو الشيء المفرق ، وأنشد بعضهم[1]

متاعهم فوضى فضى في رحالهم ولا يحسنون الشر[2] إلا تناديا[3]

وقال الفراء : الشيء المختلط تمراً وزبيبا وهما في اناء واحد ، يقال : فضى في تراب . و « الفضاء » ممدود : السعة من الأرض . قال الشاعر في المقصور :[4]

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا[5]

وقال آخر :

فقلت لها يا عمتي لك ناقتي وتمر فضى في عيبتي[6] وزبيب[7]

فاهرب هديتَ من الذكا إن كنت من أهل الذكاء[8]

---

(١) للمذل البكري .

(٢) في الأصل : « يحسبون الشرط » والتصويب من اللسان « فضا »

(٣) اللسان « فضا » وروايته هناك :

طعامهم فوضى فضاً في رحالهم

وقد جاء فيه :

الفضى ، مقصور : الشيء المختلط ، تقول : طعام فضىً ؛ أي فوضى مختلط .

وجاء أيضاً : وطعامهم بينهم فوضى فضاً (بالألف الممدودة هكذا) أي مختلط مشترك .

وأمرهم فضاً بينهم ؛ أي لا أمير عليهم .

(٤) هو الأفوه الأودي ، واسمه : صلاءة بن عمرو ، شاعر جاهلي حكيم ، كان سيد قومه وقائدهم ، وقد توفي قبل البعثة بزمن .

(٥) لم ندر ما موضع الاستشهاد في هذا الشاهد .

(٦) في الأصل : « عتبتي » تصحيف ، صوابه ما أثبتناه كما في اللسان والصحاح « فضا »

(٧) في الصحاح يا عمتا ، وفي اللسان : ياخالتي ، ويروى ياعمتي . وقد جاء فيه : تمر فضا ؛ منثور مختلط ، وقال اللحياني : هو المختلط بالزبيب .

(٨) رواية البيت في الديوان :

فاهدأ هديت إلى الذكا إن كنتَ من أهلِ الذكاء

وما هنا أجود ، وهو موافق لما في ذيل المقصورة الدريدية .

فالمرءُ اشبهُ بالعَفَـــا إنْ لم يُفـكرْ بالعفاءِ [١]

ويروى :

فاهرب هديت من الجدا من أنت منه في جداء

« الجدا » [٢] المقصور العطاء ، و « الجداء » المدود : الغنى عن الناس بما أنعم الله تعالى . « الذكا » الاول مقصور ؛ التهاب النار . و « الذكاء » الثاني ممدود ؛ الفهم . و « العفا » الأول في البيت الثاني مقصور ؛ ولد الحمار ، وكتابته بالالف . و « العفاء » الثاني ممدود ؛ الدوس والتعفير ، وهو التراب أيضاً ؛ ومنه قول صفوان ابن محرز ، قال : إذا دخلتُ بيتي وأكلت رغيفا ، وشربت عليه الماء ، فعلى الدنيا « العفاء » وهو ماعفته الريح ؛ اي محته . و « العفاء » . بكسر أوله ؛ البياض على الحدقة ، وهو أيضاً ما كثر من ريش النعام ووبر البعير .

سيضيقُ متّسع المَلاَ بالمخرجين من المَلاءِ

فارغبْ لربكَ في الجَدَا ما أنت عنه ذو جَدَاءِ

« الملا » الاول مقصور ؛ المتسع من الأرض . و « الملاء » ممدود حسن الخلق ، والملي هو الغنى ، يقال : انه لملي بين الملى ، واصله اليمن . « الجدا » الأول من البيت الثاني مقصور ، وكتابته بالألف ، لأنه يقال : تعرض لجدواه ، ويقال : مطرنا جدا ؛ أي كثيراً ، و « الجداء » ممدود : الغنى عن الشيء ، والله اعلم .

---

(١) رواية البيت في الديوان :

فالمرء نبه بالعفـا إن لم يفكر في العفاء

(٢) زيادة اقتضاها السياق ، ولعلها سقطت من الأصل .

توصي وعقلك في بَدا فلذاكَ رأيُك في بَداء[1]
وكأنما ريحُ الصَّبا تجري لطلابِ الصَّباء[2]

توصي من الوصية ، و « بدا » مقصور :موضع بالطائف ، وكتابته بالالف . و « بداء » بالمد ؛ مصدر بدا يبدو بداء إذا ظهر . يريد تغيير رأي عما كان عليه . الصبا : الريح الشرقية ،و « الصباء » ممدود ؛ اللهو واللعب : وهو مصدر صبا يصبو صباء وصبوًا ، الله اعلم :

باعُوا التيقظَ بالـكَرى فمقولُهم بذرى[3] كَراء
وكأنهم معز الأبا أو كالحطامِ مِن الأَباء

« التيقظ » الانتباه ، و « الـكرى » الأول مقصور ؛ النوم ، و « كراء » ممدود :موضع بالطائف . « الابا »[4] » داء ياخذ المعز في رؤسها من بول الأروى اذا شمته ولايكاد يكون في الضَّأن ، وكتابته بالألف تقول ، منه تيس آبى :ومعزة[5] أبواء ، وتيس آبٍ ومعزة[5] آبِيَه . قال الشاعر :[6]

(١) في الديوان :

توصي وعقلك في بَـذَا فلذاكَ رأيُك في بَذَاء

وفي الشرح : البذا المقصور ؛ موضع . والممدود : نقيض الرأي .

(٢) الروايةُ في الديوان

فكأنما ريـح الصَّبا تجري بطلابِ الصِّبـاء

(٣) في الاصل بذوي ، والتصويب من الديوان .

(٤) في اللسان « الأباء » ممدود ؛ داء يأخذ المعز ... الخ

(٥) في اللسان والصحاح : عنز .

(٦) هو ابن أحمر ، وقد قال ذلك لراعي غنم له أصابها الأباء .

فقلتُ لكنّاز توكل[1] فانه أبىً ، لأظن[2] الضأن[3] منه نواجيا

فيالك[4] من أروىً تعاديتَ بالعمى ولاقيتِ كلاّباً مُطلاً وراميـــا

و « الاباء » الثاني ممدود ؛ أطراف القصب المحترق . والاروى ؛ من اسماء الوعول وقيل : ذكرها ، والله اعلم .

باب مايكسر أوله ويقصر ويمد والمعنى مختلف

كمْ منْ عظامٍ باللّوَى قد فارقتْ خَفْقَ اللواء

وأَرى الغِنى يدعوا الغَنيَّ إلى الملاهي والغناء

« اللوى » الاول مقصور مكسور ؛ حيث يستدير الرمل ويرق ويلتوى و « الخفق » والخفقان ؛ سواء . و « اللواء » ممدود ؛ لواء الامير . و « الغنى » مقصور ؛ ضد الفقر . و « الغناء » ممدود ؛ السماع من شعر وغيره . قال الشاعر[5] :

تغنَّ بالشعر إمّـا كنتَ قائلهُ إنّ الغناءلهذا الشعرِ مضمارُ[6]

---

(١) في اللسان « تَدَكّلْ » ، وفي معجم مقاييس اللغة « تركل »

(٢) في الصحاح ، وفي معجم مقاييس اللغة : لا إخال .

(٣) في الأصل : « الظأ » والتصويب من الصحاح واللسان .

(٤) في اللسان : فالك .

(٥) هو حسان ابن ثابت .

(٦) الديوان ص : اللسان « غنا » وروايته فيه : بهذا الشعر .
والمضمار هنا - كما في المخصص ١٣ / ١٠ - مثل ، لأن المضمار للخيل إصلاحها وتعريفها -

يمضي الإنا بعد الإنا والعمر في ماء الاناء[1]

ولربما فضحَ الرجا لذوي اللحَى كشفُ اللحّاء

« الانا » مقصور : الساعة الواحدة ، ويقال آن لواحد الآناء وهي الساعات ، والإناء بالمد : واحـد الآنية . و إناء الشيء : بلوغـه . والانا انا الشيء مقصور يكتب بالالف ، قال الله تعالى : (غير ناظرين إناه[2]) بكسر الألف وفتحها ، ويقال في واحدها : انى وانى . وقوله تعالى : (غير ناظرين اناه) ، يعني وقت فراغه وادراكه ، والاسم منه الانا بالفتح ، وقد أنى الشيء يأنى إنىً في نضج وغيره . و « اللحا » جمع لحية ، مقصور . و « اللحاء » الممدود ؛ جمع الشيم و « اللحاء » ممدود ايضاً ؛ قشر كل شيء ، كالشجر ونحوه واللحو واللحا كاللحا . تقول : لحوت العود لحاه لحيته ، الحوه لحوا ، اذا قشرته ، والله اعلم .

ولربما صـــاد العدى والسيف[3] في صيد العداء

ولربَّ مهجور البنى بعدَ التأنق في البنَـــاء

« العدى » اسم الاعداء و « العداء » بالمد ؛ المـولاة بين الضدين يصرع احدهما على الآخر في سقط واحد ، والعداء ،بالفتح ما انقاد معك من عرضه وطوله،

— ورياضتها حتى تستوي ، فشبه إصلاح الغناء لوزن الشعر بذلك » .

وقال في اللسان :

« إن الغناء . . » أراد : إن التَّغَنّيَ ، فوضع الاسم موضع المصدر .

(١) رواية الشطر الثاني من هذا البيت في الديوان :

« ومناه في ملء الإناء »

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣

(٣) في الديوان : ذا السبق .

وتجاوز الحد في الظلم . و «البنى» جمع بنية ، ويكتب بالياء ، والبناء ممدود ، مصدر بنى يبني بناء .

وسيستوي أهلُ الكِبى وذووا[1] التعطر والكِباء

ولربَّ ماءٍ ذي روىً يحتـاج فيه إلى رواء

« الكبى » مكسور الأول مقصور ؛ القمامة ، وهي الكنسة ، ويكتب بالياء . والكباء ممدود ؛ البخور . و « الرواء » ممدود حبل للخيل وغيرها ، وقيل : حبل يشد به المتاع على البعير ، والجمع : الاروية ؛ يقال : رويت على الرحل : أي شددت على البعير لئلا يسقط من النوم .

باب ما يكسر أوله فيقصر ويفتح فيمد والمعنى مختلف

وأرى البِلَى يُبلي الجديـــد وكل شيء للبلاء

كم من إنا يفني الليـا لي ثم تفنى بالأَناء

« البلى » الاول مقصور مكسور ؛ القدم والتغير ، اذا كسر قصر ، وإذا فتح مدّ ، و « البلاء » الاختبار ، نحو قول زهير : خير البلاء الذي يبلو ، وهو النعمة . و « الانا » الساعة ، إذا قصر كسر ، واذا فتح مد ، والله اعلم .

وأرى القِرى مالا يدو مُ معَ الزمانِ لذي قَراء

وسوى الفتى يرث الفتى وليزعن من السّواء

---

(١) في الأصل : ذوي ، والتصويب من الديوان .

«القرى» قرى الضيف ، إذا كسر قصر ، وإذا فتح مد . «السوى» بمعنى وسط ، إذا كسر قصر ، وإذا فتح مد . و «السواء» بمعنى الغير ، وهي للاستثناء ، قال قيس ابن الخطيم :

فلأصرفن سوى حذيفة ناقتي   لفتى العشيِّ وفارس الاحزاب[1]

تم هذا الشرح المفيد نقلا عن نسخة سقيمة الخط مغلوطة ،
ومع ذلك فلا يخفى المعنى المراد على الفطن

تتمة القصيدة[2]

حُبُّ النساء إلى قِبلي   وأرى الصلاح مع القلاء
ماء الحياة رِوىً وأنـــــى   للمجلّي بالرواء
كم من إيا شمسٍ رأيــــتَ   وَلا ترى مثل الأَياء

(١) اللسان والصحاح «سوا» وروايته فيهما :

ولأصرفنّ سوى حذيفة مدحتي   لفتى العشي وفارس الأحزاب

قال في اللسان : وسوى الشيء : قصدُه . وقصدت سوى فلانٍ ، أي قصدت قصده ، وأورد بعد ذلك البيت المتقدم .

(٢) رأينا خدمة للقارىء أن ننشر تتمة القصيدة نقلاً عن الديوان – وإن كانت قد انتهت في المخطوطة – وذلك ليطلع عليها في أكمل صورها .

باب ما يضم أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد

تهوىٰ لُقـا ما لا يَحِــــلّ وبعده يوم اللِّقَـاء

باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد

وسكنت بيتاً ذا غَمىً ولتخرجنَّ من الغِماء
فانظرْ لسهمك في غرَا لا تستقيم بلا غِرَاء
واُحْذَرْ صَلىٰ نار الجحيـــم فإنه شر الصِّلاء
فَجَرى الشباب يزول عنـــك وقلّ ما أغنى الجِراء
وأرىٰ الغَدَى لا يُستطا ع فمن لنفسك بالغِداء
كم قد وردتَ إلى أضا وصدرتَ عن ذاك الإضاء

باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى مختلف

وأراك تنظر في السَّحَا لا ضير فى نظر السِحَاء

باب ما يضم أوله فيقصر ويفتح فيمد والمعنى مختلف

شمس الضُّحىٰ طلعت عليـــك وَلا ترى شمس الضَّحَاء

الفهرس

تحت الطبع

خلاصة
فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

بقلم تلميذه

العلامة محمد بن عبد الهادي المقدسي

و

المسائل
التي حلف عليها الإمام احمد بن حنبل

كلاهما بتحقيق

محمد زهير الشاويش

صاحب المكتب الاسلامي للطباعة والنشر

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

دمشق — الحلبوني

ص . ب : ٨٠٠ هاتف : ١١٦٣٧

بعض منشورات

المكتب الاسلامي

للطباعة والنشر

دمشق ـ الحلبوني

ص.ب : ٨٠٠ ـ هاتف : ١١٦٣٧ ـ برقيا : (اسلامي)

١ ـ **مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي**

بتحقيق المحدث الشيخ ناصر الدين الالباني

٢ ـ **دراسات في العربية وتاريخها**

للاستاذ الاكبر السيد محمد الخضر حسين

٣ ـ **حياة شيخ الاسلام ابن تيمية**

لعلامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار

٤ ـ **مادل عليه القرآن** للالوسي

٥ ـ **صفة الفتوى والمفتي** ابن حمدان

٦ ـ **حقيقة الصيام** ابن تيمية

٧ ـ **منهاج القاصدين** احمد بن قدامة المقدسي

آيات قرآنية ، واحاديث نبوية بخطوط كبار الخطاطين

السعر ٣٥٠ ق.س